مجلة الأزهر

جمادى الآخرة ١٣٨٤ هـ — نوفمبر ١٩٦٤ م

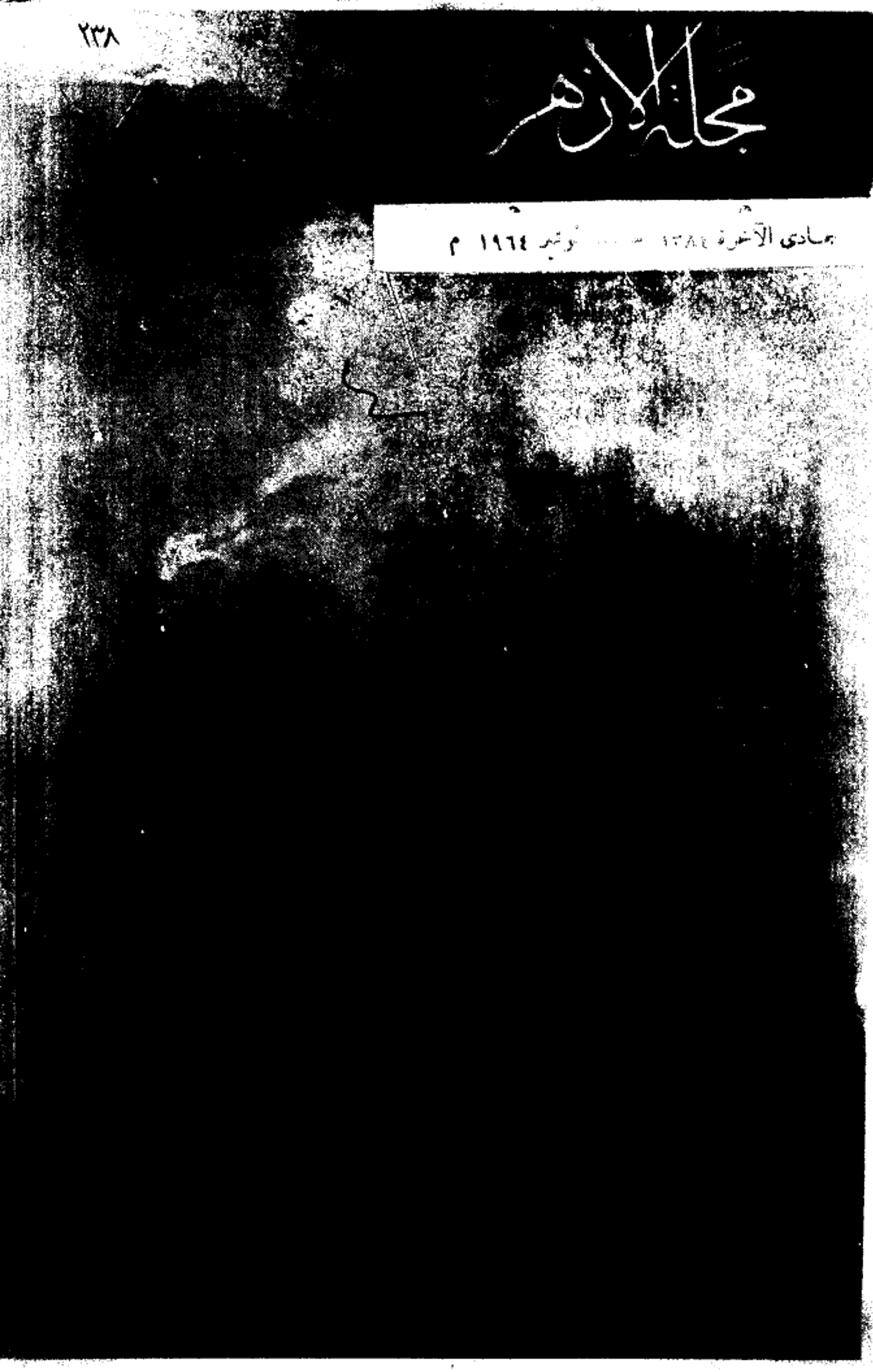

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب
تخفيض خاص

الجزء الرابع - السنة السادسة والثلاثون - جمادى الآخرة سنة ١٣٨٤ هـ - نوفمبر ١٩٦٤ م

تمنى التبنى

بقلم : عبد الرحيم فوده

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

التبنى عادة قديمة . ومعناه أن يتخذ الإنسان إنساناً آخر ابناً له ، ينفق عليه فى حياته ويشركه فى الميراث بعد مماته ، ويخلطه ببنيه وبناته ، ويجعل له من الحرمة والحقوق والواجبات ما للابن الحقيقى من حقوق وما عليه من واجبات ، فله أن يخلو بزوجته وبنته ، لأن زوجته أمه . وبنته أخته ، ويحرم عليه أن يتزوجها فى حياة أبيه المدعى أو بعد مماته ، لأنه يحرم على الإنسان أن يتزوج أخته أو أمه ، ويحرم على أبيه المدعى أن يتزوج امرأته إذا طلقها أو مات عنها ، لأنها من حلائل الأبناء التى تحرم على الآباء . وكل ذلك وما إليه مما يتجافى عن طبيعة الذوق والحق ويتنافى مع شريعة الإسلام . وللتبنى قصتان مثيرتان فى القرآن :

الأولى قصة يوسف مع امرأة العزيز ، إذ قال لها زوجها : « أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا » فإنه لما بلغ أشده فتنت به ، وكان ما يحكيه القرآن إذ يقول الله فيه : « وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون . ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إنه من عبادنا المخلصين . واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم . قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم . يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين » .

والجانب الذي يجب ألا يغفل أو يهمل في هذه القصة ، هو ما كان من امرأة العزيز نحو يوسف فإنها على الرغم من طول عهدها به وحدبها عليه لم تشعر نحوه بعاطفة الأمومة ، بل حاولت إغراءه وإغواءه ، وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ، ولولا العصمة التي تعهد الله بها أنبياءه لوقع يوسف فيما كانت ترجوه وكان يخشاه كما يفهم من قوله تعالى : « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء » .

أما القصة الثانية فهي قصة زيد بن حارثة ، فقد سبي وهو صغير . ثم اشتراه حكيم ابن حزام لعمته خديجة ، فوهبته للنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن تزوجته ، ثم علم أبوه به ، فطلبه هو وأخوه من النبي صلى الله عليه وسلم . ولما خير زيد أبى أن يعود مع أبيه وعمه . وآثر البقاء مع رسول الله فأعتقه ، وكان صلى الله عليه وسلم يغمره بعطفه وحبه ، فكان لذلك يدعى زيد ابن محمد ، وينادى بهذا الاسم والنسب قبل النبوة ، ثم نزل قوله تعالى : ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم » .

وبهذا القول الفصل ظهر حكم الله في هذا الأمر ، وكان ظهوره بهذه الصورة التي لا يرقى إليها الريب ، فكما لا يكون للرجل قلبان في جوفه ، لا تكون الزوجة أما بقول زوجها أنت علي كظهر أمي . ولا يكون الدعي ولداً لمن ادعاه وتبناه ، إنه ابن لرجل واحد إذا عرف يجب أن يلحق به وينسب إليه ؛ لأنه هو أبوه الذي انحدر من صلبه . كما يفهم من قوله تعالى : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » فإذا لم يعرف لم ينبذ من المجتمع ولم تنقطع صلته بمن يعيشون فيه ، بل هو لهم أخ ولهم له إخوة كما يفهم من قوله تعالى : « فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين » وقوله جل شأنه : « إنما المؤمنون إخوة » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد مضى الإسلام فى استئصال هذه العادة المستحكمة إلى مدى أبعد من الكلام ، فكان بدء التجربة القاسية مع النبى صلى الله عليه وسلم إذ أمره الله أن يتزوج بزينب بنت جحش بعد طلاقها من زيد الذى كان يدعى باسم (زيد بن محمد) ليتأكد الحكم بالعمل بعد بيانه بالقول ، ولكيلا يكون على المؤمنين حرج فى الزواج بمطلقات الأدعياء الذين ادعوا أنهم أبناء ، وذلك بعض ما يفهم من قوله : « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا » .

هذا هو حكم الله وأمره ، وهو صريح فى أن التبنى عمل غير مشروع ، ثم هو - مع ما فيه من الاستهتار بحرمة الأسرة فى أغلب الأحوال - يدخل ما لا حق له فى الميراث شريكا للمستحقين فيه . فيرث الغريب كالقريب ، وتختلط الأنساب الصحيحة بالأنساب الزائفة ، ويجد الشيطان مجال الإغراء والإغواء واسعا فسيحا فيعمل على إفساد الأسرة وإفساد المجتمع تبعا لفساد الأسرة ، ومن ثم لم أصدق ما نسبته بعض الصحف أو إحدى المحررات فى إحدى الصحف من حديث كان عنوانه بالخط العريض وزيرة الشئون تطالب بإباحة تبنى الأطفال وكان ختامه . إن أمنيتها أن تسمح الدولة بالتبنى على أن يحمل الطفل اسم الأسرة التى تتبناه ويكون له الحق فى الميراث ...

إن ذلك إذا صح لا يمكن أن يكون تعبيراً عن إرادة هذه الأمة التى تدين بالإسلام ، ولا عن روح هذه الثورة التى تستلهم هدى الإسلام وتقيم بناء الأسرة على أساس الدين والأخلاق ، ولو تذكر الذين يتصدون للكتابة او الحديث فى هذا الموضوع ماذكره الرئيس فى مؤتمر القوى الشعبية ، وفى الجموع التى احتشدت حوله فى اليمن ، وفى الميثاق الوطنى والتقرير الذى جعل مذكرة مفسرة له لو تذكروا الجو الذى يعيشون فيه ، والبيئة التى تحيط بهم لتريثوا فى إعلان هذه الأمنية الباطلة ولكننا نذكرهم جميعاً بقول الله فى هذه العادة القديمة المذمومة : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » وقوله جل شأنه : « وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

محمد ابراهيم فوده

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حديث هام

لفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ حسن مأمون
شيخ الأزهر

---

١ — الخلافة الإسلامية
٢ — الإسلام والتطور .
٣ — دور المرأة المسلمة فى المجتمع المتطور .
٤ — موقف الإسلام من المسيحية واليهودية .

تقابل الصحفى الألمانى مانفردفون يوتر تشيفكا مندوب إذاعة « دويتش لاندفونك » فى ألمانيا الغربية بفضيلة الأستاذ الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع الأزهر . . وسأل فضيلته هذه الأسئلة :

١ ـ فضيلة الإمام الأكبر : توليتم فضيلتكم منصب الإمام الأكبر للجامع الأزهر العريق وهو منصب كان يتولاه الخلفاء فيما مضى ، ويعتبر قمة فى التشريع الإسلامى ، وبحكم منصبكم هذا نود أن نسأل سيادتكم : هل هناك تفكير فى عودة الخلافة فى المستقبل فى العالم العربى ؟

٢ ـ يقال إن الإسلام لم يكن يكيف نفسه فى الماضى مع التغيرات التى تطرأ على المجتمع فهو وثيق الصلة بالماضى . هل هذا صحيح ؟ كيف يكون من الممكن ـ فى رأى فضيلتكم ـ أن يأخذ الإسلام بأسلوب التطور الحديث ؟ هل هناك اتجاه نحو هذا ؟ وما الذى تم إنجازه فى هذا الشأن ؟

٣ ـ هل سيتأثر دور المرأة المسلمة فى المجتمع بهذا التطور ؟

٤ ـ كم يبلغ عدد طلبة الجامعة الأزهرية فى الوقت الحاضر ؟ وكم عدد الفتيات منهم ؟

٥ ـ هل تعتقدون أن أخذ الإسلام بأسلوب التطور الحديث سيجد تربة خصبة فى جميع البلدان العربية ؟ وهل سيكون هناك استثناء محتمل ؟

٦ ـ ماهو موقف الإسلام من المسيحية بمناسبة زيارة البابا بول السادس للأردن ؟ .

فى بداية هذا العام دار الحديث حول إيجاد علاقات أكثر قوة ووثوقا بين الإسلام والمسيحية : علاقات التعايش القائم على التسامح والمودة ـ ما رأى فضيلتكم ؟ وما رأيكم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى اليهودية كدين؟ هل من الممكن التعايش بين العرب واليهود فى العالم العربى ؟

٧ ـ ما دور الإسلام فى الجهود التى تبذل من أجل الوحدة العربية كما تراه سيادتكم ؟

٨ ـ ما هى علاقة السنة بالشيعة ؟ هل الخلافات (التناقضات) بينهما تقل تدريجيا ؟ وهل تبذل الجهود لإيجاد تقارب أشمل بينهما مثل ما حدث فى المجلس الدينى بروما بين الرومان الكاثوليك والأرثوذكس المسيحيين؟

٩ ـ كيف ترون مجالات الإسلام للانتشار؟ هل هناك اتجاه لهذا ؟ وأين سيكون مجاله ؟

وقد أجاب فضيلة الأستاذ الإمام بما يلى :

الخلافة :

الخلافة التى يعرفها التاريخ لم تكن خلافة فى العالم العربى ، ولكنها كانت خلافة فى العالم الإسلامى ، وهذه الخلافة ليست مما يشغل المسلمين الآن ، وإذا كانت الخلافة تعنى توحيد الأوطان الإسلامية تحت راية واحدة ، فإن فى مبادىء الإسلام ما يغنى عنها وإن تعددت الشعوب ، فقد ترك فينا الرسول صلى الله عليه وسلم ما إن تمسكنا به فلن نضل بعده كتاب الله وسنة رسوله ، فهما إذن الجامعان لكلمة المسلمين وعلى مبادئهما تتحد الصفوف والأهداف فى خدمة الإنسانية كلها .

الإسلام والتطور

طبيعة الإسلام كدين سماوى ختم الله به الأديان وكدين عام فى الزمان والمكان تقتضيه أن يكون صالحا لكل عصر ، ملائما لكل بيئة ، وقد مر الإسلام زمن العباسيين فى عصور حضارية وأجناس متعددة فاتسع صدره لكل تطور صالح ، وأرضت تعاليمه كل الأجناس التى حكمت به حتى إنهم تعشقوها وعرفوا بها النور بعد الظلام ، والإنسانية بعد الوحشية .

وإذا كان فى أصول الإسلام ما لا يتغير أبدا ، فإن فى فروعه ما يفسح الرأى أمام المجتهدين الذين يراعون ملابسات الحياة ومستجد الظروف وفى أبوابه ـ باب المصالح المرسلة ـ الذى لا يضيق بتطور معقول أو ارتقاء متزن ما دام لا يصادم حكما ورد فى الكتاب أو السنة .

المرأة المسلمة :

المرأة المسلمة أعطاها الإسلام ما لم تكن تحلم به فى عصور ما قبل الإسلام فقد أعطاها حق التملك والتعاقد والهبة والإرث ، ورأيها معتد به فى كل الشئون الخاصة بها وأهمها رضاها بالزوج ، وأعطاها حق التعلم وجعلها تسهم فى كل أمر لا يخرجها عن طبيعتها التى فطرها الله عليها .

وإذا كانت المرأة المسلمة قد منيت فى بعض العصور بمن يحرمها هذه الحقوق فإن ذلك راجع إلى جهود لا يعترف به الإسلام ولا

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من قبل ذلك ومن بعده : يشغله كله فلا يدع فيه مكانا للأغيار .

٥ — وأخذ هؤلاء الصوفية يوجهون أفراد القطيع من البشر إلى الله تعالى ، : أخذوا فى محاولة جاهدة مستمرة — لانتزاع الإنسان من الإخلاد إلى المادة ليتطلع إلى السماء :

لقد حاولوا أن يوجهوا نظر الناس إلى الله، عن طريق آلائه التى تغمرهم وعن طريق صنعه ، وقد أتقن كل شيء صنعا ، سبحانه :

أخذوا يوجهون نظر الناس إلى الله تعالى : فى الزهرة تتفتح ، وفى الزرع ينبت متجها إلى السماء . وفى الشمس تشرق ، وفى القمر يتألق ، وفى مواقع النجوم ومداراتها . . .

وفى كل هذا الإبداع السارى فى الكون !

أخذوا يشرحون معنى تلك الآيات الكريمة « تبارك الذى بيده الملك ، وهو على كل شيء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور . الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير » .

وكانت تعبيراتهم تعبيرات متذوقين ، وليست التعبيرات الجافة لعلماء الكلام أو الفلاسفة وهم — فى تعبيراتهم — : يشرحون : أن الله سبحانه وتعالى ، هو المدد الوجود لكل موجود : إنه يمد القائم بالقيام ، ويمد الماشى بالمشى ، والمتحرك بالحركة . . .

إنه — على حد تعبير أهل السنة والأشاعرة : الذى يقطع ، وليست السكين هى التى تقطع ، وهو الذى يحرق ، وليست للنار هى التى تحرق ، وهو الذى حينما يريد ، يقول للنار كونى بردا وسلاما ، فتكون بردا وسلاما . . .

ومهما عبر الصوفية ، فى هذا الميدان ، عن الوجود الواحد ، فقالوا فى ذلك ، وأسرفوا ، واشتطوا ، فإنهم : سوف لا يبلغون المدى الذى بلغته الآية القرآنية الكريمة :

« هو الأول والآخر والظاهر والباطن » .

وهذه الآيات القرآنية التى ذكرناها إنما هدفها أن تدفعنا دفعا إلى الشعور بقيومية الله ، سبحانه وتعالى هيمنة ، وهيمنته مسيطرة ، والشعور بتوجيهه سبحانه وتعالى للإنسان أن يفر إلى الله فى كل أمر من أموره وأن يسمو بنفسه حتى يتحقق بأن :

« لا إله إلا الله » .

وما فعل الصوفية أكثر من ذلك إنهم مهتدون بهدى القرآن والسنة — يريدون للإنسان : أن يكون ربانيا ، فإذا ما استمر الكثير من الناس يخلدون إلى الأرض ، وينظرون دائما إلى أسفل ، فليس ذلك ذنب الصوفية ، فقد أدوا واجبهم نحو التوجيه إلى الله تعالى ، خير أداء .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما إذا لم يكتف بعض الأفراد بالإخلاد إلى الأرض وبالنظر إلى أسفل، وإنما أخذوا يهاجمون من يدعوهم للتطلع إلى السماء، ويوجههم إلى الله، تعالى، فهؤلاء: إنما يحاربون الله ورسوله، وجزاؤهم معروف.

٦ — وقد نتساءل: فيم إذن حوكم الحلاج وقضى عليه بالقتل؟!

إن أمر هذه القضية: قضية الحلاج: معروف سرها وما كان سرها خافيا في يوم من الأيام:

لقد كان الحلاج قوة جارفة: كان مركز الجاذبية لا يضارع، يلتف حوله الناس أينما حل، ويسيرون معه أينما ارتحل.

وكان — ككل صوفي — يحب آل البيت لأنه كان يحب الرسول، صلى الله عليه وسلم، وكان آل البيت إذ ذاك: يطمحون في أن تكون الدولة لهم، وما كان بنو العباس يطمئنون إلى شخصية كشخصية الحلاج المحبة لآل البيت.

نسل رسول الله، صلوات الله عليه، ومادام الحلاج دعاية قوية تسير في كل مكان، وتتجه إلى كل بلد، فيجب، حفظا على أمن الدولة وتحصينا لاستقرارها: أن ينكل بالحلاج.

وما كان مقتل الحلاج دينيا قط، كلا، وإنما كان سياسيا بحتا ومن السهل على الملوك المستبدين أن يزيفوا القضايا، وأن يأتوا بشهود الزور، وأن يعدوا القضاة بالمال والترقية وأن ينفذوا أهواءهم ...

فكان ما كان من قضية ومن قتل .. والدين من كل ذلك براء والألفاظ التي ينسبونها إلى الحلاج ليست في كتاب من كتبه، وكتبه: وبعضها موجود — لا تسند خصومه ولا تؤيدهم.

هذا ما كان من أمر الحلاج. وبقيت كلمة:

إن المنطق الصحيح: ألا يفتي المهندس في أبحاث الأطباء، وألا يحكم الأديب — باعتباره أديبا — في أعمال المهندسين ...

ومن العدالة — على هذا الوضع — :

ألا يحكم على هذه القمم الشامخة: ابن عربي، الحلاج، ابن الفارض. من لم يبلغ مداهم أو يقاربه.

لقد قيل مرة لأحد شيوخنا الصالحين الأجلاء: إن فلانا: ينتقد ابن عربي في المجلات، فقال، رضوان الله عليه: وهل من حق الخنافس أن تحكم على أعمال الأسد إن الخنافس لا تحكم على أعمال السباع وليس من حقها أن تتحدث فيما تفعله السباع ومنطقها دائما منطق الخنافس

لا بد أن يبلغ الإنسان المستوى، أو ما يقارب المستوى، وحينئذ سيقول كما قال أسلافنا الذين بلغوا المستوى أو قاربوه رضي الله عن سيدنا محي الدين، ورضي الله عن الحلاج، وعن ابن الفارض ونفعنا ببركتهم هذا وبالله التوفيق:

عبد الحليم محمود
عميد كلية أصول الدين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بعد نجاح مؤتمر القمة العربي

هذا واجب العرب فأين واجب المسلمين؟

للأستاذ حسن جاد

أكد نجاح مؤتمر القمة العربي الثاني بعد المؤتمر الأول أن العرب مهما غامت سماؤهم بالسحب العارضة ، أو وهت علائقهم بالدسائس الواغلة ، لا يتغير طبعهم العريق بعوارض الفتن ، ولا يتأثر جوهرهم الأصيل بغبار الأهواء ؛ يكشف الخطر الداهم عن أصالته ، وينم الليل الداجي عن لمعانه . فهم - كما عرفهم التاريخ - أنف أباة ، لا يقيمون على ضيم ، ولا ينامون على مذلة ، ولا يغضون على هوان .

هاهم أولاء وقد جد الجد ، بعد أن استفحل الخطب ، واستشرى الظلم ، وبلغت المأساة ذروتها في فلسطين ، وطال الأمد على قضيتها الإنسانية ، التي هزت العوالم ، ووخزت الضمائر ، وفطرت القلوب ؛ يتسامون عن الجراح الصغيرة ، ويتلاقون على الآمال الكبار ، ويجتمعون على الخطب المشترك ، ويجمعون على الهدف الموحد ، ويقررون بالعزم الواثق ، والحزم المصمم ، أن يأخذوا بالعمل ما لم يأخذوا بالكلام ، وأن يستردوا بالقوة ما ضاع بالسلام ، وأن ينالوا بغضبة الكريم ما لم ينالوا بحلم الحليم ، وهم يتمثلون قول الشاعر :

من الحلم أن تستعمل الجهل دونه
إذا اتسعت في الحلم طرق المظالم

وهكذا يبرز كيان فلسطين ، ويظهر لها جيش ، وتنظم لها جبهة تحرير ؛ وهكذا ينتفض الأسد العربي الرابض بعد جام ، ويتحفز للوثوب بعد لبد ، ويزأر زأرته الغاضبة الجلجلة ، فيصم آذان إسرائيل ، ويذوب في ضجته بغامها الحالم ، ومواؤها الضعيف .

وهكذا تتحرك الهمم الأبية للأخذ على يد العابثين بالنهر العربي ، فلا يعيثون في مائه الطاهر ، ولا ينتفعون بورده النمير .

لقد تحول الأمل الواعد الحالم إلى عمل حازم حاسم ، وصفع العرب بالحقيقة خيال الكلام ؛ وقاموا بواجبهم المقدس ، وهم يعلمون أن فلسطين قلب العالم العربي ؛ فهي بين القاهرة ودمشق ، وهي الجسر الذي يصل آسيا العربية بإفريقيا العربية ، وهي منفذ جزيرة العرب إلى البحر المتوسط ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وشعب فلسطين شعب عريق فى العروبة ؛ تحدر من أصلاب القبائل العربية قبل الفتح الإسلامى وبعده ؛ فالخنجر المسموم الذى أصاب هذا القلب خليق أن يثير الألم فى نفس كل عربى ، ويستثير مشاعره ، ويقض مضجعه ، ويقلق وجدانه .

إن الصهيونية الآثمة ليست إلا حركة عدوانية مدبرة ضد العرب ، بل ضد البشرية كلها . فهى إلى ما استهدفته من اتخاذ فلسطين وطنا للدولة اليهودية التى فكرت أول ما فكرت فى إنشائها ، تستهدف تدمير الحكومات التى لا توالى اليهود ، وتريد السيطرة على الحكومات العالمية ، وتتوخى التأثير على الدول القوية مثل أمريكا .

وقد استطاعت بقسلها الخفى ، ووسائلها الدنيئة أن تحقق كثيراً مما تريد حتى رأينا استهلال الغدر البريطانى بوعد بلفور المشئوم عام ١٩١٧م ذلك الوعد الذى قطعه لليونيل اليهودى (روتشيلد) بتأسيس وطن قومى لليهود ، والذى تردد صداه فى شعرنا العربى فندد بهذا الذى يجود من جيب غيره :

ألا ليت بلفور أعطاكم
بلاداً له لا بلاداً لنا
فلندن أرحب من قدسنا
وأنتم أحب إلى لنـــدنا

ثم توالت حلقات الغدر فى ظل الانتداب الذى شجع اليهود على شراء الأرض المقدسة ، ومكنهم من التأثير على كثير من غير الفلسطينيين وقليل من الأسر العربية ، بالأثمان المغرية ، والعروض السخية ، ليبيعوا ما يملكون من الأرض لهذه الفلول الشتيتة من العصابات اليهودية :

باعوا البلاد إلى أعدائهم طمعا
بالمال ، لكنما أوطانهم باعوا
قد يعذرون لو ان الجوع أرغمهم
والله ما عطشوا يوما ولا جاعوا
يا بائع الأرض لم تحفل بعاقبة
ولا تعلمت أن الخصم خداع
لقد جنيت على الأحفاد والهفى
وهم عبيد وخدام وأتباع
وغرك الذهب اللماع تكنزه
إن السراب كما تدريه لماع
فكر بموتك فى أرض نشأت بها
واترك لقبرك أرضا طولها باع

وظلت بريطانيا تعمل على تحقيق وعد بلفورها الذى جاد بما لا يملك ، حتى اقترحت قرار التقسيم ، وعملت هى ومثيلاتها من الدول الاستعمارية التى ترتبط مصالحها بالصهيونية على إحكام الخاتمة للمأساة فى عام ١٩٤٨ م والجيوش العربية — إذ ذاك — تعصف بها رياح الخيانة ، وتفتك بها أسلحة الغدر ، فلا راية تجمعها ، ولا قائد يوحدها ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولا إخلاص من ورائها . فهى تقاتل بلاسلاح ، وتحارب فى غير ميدان والشاعر العربى يتفجع لهذا المصير ويهاجم المقصرين والخائنين :

أيعرب يدرى أن غدرتم أذلة
لعمرى لقد سودتمو وجه يعربا
بنى العرب قد برأت منكم محمداً
فما كان إلا ثابت الجأش أغلبا

لقد تدارك أبطال العروبة اليوم ما فاتهم بالأمس ، وتعلموا من هذه المحنة القاسية أعظم درس فهم يتلافون ما شجر من الخلاف ويطبون لما جنته الفرقة ، وينتفضون انتفاضة عملاقة تمسح عن جبابهم الكريمة تراب المذلة ، وتحمل كواهلهم الشامخة واجب الشرف والكرامة ، وتثير فى نفوسهم العربية نخوة الإباء ، وحمية الأنفة ، لإنقاذ العروبة فى فلسطين .

ذلك واجب العرب نحو فلسطين العربية ، فأين واجب المسلمين نحو فلسطين المسلمة ؟ على ثراها الطاهر درج موسى والمسيح ، وفوق روابيها الخضر اتصلت الأرض بالسماء وإلى مسجدها الذى بارك الله حوله سرى خاتم الأنبياء ، وهو ثالث المساجد التى تشد إليها الرحال ، وتعلق بها الآمال ، وتهفو المشاعر وتصبو القلوب

إن إسرائيل التى تحالف الاستعمار لتحقيق أغراضها ، وتستغل السياسة لبسط سلطانها ، تحاول جاهدة أن تنافق الدين بالتدليس الصريح ، وأن تتعلق المسيحية بتهويد المسيح لتبرر وجودها الزائف وتدعم كيانها المزعوم فما بال المسلمين - ودينهم بتاريخه وذكرياته وقبلته ومناسكه يربطهم بهذه الأرض المقدسة ويشدهم إليها - لا ينهضون باسم الإسلام لنجدتها واستنقاذها ؟ !

إن الحقيقة التى تهزم الباطل لتهيب بالمسلمين فى شتى بقاع الأرض أن يهبوا مع العرب لاسترجاع تلك البقعة السليبة من وطنهم الإسلامى .

وإن دينهم الذى شرع الله لم ليفرض عليهم الجهاد المقدس لإنقاذ هذه الأرض المغصوبة ، فليكن منهم جيش إسلامى يقف مع جيش العروبة ، ولتكن لهم منظمة إسلامية تشد أزر منظمة التحرير العربية ، وليعلموا أنهم فى حق دينهم آثمون ، إن استناموا للضيم ، واستكانوا للذلة ، وأصموا آذانهم عن صيحات إخوة لهم مشردين ، أخرجوا من ديارهم بغير حق ، وغضوا أبصارهم عن أرض ترتبط بها مشاعرهم وفيها مقدساتهم ، تعيث فيها ذئاب اليهودية وتمرح بها كلاب الصهيونية ، وليتذكروا أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ؟

حسن جاد حسن
مدرس بكلية الدراسات العربية
جامعة الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكيان الفلسطيني

للأستاذ محمد محمد خليفة

ولد الكيان الفلسطيني بعد ستة عشر عاما قضاها أحرار هذا الشعب في سجون الحسرة والألم تشويهم نار الغيظ ، وقضاها غير الأحرار ممن استعبدهم حب الحياة الوادعة غرباء عن قضيتهم ، منهم من نزح وراء العيش ومتاع الحياة إلى أرض عربية أو غير عربية ، وأكثر هؤلاء لا تربطهم بفلسطين غير أطياف من الذكريات البعيدة التي تعبر خواطرهم كلما ذكرت فلسطين ، وقد يعاودهم الحنين إليها في المنأى ، ولكن حنينهم لا يلبث أن تخمد جذوته أمام العيش الناعم والحياة المطمئنة في المهجر .

ومنهم من يعيش على أرضها وقد شغلته دنيا أسرته الصغيرة عن كيان شعبه الممزق ، أو استسلم لليأس فانطوى معه لا يهزه ضجيج الأحداث التي ترعد من حوله ومن أجله .

لقد ولد الكيان الفلسطيني ولكنه لن يقوى على مجابهة الأهوال والأنواء التي تواجهه إلا إذا أحس كل فلسطيني نازح أو مقيم بواجبه نحو هذا الكيان ، وآمن بأنه قوة تتفاعل وتتساند وتتفانى في دعم هذا الكيان وفي خلق جيش يحمل أعباء الأمانة التي ألقاها على كاهله مؤتمر القمة العربي .

وإن واجب الفلسطينيين الذين يعيشون في البلاد العربية في ظلال الجنسيات الممنوحة أن يتخلوا عن تلك الجنسيات ، وأن يهرعوا إلى حيث يخفق لواء فلسطين ليتجمعوا في ظلاله ويحسوا بالعزة التي غاب عنهم سلطانها والوطنية التي تاه عنهم مكانها .

وإن عشرات الألوف من المهاجرين والمهاجرات ليس مكانهم بعد ميلاد الكيان الفلسطيني في الأسواق والمتاجر ، ولا بين المدارس والمعاهد والجامعات ولا بين المزارع والحقول في فلسطين وفي غير فلسطين ، وإنما مكانهم معسكرات التدريب فيها وفي جاراتها ، وفي المصانع التي تصنع الموت لمن اغتصبوا منها الحياة .

وواجب كل ملك أو رئيس عربي أن يرغم على العودة إلى فلسطين كل من أنكر جنسيته الفلسطينية واستمرأ الضيافة ، أو استطاب الحياة في كنف الجنسية الموهوبة .

وإن منهج المعسكرات كما سيعنى بالتدريب يجب أن يعنى بالخلق والتربية والتهذيب خلق الإيمان بهذا الكيان ، وخلق الاستعداد لبذل الطاقات التي اختزنت ستة عشر عاما ، ثم تربية النفوس تربية صادقة يكون توامها حب العمل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى كل مجال يدعوهم إليه بناء الدولة الجديدة ونسيان الفردية التى كانت تعمل من قبل فى ظل الهوى الفردى ، ولا تلقى لها وجودا فى مجال العمل الشعبى وتكوين الأخوة الشعبية التى أضعف التقسيم عراها فوهت على الزمن أقوى رابطة لا ينكر أثرها فى الخلق والقوة حتى ليكاد يحس ابن جليل أنه لا يرتبط بالعربى الحبنى أو الرخى برباط شعبى .

وأخيرا يجب أن يعنى بتهذيب تلك الطباع التى جعل منها التشريد والحرمان فى رأى الدعايات المفسدة طباعا حاقدة على الأصدقاء والأعداء على السواء إن طباع المغتربين والمقيمين أحوج ما تكون إلى الصقل والتثقيف وإزالة الرواسب التى غيرتها وربطها بالكيان العربى الكبير ، وخلق الإيمان بمستقبل الأمة العربية الكبيرة قبل أن تزحف تلك القوى إلى المعركة الفاصلة .

وهنا يبرز دور الهداة والمصلحين إلى جانب دور القادة والمدربين ، وقد يكون جهد المصلح أشق وأعنى من جهد المدرب لأن الوصول إلى طوايا النفوس واكتشاف خفاياها ، وإزالة ما فيها من شذوذ قد ينحرف بها عن صراط الحق وغرس الحب والوفاء والصدق والأمانة ، وتعهد كل ذلك بالإنماء فى ظل الأخوة العربية قد لا يتيسر كل ذلك أو بعض ذلك إلا لمن آتاه الله الحزم والعزم والإيمان والصبر وآتاه مع كل ذلك روح الطبيب الحاذق يشخص ويداوى بعد أن يلمس الداء .

ومن ثم يجب أن يختار إلى تلك المعسكرات صفوة منتقاة من الهداة والمصلحين الذين يؤمنون برسالتهم ويؤمنون بالعمل وبذل كل الطاقات لخير هذه الرسالة ، فحين ترسم القيادة وتخطط يجب أن يوضع فى حسابها أن الموقف يستدعى قيادات روحية دينية واجتماعية تصلح النفوس ، وتهيء الأرواح وتخلق فيها روح الفدائية والتضحية التى حملها الآباء العرب فى الماضى الأبعد والبعيد ، فحطمت كبرياء الفرس وإباء الروم ، وردت عن الشرق وحشية التتار .

تلك الروح المؤمنة العامله الباذلة هى التى ترتقبها فلسطين الجريحة فى عهدها الجديد .

وتلك الروح هى التى يجب أن يتسلح بها الفلسطينى قبل أن يخوض المعركة وقبل أن يأخذ مكانه فيها .

وليس مكان الفلسطينى على الحدود ينتظر صيحة الانطلاق ، وإنما مكانه قلب يافا وحيفا وتل أبيب حيث ينقض صاعقة تحرق قبل أن تحترق وتدمر قبل أن تدمر ، وتقضى على الأخضر واليابس قبل أن تتحول إلى رماد وتحمل الفناء لمن حرمها البقاء ، وتهدى الموت لمن نزع منها الحياة ، وكل ذلك حين تدوى على الحدود صيحات الزحف ، فكأنه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى معركة العودة قلبها لأن الأرض التى باعها أبوه بثمن بخس، والأرض التى اغتصبت من أبيه، والأرض التى قدم لها أبوه روحه ودمه ثم طرد منها بنوه، كل تلك الأرض خليق بالفلسطينى أن يستردها بكل ما يملك ليعرف ما بذل فيها حتى يكون حرصه عليها أشد مما لو أهدتها إليه الجيوش العربية بعد أن تشتريها بالمال والدم والأرواح.

وجيوش الأمة العربية كلها حين ترى الفلسطينى فى قلب المعركة لن تضن عليه بالمال ولا بالدم ولن تمن عليه يوماً بما بذلت لأن الأخوة الصارخة فى الدم تستحثها أبداً للعمل لحق العربى ويسعدها البذل فى رد هذا الحق وإن كان غاليا، ويسعدها أن تصون له ومعه هذا الحق، وإن عادت فى سبيل ذلك الدنيا وإن عرضت اقتصادها للاضطراب فكل غال هين بذله فى سبيل الأخوة.

وإن أسلحة الشعوب العربية فى معركة الكيان الفلسطينى مختلفة الألوان ولكنها متضافرة القوى، ستحارب إسرائيل فى أرض فلسطين بالمال والرجال والعتاد، وتحارب الشعوب التى تقف وراء إسرائيل بسلاح الحرمان من البترول الذى تغله الأرض العربية ولهذا السلاح خطره على الغرب، وإن العرب ليرتقبون اليوم الذى يعلن فيه تنفيذ قرار حرمان الدول المنتصرة لإسرائيل من البترول ليجعلوه عيدا من أعيادهم القومية.

وإن أنصار الحق والحرية فى كل شبر من العالم سينتصرون للقضية التى ملأ الرأى العام العالمى شهودها.

ولن تستطيع الصهيونية العالمية التى تتجر بمصائر الشعوب أن تخرج من المعركة منتصرة لأن مالها الذى تشترى به العروش، وتقيم به العروش لن يجدى شيئاً حين يغضب أنصار الحق للحق، وحين تتكشف للدنيا الأصابع العابثة بالحكومات المتلاعبة بالرياسات. أيها الملوك والرؤساء العرب.

إن عشرات الملايين التى عاشت معكم أرواحها أيام مؤتمر القمة فترجمت مالاح فى وجوهكم وعيونكم من المعانى، ثم رأت فى الجلسة الأخيرة إشراقات الأمل، وابتسامات المنى تشع على الوجوه وترتسم على الشفاه. هذه الملايين التى سرها اجتماعكم يسرها أبداً أن تراكم قلباً واحداً ورأياً واحداً وعزماً واحداً وصفاً واحداً تقف وراءه شعوبكم تنتظر إشارة الانطلاق إلى بناء مجد عربى موحد تلتقى فى بنائه الأيدى والقلوب والعقول والأموال وتعمل طاقات العرب جميعاً لخير العرب جميعاً وإن الكيان الفلسطينى هو أول عمل فى صرح المجد العربى الموحد فمتى ترى ملايين العرب ذلك الصرح المنشود يطاول السماء.

محمد محمد خليفة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وثنيّة بنى إسرائيل

للأستاذ على الخطيب

لم يكن يبدو أن الأكثرية من بنى إسرائيل راضية بحال عن موسى صلوات الله وسلامه عليه ، ولم تكن - فى الوقت نفسه - تحترم فى شخصه جلال النبوة ، أو ترعى لها أدبا . فكانت تصرح بسخطها منه وتقول لموسى : « ... أوذينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعد ما جئتنا - الإعراف ١٢٩ » ، وكان هرون عليه السلام يشعر بعداوة فريق منهم له . وهذه الروح المتمردة فيهم لا ينكرها العهد القديم المتداول فقد سجل موقف هذا الفريق من موسى وهرون فى قولهم : « ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر . إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع ، فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكى تميتا كل هذا الجمهور بالجوع - خروج ١٦ - ٢ ، ٣ » .

وتاريخ بنى إسرائيل مع أنبيائهم ناطق بهذا الجحود والنكران حتى أسفروا فى النهاية عن مقت شديد للنبوة فأعملوا فى أنبيائهم قتلا وتذبيحا . وفى القرآن الكريم أكثر من آية تصمهم بهذه الجريمة النكراء ضد قوم عزل لا يرفعون سلاحا ، ولا يملكون إلا الكلمة الطيبة ، والدعوة المخلصة دون أن يسألوا أجرا أو يطلبوا نفعا يقول تعالى : « لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون - المائدة - ٧٠ » .

فلم يكن المولى جل وعلا مطاعا فيهم ، ولا كانت شريعته - وهى هدى ونور - بسارية فى أوساطهم . خرجوا على الرب ، وفسقوا على شريعته فالتمسوا إلها غير ربهم ، ودينا يخالف شرعته وانحرفوا مبكرين إلى الوثنية ، وموسى وهرون بين ظرانيهم .

وحسبنا أن نمر بالعهد القديم ، ونطلع على وثنيتهم وتخطيطها حتى نتبين فى جلاء أن القوم لم تكن لهم فلسفة فى وثنيتهم . وذلك لسبب بسيط هو أنهم تلمسوا الوثنية من غيرهم ، وطلبوها خارج حدودهم . فلم تكن للقوم وثنية تخصهم لذلك كان نزوعهم إلى هذه الوثنية يسجل عليهم قحولة الفكر ، ونضوب الروح ، وضيق الأفق الذى يستبدل بجلال الوحدانية ، وسمو تكريمها للخلق عبادة بشر أو حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنهم شيئا . فى نفس الوقت الذى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أعجبت بشريعتهم فيـــه أمم ودانت لها مختارة[1] . فما كانت هذه الوثنية فيهم إلا حبا للخروج على ربهم والضيق بشريعته ، ومخالفة أمره حتى لقبوا فى العهد القديم بالبيت المتمرد (حزقيال ٣ - ٩) .

وقد تمردوا من عهد موسى حتى ظهر فيهم المسيح عليهما السلام .

١ — فبعد أن عبر بهم موسى البحر ، ورأوا بأعينهم قدرة الله الخارقة ، وإعجازه المحيط ، مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم : « فقالوا : يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة . قال : إنكم قوم تجهلون : إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين » - الأعراف ١٣٨ - ١٢٩ - ١٤٠ - .

وحين تركهم للقاء ربه الذى استغرق أربعين يوما ليتلقى ألواح الشريعة استخلف فيهم هرون أخاه ، فاتخذ لهم السامرى عجلا جسداً له خوار وغادروا فيما بينهم : « هذا إلهكم وإله موسى » ولم يعبأوا بنصح هرون ولا بقوله : « يا قوم إنما فتنتم به ، وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى » - ٩٠ ، ٩١ - ، واستضعفوا هرون وهموا أن يقتلوه ، خشى أن تتفرق كلمتهم ، وتذهب وحدتهم ، ويأتى موسى فيراهم ممزقين فانتظر بعد أن ذهبت جهوده سدى . وإذ رجع موسى ورأى ما فعلوه أخذه الغضب فألقى بالألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه وصاح فيه : « يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى أفعصيت أمرى قال يبنؤم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى » - طه ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ - .

« إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء ، ولا تجعلنى مع القوم الظالمين » - الأعراف ١٥٠ - ، فناجى موسى ربه قائلا : « رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين » - الإعراف ١٥١ ، وقال تعالى فى أصحاب العجل : « إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين . الإعراف ١٥٣ .

٢ — ولما قضى موسى وهرون تمادى بنو إسرائيل فى العصيان ، وأمعنوا فى التمرد ، وجلبوا الأصنام ممن أحاط بهم من أمم ، وأقاموها فى أنحاء شتى بمدنهم : فى المرتفعات ، وعلى الطريق وأقاموا لبعضها كهنة ، وعكفوا عليها رجالا ونساء متناسين كل نعم

---

(١) انظر « المسألة الصهيونية فى نظر العلم » للدكتور محمد عوض محمد - من رسالات الجامعة العربية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الله وأفضاله عليهم . وقام النسوة بحرق البخور لها ، وقدم الكثير منهم لها نذوراً ، وصرخ فيهم أنبياؤهم وهددوا بالإبادة دون جدوى وفى سفر حزقيال ورد الإنذار : « واضع جثث بنى إسرائيل قدام أصنامهم ، وأذرى عظامكم حول مذابحكم ٦ - ٥ » ، لكنهم استمرأوا الزيادة والتوسع فى ألوان الوثنية فعبدوا النار : « وبنوا المرتفعات التى فى وادى ابن هنوم ليجيزوا بنيهم وبناتهم فى النار لمولك - إرميا ٣٢ - ٣٥ » ، ومولك - كما يبدو - هو من أوثان الفينيقيين الذى نقلوه معهم إلى « قرطاجنة - تونس » وكانت له ذراعان ممدودتان ذوا محور . توقد تحت نصبه النار . ويوضع الطفل فوق ذراعيه فتهبطان به فيها . فقتل بنو إسرائيل كثيراً من أطفالهم سفها وفيهم من ينذرهم بجرم ما يفعلون .

ولم يكتفوا بما نصبوا من أوثان فوق الجبال ، وبين الطرق فنقلوا رجسهم داخل بيت المقدس وملأوا بها مقاصيره حتى كان ببعض حجراته ... « كل شكل دبابات ، وحيوان بجس ، وكل أصنام بيت إسرائيل مرسومة على دائرة ، وواقف قدامها سبعون رجلا من شيوخ بيت إسرائيل - حزقيال ٨ - ١٠ » ، وفى مكان آخر بالبيت كان : « هناك نسوة يبكين على تموز حزقيال ٨ - ١٥ » ، وفى أحد أماكن الصلاة أعطوا ظهورهم للقبلة ، ووجوههم نحو الشرق وهم ساجدون للشمس حزقيال ٨ - ١٦ » .

٣ — وقد ختمت فرقة منهم وثنيتها بعبادة البشر فعبدت عزيراً - عزرا - كاتب الشريعة التقى الذى كان يحفظ التوراة عن ظهر قلب . فى القرآن الكريم : « وقالت اليهود عزير ابن الله . التوبة ٣٠ » ، وكان عزير فى أسرى بابل . وخرج بكثير منهم إلى بيت المقدس حين سقطت بابل تحت الحكم الفارسى . وقد تذلل العزير لربه أن يقبل توبتهم ويصفح عنهم ، فما كان من فرقة منهم إلا أن عبدته بنظرية الحلول . تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً . وعبدوا كوشان ملك آرام ، وعجلون ملك موآب (قضاة ٣) .

تلك صورة سريعة لوثنية بنى إسرائيل يبدو فيها قليل من كثير مما حواه العهد وصدقه القرآن ، وهى وثنية واسعة النطاق تمثل الصابئية فى عبادة الكواكب ، والتوتمية فى تقديس الحيوانات . والمجوسية فى عبادة النار . وبذلك ضاع بينهم منهج التوراة ، ونقضوا عهد الله وحرفوا شرعته فضرب الله عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا بغضبه : « لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون » .

على الخطيب
مجمع البحوث الإسلامية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بمناسبة افتتاح العام الدراسي

مشاكل التربية الدينية والخلقية والاختلاط

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

يكثر الحديث في هاتين المشكلتين في فاتحة كل عام دراسي ، ويذهب الناس في شأنهما مذاهب شتى ، ولكنهم يكادون يجمعون على أننا لم نصل بشأنهما إلى حل سليم يرضى عنه نظامنا الديني ، ويوائم تقاليدنا وعرفنا الخلقي وأوضاعنا الاجتماعية العامة . بل يكاد يجمع علماؤنا على أننا لم نصل في صددهما إلى حل يتفق مع ما تقرره علوم التربية .

١ — أما فيما يتعلق بالناحية الدينية والخلقية فقد قامت النظم التي وضعت للمدارس الابتدائية والثانوية في عهد الاحتلال ، وهي التي وضعها دنلوب المستشار الإنجليزي لوزارة المعارف حينئذ وتعهد بها خلفاؤه من الإنجليز والمصريين ، قامت هذه النظم على إغفال ناحية الدين من التربية في المدرسة بل على محاربته من وراء ستار ومحاربة ما يتصل به من شئون التربية الخلقية والاجتماعية ، وجريا على طريقتها الماكرة في ستر سوءاتها وذر الرماد في العيون ، فسحت السياسة الدنلوبية في هذا الصدد مجالا يسيرا لبعض دروس في الديانة ، ولكنها أمعنت في التهوين من شأن هذه الدروس ، فوضعتها في هامش المنهج الدراسي ، وأعفت التلاميذ من الامتحان فيها ، أو قررت فيها امتحانا رفيقا لا يترتب عليه أثر ما في نجاح التلميذ ورسوبه ، أو يترتب عليه أثر ضئيل — وما كان ينتظر من السياسة الدنلوبية أن تعنى بنواحي التربية الدينية والخلقية في مصر ، وقد كان كل همها العمل على انحلال الشعب المصري !

ثم أخذت المدرسة المصرية بعد أن تحررت من سيطرة الإنجليز توجه قسطاً من عنايتها إلى هذه النواحي ، ولكنها لا تزال إلى الوقت الحاضر مقصرة في جنبها تقصيرا كبيرا ، ولا تزال بعيدة كل البعد عما ينبغي أن تكون عليه . ففي أحوج خطة للمدارس الثانوية التي يجتاز طلبتها مرحلة المراهقة والبلوغ ، وهي أدق مراحل الحياة جميعاً ، وأشدها حاجة إلى التربية الدينية والخلقية ، لا نجد إلا نحو ساعة واحدة فقط في الأسبوع للدين والتهذيب ، بينما نخصص فيها أكثر من ثلاثين ساعة أسبوعيا لمواد كسب الحقائق وحشو الذهن بالمعلومات .

والمدرسة المصرية إذ تقصر في شئون التربية الدينية والخلقية إلى هذا الحد تعمل على إضعاف أهم دعامة من مقومات الحياة الإنسانية على العموم ومقومات الشعب المصري بوجه خاص ، وتفسح المجال لعوامل القلق والاضطراب والانحراف في التفكير والسلوك هذا إلى أن دروس الديانة والتهذيب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بالصورة التى تدرس بها فى مدارسنا لا تقوى وحدها على تحقيق الغرض من التربية الدينية والخلقية مهما كثر عددها ، حتى لو وضعت فى صلب المنهج الدراسى ، وقرر فيها امتحان دقيق تترتب على نتائجه آثار ذات بال فى نجاح التلميذ ورسوبه . فمهما بولغ فى شأنها فإنها لا تعدو أن تكون مجرد مادة من مواد كسب المعلومات وحقائق تحشى بها أذهان التلاميذ ، وليست التربية الدينية والخلقية بمواد تدرس ، ولا حقائق تحفظ ، وإنما هى مناهج للسلوك يؤخذ بها الطالب فى مدرسته بوسائل تربوية سليمة حتى يألفها وتصبح محببة إليه وجزءاً من طبيعته ، هى طرق عملية تنشؤه على الفضيلة وتزينها فى قلبه ، وتنفره من الرذيلة وتبغضه فيها ، وتكون لديه الحس الخلقى السوى الذى يستطيع بفضله أن يميز بالبداهة الخير من الشر والخبيث من الطيب ونقاً للنظم التى يرتضيها دين أمته ويقرها عرفها الخلق ؛ هى قوالب يدرب الطالب فى مدرسته تدريباً عملياً متواصلا على أن يصب فيها أعماله وأفكاره المتعلقة بشئون الأخلاق وبواجب الإنسان نحو ربه ونفسه وأسرته ووطنه والإنسانية جمعاء .

فبناء مسجد مثلا فى فناء المدرسة ، وإشراك التلاميذ فى تشييده وتأثيثه وأخذهم بإقامة الصلاة فيه فى مواقيتها ، وتوزيع الأعمال اللازمة له عليهم من أذان وإمامة وخطابة وتعهد مرافق ، وما إلى ذلك ، وتمرسهم بهذه الأمور تمرساً عملياً تحت إشراف أساتذتهم ، كل ذلك خير من ألف درس وموعظة تلقى عليهم فى أهمية الصلاة وثواب فاعلها وعقاب تاركها يوم القيامة ، وتكوين جمعيات من بين الطلبة لشئون الخدمة الاجتماعية والإصلاح الاجتماعى والإسعاف والنجدة والبر بالفقراء وشئون التعاون بمختلف فروعها ، ومزاولتهم لهذه الأمور مزاولة عملية تحت إشراف أساتذتهم خير من ألف درس يلقى عليهم فى فوائد التعاون والتواصى بالخير والتكافل الاجتماعى وواجب الإنسان نحو أخيه الإنسان .

وقد عنى الإسلام وعنى مفكرو الإسلام أكبر عنايه بتكوين العادات السالحة عن طريق القدوة الحسنة وعن طريق أخذ النشء بمزاولة الفضائل والواجبات الدينية مزاولة عملية . قال تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » ، وفى الأثر الشريف : (مروا أولادكم بالصلاة لسبع أى وهم فى سن السابعة (واضربوهم عليها لعشر) أى اضربوهم على تركها إذا بلغوا العاشرة ، ويقول عمرو بن عتبة لمعلم ولده : « ليكن أول إصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقبيح لديهم ما تركت » ، ويرى الغزالى وجوب أخذ الطفل بمزاولة الفضائل والواجبات الدينية مزاولة عملية متى بلغ سن التمييز ، وفى هذا يقول : « متى بلغ الطفل سن التمييز وجب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ألا يسامح فى ترك الطهارة والصلاة وأن يؤمر بالصوم فى بعض أيام رمضان » .

ويؤسفنا أن نقول إن المدرسة المصرية فى الوقت الحاضر قد أضافت إلى تقصيرها فى تدريس الدين والتهذيب تقصيراً آخر فى أخذ تلاميذها بشئون السلوك الدينى والخلقى فهى لا توجه إلى هذه الناحية العملية من الدين والأخلاق ما ينبغى أن يوجه إليها من عناية بل إن جوا لا يساعد كثيراً على بث العادات الصالحة فى النفوس .

٢ — وأما فيما يتعلق بالاختلاط بين الجنسين فى معاهد التعليم، فإنه يحدث لدينا فى مرحلتين : إحداهما مرحلة التعليم الابتدائى والأخرى مرحلة التعليم الجامعى ، وكلا هذين النوعين من الاختلاط دخيل فى الشعوب العربية قد انتقل إليها من نظم التعليم فى أمم الغرب .

ويكاد الباحثون من العرب يجمعون على أنه لا خوف مطلقا من اختلاط الجنسين فى المرحلة الأولى من التعليم ، بل لا خوف أن يمتد هذا الاختلاط إلى بعض سنى المرحلة الإعدادية ما دام الأطفال دون الثالثة عشرة ، أى قبل أن يبلغوا سن المراهقة وتبدو لديهم مظاهر الغريزة الجنسية بل يكادون يجمعون على أن للاختلاط فى هذه المرحلة آثاره الطيبة فى حياة الجنسين وائتلافهم وحو النظرة الجنسية من نفوسهم

ولكنهم يختلفون فى نظرتهم إلى

الاختلاط فى مرحلة التعليم الجامعى :

فبعضهم يرى أنه ضرورة من ضرورات الحياة الجديدة ، وأن من شأنه أن ينمى من شخصية الفتاة ويشعرها بذاتيتها وكرامتها ، ويزيد من تجاربها ، ويغير من نظرتها إلى الجنس الآخر ، كما أن من شأنه أن يكسب الفتيان شيئا غير قليل من الحذر والحيطة والصقل والوداعة فى أخلاقهم وسلوكهم ومظهرهم وحديثهم . ويذهب هذا الفريق إلى أن العثرات والانحرافات التى تحدث بسبب هذا الاختلاط هى من الندرة والتفاهة بحيث لا تستحق أن تثير فى نفوسنا أقل قلق ، كما يدل على ذلك سجل الحوادث والعقوبات فى كثير من الكليات .

ويذهب الفريق الآخر إلى أن هذا الاختلاط قد أدى إلى أضرار خلقية بالغة ، وأخذ يتهدد البيت العربى الإسلامى ويتهدد تقاليده ومقدساته بشر مستطير ، وأن ما يصل من عثرات هذا الاختلاط ومخالفاته وانحرافاته إلى علم العمداء ورؤساء الأقسام وما يدون منها فى سجل الحوادث لا يعد شيئاً مذكورا بالقياس إلى ما يحدث بالفعل ولا يصل شىء من أخباره إلى علم الرؤساء ولا إلى أوراق الملفات . بل إن ما يصل منها إلى علم الرؤساء وأوراق الملفات يتمثل معظمه فى أمور ملفقة كيدية يقصد بها إلى النكاية بالأبرياء لإشباع الأحقاد أو تحقيق

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

البذل فى سبيل الله بيع رابح

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » .

مر أعرابى مسلم على النبى صلى الله عليه وسلم - والنبى يتلو قول الله تعالى « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - الآية » .

فقال الأعرابى : هذا بيع مربح - رابح - والله لا نقيله ، ولا نستقيله .. أى لا نرضى برفضه علينا من جانب الله ، ولا نعرض عن التمسك به والحرص على إنفاذه من ناحيتنا !!

ثم نشط الأعرابى من ساعته إلى الجهاد غازيا مع الجيش حيث كان .

وقد صدق الله أمنية الأعرابى ، فاستشهد فى جهاده كما أحب ، وذهب من أهل الجنة كما وعد الله .

فطن الإعرابى إلى أن فى هذه الآية عهدا من جانب الله لعباده المؤمنين : أن من بذل نفسه وماله ، أو بذل أحدهما فى مقاتلة أعداء الله فكأنه باع ذلك المبذول لله بثمن مضمون ، مربح ، تتعلق به الرغبة .

ومن نوازع الفطرة أن البائع دائما يطمح إلى عوض تطيب له نفسه غاية ما يمكن .

والله تعالى يمثل هذه التضحية من جانب عباده فى صورة المبادلات المالية التى يقترن فيها المثمن بثمنه .

ويسوق ذلك فى صيغة مؤكدة ، ويبادرنا فيها بذكر الثراء من جانبه ، ليشعرنا بأن الرغبة فى هذه المعاوضة من ناحيته هو - سبحانه -

فهو يتطلب من عبده أن يستجيب لرغبة علوية أبدية له ، ويطمئن عبده على استحقاقه للعوض ، دون امتنان عليه بما هو حق يستوجبه عند ربه كاملا غير منقوص .

وصورة هذا فيما يجرى بيننا أن يتقدم الراغب فى شىء ، ويبتدر صاحبه بقوله :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنا اشتريت منك هذا بكذا . يتفاءل صاحب الشيء بالرغبة فيما عنده قبل أن يعرضه للبيع، وتهش نفسه لرواج سلعته وارتفاع ثمنها .

فكذلك العبد المؤمن : حينما يسمع هذا التعبير من كتاب ربه يطمئن إلى التقدم بتضحيته ، ثم يستحق الجزاء الذي وعد به .

وهذا أسلوب من أساليب المعاهدة بين الله وعباده . . . والله يوفي الجـــزاء بغير حساب .

وهل يكون عهد الله بمجازفة : وهو القادر على كل شيء ؟ ؟

أو يكون تفضله على عبده بما يشاء من جزيل العطاء أمرا مريبا ؟ ، ومن أوفى بعهده من الله » ؟

إن الله خلق الناس ، وهو مالكهم ، ومالك أموالهم التي منحهم إياها .

وهو مع ذلك يدعوهم إلى ترضيته ببذل ما منحهم ... ويعدهم حقا بحسن العوض على هذه الترضية ، حتى كأنهم متفضلون : لا مدينون له . .

فأي إشادة فوق ذلك الثناء ؟ وما عسى أن يكون الجزاء بعد هذا ؟ .

هو الجنة . والجنة غاية الغايات للطامحين .

وكل نعمة ترمقها العين في الدنيا ، أو تهفو إليها النفس في الحياة ، أو يسبح وراءها الخيال فهي وميض من ملامح الجنة، وقبس من نفحها ، ورمز تذكاري لما هناك في عالم الرضوان والخلود .

أليس يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - « فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » صدق رسول الله .

هذه الجنة : هي مصداق عهد الله الذي رضي البيع والشراء مع المجاهدين من عباده المؤمنين الذين نهضوا إلى دعوة الله ، ووقفوا في مصاف جنوده « يقاتلون في سبيل الله » فيقتلون العدو ، أو يقتلهم العدو .

فإذا كانت لهم الغلبة فقد نكلوا بمن كان يتبجح لله ، ويناوئ دعوته ، ويتطاول على جبروت ربه القادر .

وإذا ما كانت عليهم الغلبة من العدو فهذا بلاء من الله لإيمان المؤمنين : ثم ذلك في حقيقته تنبيه وإشعار للعدو بأن لله جنوداً من عباده يرخصون أرواحهم ، ودماءهم في نصرة دين الله ، مؤثرين الموت على الحياة في نصرة حق الله على باطل أعدائه ، وفي سبيل تمهيد الطريق أمام كلمة التوحيد ، ليمتد صداها في الآفاق .

فهؤلاء المجاهدون أنصار لله على كلتا الحالتين : حياة . أو موتا .

ومن أجل هذا كان انتقالهم عن الدنيا إلى حياة أخرى عند ربهم . لا إلى خمود وفناء كغير المجاهدين ... ولا إلى عذاب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وجحيم كاقتتال الكافرين « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا، بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

ذلك مقام الشهداء عند ربهم ، وهو عهد سجله الله على نفسه : فى التوراة ، والإنجيل والفرقان ... وليس أحد أصدق حديثا من الله ... ولا أوفى بعهده من الله ! !

وهذا — هو قول الله تعالى : « فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » ...

غير أن البذل فى الجهاد قد يشوبه رياء أو يخالطه تردد ، فيكون جهادا فى ظاهره ، دون حقيقته ولا يكون الباذل لنفسه ، أو ماله ، معدوداً فى حساب المجاهدين عند الله كأناس أخذهم الغرور بالشجاعة ، أو استبد بهم الرياء أو كان همهم إدراك الغنائم فحسب فلم يكن لهم من فضل الجهاد نصيب .

ولقد كان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم رجل مغوار ، عرف بين الصحابة بالبطولة النادرة ، إذا نزل إلى ساحة الجهاد أزعج الأبطال ، وفتك بالكثيرين .

وحينما بلغ النبى ما بلغه عن شجاعة هذا المجاهد قال : إنه من أهل النار .

فزع الصحابة لهذا النبأ ، وأخذهم الأسف والعجب لهذه المفاجأة ، وظلوا فى ارتقاب لشأن صاحبهم هذا .

ثم وقعت غزوة ، واشترك فيها البطل ، وأصيبت ذراعه ، وتدلت معلقة بجانبه ، فلم يطق أمله ، وبادر بالتخلص من الحياة ، فغرس حربته فى الأرض على قبضتها ، وتحامل على شفرتها ببطنه فنفذت من ظهره ، ومات لساعته .

فكان أسف الصحابة ثانياً من قسوة الرجل على نفسه .

وذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه خبره ، فصاح الرسول فى نشطة ، وقال : (أشهد أننى رسول الله ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها .

وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)

ومن أول الحديث ظهر للصحابة أن صاحبهم كان مرائيا فى جهاده ، ولم يكن صادق الإيمان كما ظنوا ولو كان صادق النية ومحتسبا جهاده لله لصبر على بلائه ، كما صبر ويصبر غيره من المجاهدين .

وبسبب ذلك حبط عمله ، وصدقت نبوءة رسول الله فيه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وعلى عكس هذا : من يكون بعيداً عن الطاعة ، ثم يزداد يقينه ويخلص فى عمله ، فإنه يكون مقبولاً ، ولو كان فى خاتمة المطاف من دنياه ، ولكل درجات مما عملوا » .

لذلك بين الله لنا أن المجاهد الموعود بما سلف هو من كان متسما بسمات الإيمان الحق وهم المذكورون فى قوله تعالى : « التائبون العابدون — الحامدون — السائحون — الراكعون الساجدون — الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر — والحافظون لحدود الله » ...

فحينما يكون المرء على هذه المناقب : من توبة مستمرة ، وعبادة خالصة ، وسياحة فى أفق العلم ، والتفكير فى صلته بربه وما بقى من المجاهد المذكورة يكون جهاده — إن جاهد بنفسه وماله — جهادا حقاً ، ويكون هو المعنى بوعد الله على أكمل ما يتعلق أمله ...

ويزيدنا اطمئنانا إلى ما فهمنا : أن الله تعالى يختم هذه الآية كلها بتأكيد وعده ، ويجعل ثناءه فيقول : « وبشر المؤمنين » .

فماذا بقى من تأكيد وعد الله أكثر من ذلك .

وماذا بقى من ترغيب فى عطاء الله فوق ماحفلت به آية البيع المربح كما قال الأعرابى ؟

وبعد :

فقد تبين لنا أن سبيل الله فى هذه الآية هو خصوص القتال دفاعا عن الدين ، وكفا لأعداء الإسلام عن مقاومة الدعوة إلى الله ، وذلك هو قول الله « يقاتلون فى سبيل الله » ولكن كلمة — سبيل الله — تذكر فى القرآن وعلى لسان الرسول كثيرا .

فهل معناها قاصر على خصوص القتال دائما ؟؟

سبق إلى بعض الأذهان تخصيصها بالقتال حتى جعلوا هذا المعنى هو المراد فى كل مقام ، ومن ذلك صرف الزكاة فى سبيل الله ، أى فى الجهاد ، وما ذكر معه فى آية الصدقات من المصارف الأخرى كالفقراء ، والغارمين ، وابن السبيل . الخ .

واستشهدوا لذلك بما أثر لديهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى بيان هذا المصرف بأنه خصوص القتال ولكن تفسير سبيل الله عند جمهرة من العلماء يتسع لأكثر من هذا الحصر .

وإذا ترجح أن الزكاة الواجبة — خاصة — يجوز صرفها أوصرف بعضها فى الجهاد كبقية مصارفها المذكورة فى الآية ، فإن سبيل الله على لسان الشرع تصدق على كل عمل من أعمال الخير التى يرتضيها الدين ، ويصلح عليها شأن الأفراد والجماعة .

فإذا قرأنا مثلا « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة » كان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القصد أن المهاجر من بلد المعصية إلى بلاد متدينة والمهاجر فى تحصيل العلم ، والمهاجر فى طلب الرزق ، وفى نشر الثقافة النافعة ، أو بذل النفع لقوم آخرين : كل أولئك مجاهدون فى سبيل الله .

وإذا ذكر القرآن من مخازى الأحبار ، والرهبان أنهم يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ؛ فالقصد أنهم يمنعون الناس من إنفاق مالهم فى وجوه الخير عامة : لا خصوص القتال .

وإذا أنكر القرآن على الناس أن يكنزوا الذهب والفضة ولا ينفقوها فى سبيل الله كان القصد أنهم يبخلون بمالهم عن الزكاة ، وعن وجوه الخير عامة ؛ لا خصوص القتال .

وإذا أمرنا الله أن ننفق من أموالنا فى سبيل الله كان ذلك توجيها إلى كل ناحية من نواحى البر بالنفس ، وبالأهل ، وبالوطن وبكل ما يجلب نفعا أو يدفع ضررا .

وهذا هو سبيل الله - فى غير باب الصدقات الواجبة - على لسان الشريعة .

بل ذهب أكثر الفقهاء إلى أن سبيل الله فى باب الصدقات تشمل القتال وغيره على السواء ولكنا نحتاط ، ولا ننفق الصدقات الواجبة إلا فى مصارفها المذكورة ونعتبر من بين المصارف خصوص القتال للكفار .

وقد أثر عن الصحابة كثير من العبارات يريدون فيها التعميم فى معنى سبيل الله ...

ومن ذلك أن أبا بكر رضى الله عنه حينما لدغته العقرب فى الغار يوم الهجرة - وكان يتحسس بيده على أرض الغار وقاية للرسول من الحشرات - كان يحمد الله على أنها لدغته هو ، ولم تلدغ النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول راجزا فى خطاب إصبعه .

ما أنت إلا إصبع دميت
وفى سبيل الله ما لقيت

يريد أبو بكر أنها تضحية هينة فى سبيل وقاية النبى من أذى الحشرات .

وهذا تعميم تتسع له اللغة ، والشريعة .

فليكن عملنا الخير كله على أنه جهاد وبذل وبناء لمعالم المجد فى سبيل الله بمعناها الواسع ؟

عبد اللطيف السبكى

من أجمل ما قيل فى وصف السخاء قول زهير بن أبى سلمى :

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

١١ — استغلال المال الحرام

ذكرنا في المقال السابق الطرق المشروعة لاستغلال المال الحلال ، ورأينا من خلالها أنها كلها أو جلها يبدو فيها التعاون والتضامن بين العمل ورأس المال ، كما يلاحظ في القراض والمزارعة والمساقاة وشركات الأسهم ، وما إليها من المشروعات الاقتصادية النافعة ، غير أنه يجب أن نذكر أن المال الذي يحق له ولصاحبه أن يسهم في هذه المشروعات هو المال الحلال ، وهو الذي ينشأ من أصل صحيح وبوسائل صحيحة يعترف بها الإسلام ويقرها أساسا للتملك ، وهذه الوسائل في جملتها ترجع إلى العمل ، فإنه السبب المباشر وغير المباشر في الحصول على المال ، وعلى هذا يكون المال في الأعم الأغلب عملا أو قيمة عمل يشترك مع عمل آخر في الإنتاج ويتقاسمان الربح والخسارة بالنسبة التي ينعقد عليها الاتفاق ويتم بها التراضي بين صاحب العمل وصاحب رأس المال .. ومن ثم كان الربا حراما لأنه يهيئ لصاحب المال قدراً من الربح المضمون المأمون يزيد به وعاؤه وثراؤه . ولا يحمله قدراً من الخسارة إذا أصيب المشروع بخسارة ، فإذا كان القرض بفائدة للاستهلاك لا للإنتاج كان الإثم أعظم ، لأن فيه — مع ذلك — استغلال الحاجة وانتهاز فرص الضائقات المالية التي تلم بالمعسرين لزيادة يسر الموسرين وعسر المعسرين ، وتلك وحشية لا تقرها إنسانية ، ولا تتفق مع ما يجب على الإنسان نحو أخيه الإنسان ، فإن عليه أن ينفس عنه كربه إذا نزل به كرب ، وأن يهون عليه خطبه إذا حل به خطب وأن يكون في عونه ليكون الله في عونه ، كما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) .

١ — فالربا طريق من طرق استغلال

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المال الحرام ، وهو - قليله وكثيره - مما نهى الله عنه وحذر منه ، وقد توعد الذين يصرون عليه بحرب لا قبل لهم باحتمالها ، فقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » ، وقد بلغ اهتمام الإسلام بمحاربة هذا الاستغلال الحرام إلى حد لعنة كل من يشارك فيه حتى الغارم المحتاج إليه ، وحتى كاتبه وشاهده فقال صلى الله عليه وسلم : (لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه) وطبيعى أن يكون هذا موقف الإسلام من الربا ، لأن هذا النوع من الكسب الحرام يتجافى مع ما يدعو إليه من اشتراكية عادلة فاضلة تقوم على الزكاة ، وتجعل للفقراء حقا معلوما فى أموال الأغنياء ، فالربا زيادة يدفعها الفقير المعسر للغنى الموسر ، والزكاة زيادة يدفعها الغنى الموسر للفقير المعسر ، والفرق بينهما هو الفرق بين الرذيلة والفضيلة . والشر والخير ، بل هو الفرق بين مجتمع فاضل متكافل ومجتمع منحل مختل فإن الربا من العوامل التى تقسم المجتمع إلى طبقات يستغل بعضها بعضا ويستذل بعضها بعضا وكل ذلك وما إليه بعض ما يفهم من قوله تعالى: « وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » وقوله سبحانه : « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » .

٢ — والرشوة كذلك من طرق الاستغلال الحرام ؛ لأنها طريق إلى أكل أموال الناس أو المجتمع بالباطل ، ثم هى السبيل إلى شراء الذمم . وفساد الضمائر وشيوع الفساد . وخراب الأخلاق .

وليس بعار بنيان قوم
إذا أخلاقهم كانت خرابا

وكل من الراشى والمرتشى آثم ظالم . كما يفهم من قول النبى صلى الله عليه وسلم : (لعن الله الراشى والمرتشى) فإنهما قد اشتركا فى الجرم والظلم ، وقد قيل فى تفسير قوله تعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » ، لا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذى لم يبحه الله ولم يشرعه كالسرقة ، والغصب ، والغش ولا تلقوا أمرها والحكم فيها إلى الحكام لتأكلوا من طريق التحاكم إليهم بعض أموال الناس بما يستوجب الإثم كشهادة الزور وكاليمين الكاذبة وكالصلح أمامهم مع العلم بما ينطوى عليه من ظلم ، وفسر كذلك قوله تعالى :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم » على معنى لا تلقوا بأموالكم إلى حكام السوء لرشوتهم وشراء ذممهم وضمائرهم لتصلوا عن طريق ذلك إلى أكل أموال الناس بالإثم .

٣ — ومن طريق الاستغلال الحرام الاحتكار ، وقد أجملنا الحديث عنه في المقال السابق ، وقلنا إن على الدولة أو ولي الأمر أن يتدخل لمنع الاحتكار والتلاعب بالأسعار تطبيقا لقاعدة لا ضرر ولا ضرار . وتحقيقا لمصلحة المجموع التي تقدم على مصلحة الأفراد ، وسواء كان الاحتكار من أفراد أو شركات فإن على الدولة أن تضع يدها على المواد المحتكرة لتخرجها إلى الناس بسعرها المناسب أو تتولى الإشراف على إنتاجها أو استيرادها لتيسر للناس ما تعسر عليهم في ظل الاحتكار الآثم الظالم ، ولا عبرة بما قيل أو يقال في المواد التي يحرم احتكارها هل هي الأطعمة دون غيرها أو هي الأطعمة وغيرها من السلع الضرورية اللازمة كالأدوية والأكسية ، فإن باب المصالح المرسلة واسع يفسح لولي الأمر أن يتدخل لمنع الضرر أيا كان شأنه ولونه وتحقيق المصلحة متى تحقق أنها مصلحة عامة ، صحيح أنه يجوز احتكار ما لا يضر الناس كأدوات الزينة وما إليها ولكن احتكار الضروريات وكل ما يحتاج إليه الناس ليرتفع سعرها مما يدخل في مفهوم قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من احتكر فهو خاطئ) وقوله عليه السلام : (يحشر الحاكرون وقتلة الأنفس في درجة واحدة ، ومن دخل في شيء من سعر المسلمين يغليه عليهم كان حقا على الله تعالى أن يعذبهم في النار) .

٤ — أما الغش في المعاملة فهو أسوأ أنواع الاستغلال ، والمستغل عن طريق الغش يدخل في عداد اللصوص وفاقدي الشعور والضمير ، بل هو ممن برئ منهم النبي صلى الله عليه وسلم كما يفهم من قوله : (من غش فليس منا) والغش كما يكون من البائع في السلعة يكون من المشتري في الثمن « فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » كما يقول عليه الصلاة والسلام .

ويدخل في معنى الغش أو يلحق به النجش وهو أن يتظاهر إنسان بالرغبة في شراء السلعة المعروضة للبيع . ويعرض لها ثمنا أكثر من قيمتها ليغري آخر بشرائها ودفع ثمن أكثر أو أكبر من ثمنها الطبيعي العادل ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : (لا تناجشوا) فالكسب من هذا الطريق حرام يدخل في معنى أكل أموال الناس بالباطل ، وقد احتكم خصمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهما قبل أن يحكم بينهما : (إنما أنا بشر ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأنتم تختصمون إلى ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه ، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا فإن ما أقضى له قطعة من نار . فبكيا . وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي . فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم اذهبا فتوخيا . ثم استهما . ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه) وقد أنكر الله على الذين يكنزون الذهب والفضة أنهم لا ينفقونها في سبيل الله ، وأخبر أنهم سيعذبون بسبب ذلك عذابا أليما : « يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، ويقال لهم : « هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » فكيف بمن يحتالون على أكل أموال الناس؟ إنهم كما يقول الله « إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » .

٥ — والتجارة في الحرام من سوء استغلال المال كالتجارة في الخمر . والخنازير . والمخدرات وكل ما حرمه الله — لقد أحل الله لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث — فضد الطيب بالحلال والخبيث بالحرام — وبذلك يكون كل كسب حرام خبيثا . وكل كسب حلال طيبا ، وصدق الله إذ يقول : « قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث » .

وصدق الشاعر الحكيم إذ يقول :

ينفع الطيب القليل من الرز
ق ولا ينفع الكثير الخبيث

عبد الرحيم فوده

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » .

قرآن كريم

« ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم »

زهير بن أبي سلمى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى أي مدى تتغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟

للأستاذ بدر عبد الباسط

مما لا شك فيه أن بعض الأحكام الشرعية تغيرت بتغير الأزمان والأحوال ؛ وذلك واضح فى الأحكام المبنية على العرف ، فإنها تختلف باختلاف العرف فى كل زمان ومكان ، والمطلوب هو بيان الحدود التى ينبغى أن تراعى عند الفتيا أو عند وضع تشريع يلزم الأمة العمل به أو عند القضاء بين المتخاصمين حتى لا تكون الأحكام الشرعية تابعة للأهواء والنزوات .

وقبل الدخول فى صميم الموضوع ينبغى أن نعلم أن الأهواء مختلفة ومقاييس العقول متباينة ؛ وليست هناك معايير ثابتة للحسن والقبح الموجبين للثواب والعقاب فلا بد إذن من مشرع منزه عن الأهواء والأغراض التى تحسن القبيح وتقبح الحسن ؛ وليس ذلك المشرع إلا الله سبحانه - ولو تركنا أمر تغيير الأحكام لعوامل الزمن من غير أن تكون هناك حدود ومعالم ينتهى إليها المفتون والقضاة والواضعون للتشريعات لكان الدين تبعاً للهوى يتلاعب به المغرضون ولزالت من النفوس قداسة التشريع الإلهى .

ولبيان هذه الحدود والمعالم لا بد أن نقسم الأحكام الشرعية التى جاء بها الإسلام إلى أحكام عقائدية وأخرى عملية .

فأما الأحكام العقائدية فليست محلا للتطور والتغيير ؟ كما أنها ليست محلا لاختلاف الآراء ؛ وإذا كان فى علم الكلام - وهو الذى يبحث عن العقائد - مسائل خلافية فليست من صلب العقيدة ؛ ولا يكفر فيها من أخذ بأى رأى متى كان لوجهة نظره حجة يعتمد عليها مهما يكن ولو كانت ضعيفة ؛ ولكن يخطأ رأيه بالحجة والبرهان .

وأما الأحكام العملية سواء كانت راجعة إلى العبادات أو المعاملات أو العادات فليست كلها قابلة للتطور والتغيير بتغير الأزمان والأحوال كما أنها ليست كلها ثابتة على مر الدهور ؛ ولابد من النظر إلى الدليل الذى استنبطت منه ؛ فالأحكام التى اعتمدت على دليل قطعى فى ثبوته كالقرآن والأحاديث المتواترة والإجماع الذى توفرت شروطه ونقل إلينا تواترا ، وقطعى فى دلالته على معناه بمعنى أن النص لا يحتمل إلا هذا المعنى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الواحد ؛ الأحكام التى اعتمدت على هذا الدليل أحكام ثابتـــة لا تقبل التغيير ولا التبديل مهما تعاقبت الأزمان ، وتغيرت الأحوال كقوله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » ، وكقوله جل شأنه : « وأحل الله البيع وحرم الربا » فهذه الآية قاطعة فى حل البيع وحرمة الربا ؛ ولكن ماهى البيوع التى أحلها الله وما هو الربا الذى حرمه الله فهذا مجمل تكفلت السنة ببيانه بما أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم من حق البيان ، ومثل ذلك ما أجمع عليه علماء الإسلام من أحكام كحرمة زواج المسلمة بغير المسلم وإن كان كتابيا وكتوريث الجد والجدة عند عدم الأب والأم إلى كثير من الأحكام التى أجمع عليها ونقل إلينا هذا الإجماع نقلا متواترا .

وأما الأحكام التى استمدت من أدلة ظنية سواء فى ثبوتها كالأحاديث التى رويت آحاداً وكالقياس فإنه ظنى فى حجيته ، أو كانت ظنية فى دلالتها كبعض آيات الأحكام ؛ فإن هذه الأحكام هى محل اختلاف أنظار العلماء منذ الصدر الأول إلى اليوم ؛ ولا حرج على مسلم أن يأخذ بأى رأى من الآراء ولكنى لا أسمى هذا الاختلاف تطورا أو تغييراً لاختلاف الزمن واختلاف الأحوال ولكنه اختلاف ناشىء من تفاوت الأفهام والأنظار ؛ وكل ما يمكن أن يرد من هذه الأحكام إلى سنة التطور هو الأخذ ببعض الآراء التى قد تكون ضعيفة من حيث الدليل ولكن فيها تيسيراً على الناس أو أقرب إلى ما ألفوه ، على ألا يكون رأياً ساقطا لا اعتبار له فى نظر الشرع ؛ أو أن يكون فى الأخذ به إبطال لقاعدة شرعية مقررة ، وقد اتجه التشريع أخيراً إلى الأخذ بهذا المبدأ فى كثير من الأحكام ، وعدم التقيد بآراء الأئمة الأربعة الذين التزم أكثر المسلمين منذ أعصار طويلة التقيد بآرائهم ، وذلك كعدم وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد وعدم وقوع الطلاق المعلق الذى أجرى مجرى اليمين ، كما ترك المذهب الحنفى الذى كان ملتزما العمل به فى القضاء أمداً طويلا فى مسائل كثيرة كالتطليق للإعسار والتطليق للإضرار إلى غير ذلك .

هذا ومن النصوص التى قد تخضع لقانون التطور تلك النصوص التى تدل على أحكام معللة بعلة منصوصة وجاء زمن لم توجد فيه هذه العلة فإن هذا الحكم لا يطبق فى ذلك الزمن حتى توجد العلة وذلك كآية مصارف الزكاة وهى قوله تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فإن هذه الآية علقت إعطاء الصدقات على وصف الفقر والمسكنة والعمل على جمع الزكاة وتأليف القلوب وفك الرقاب والغرم إلخ ، فإذا وجد وقت لم توجد فيه بعض هذه العلل لا يطبق هذا النص فى هذا الزمن ؛ إذ المقرر عند الأصوليين أن الحكم المتعلق بمشتق يؤذن بعلية ما منه الاشتقاق ، وهو المصدر ؛ وقد سبق عمر رضى الله عنه إلى تطبيق هذا الأصل حينما منع المؤلفة قلوبهم من أخذ شئ من أموال الصدقات ؛ فإنه رضى الله عنه لم يعطل هذا النص برأيه وهواه بل طبقه أحسن تطبيق ، فإن علة التأليف لم تكن موجودة يومئذ ، فإن الدولة التى كانت تضرب كسرى وقيصر - وهما يومئذ سيدا عصرهما - لم تكن فى حاجة إلى تأليف أمثال الزبرقان بن بدر والأقرع بن حابس وأضرابهما ؛ وليس هذا تعطيلا للنص بالاجتهاد ولكنه تطبيق للنص بمفهومه ودلالته ؛ ومثل هذا يقال فى زماننا بعدم دفع الزكاة إلى العاملين عليها ولا فى فك الرقاب لعدم وجود هذين المصرفين ؛ ولو عادت الحاجة إلى التأليف أو وجد العاملون على الصدقات أو وجدت الرقاب لعاد استحقاقهم فى الصدقات .

ومن النصوص التى تخضع لسنة التطور ولا حرج على المسلمين أن يراعوا فيها ظروف بيئتهم ومتطلبات زمانهم تلك النصوص التى وردت عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه بوصفه إماما لهذه الأمة وحاكما يرعى مصالحها ولم ترد عنه بوصفه رسولا ومبلغا عن ربه وذلك كتنظيم الجيوش واختيار الولاة واستقبال الوفود وعقد المعاهدات وتوزيع الجوائز على من أدى للدولة خدمة وإنشاء الوظائف التى تحتاج إليها الدولة ؛ فهذه الأحكام قابلة للتطور بما يتفق مع صالح الأمة فى كل عصر ومكان ؛ على أنه ينبغى الاحتياط كل الاحتياط فى التفرقة بين ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم بوصفه رسولا وما ورد عنه بوصف آخر غير الرسالة والتبليغ والقرائن والملابسات هى الفيصل بين هذين النوعين من الأخبار والآثار ؛ وشتان بين أن ينهى الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن أمر مما تقع فيه العامة ؛ وبين أن يضع خطة حربية أو يقابل وفداً على هيئة خاصة أو يعقد مع قوم عهداً خاصاً .

وأما الأحكام التى مردها إلى القياس فهى - كذلك - مجال اختلاف العلماء على مدى العصور ؛ بل منهم من منع القياس ورده ، وأياما كان ، فالذى أدين الله عليه أن القياس - متى تحققت شروطه - باب واسع من أبواب معرفة الأحكام الشرعية ؛ ولا أسمى اختلاف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العلماء فيه تطوراً فى التشريع بالمعنى الذى يتبادر إلى الأذهان ؛ ولكنى أسميه اختلاف نظر فى معرفة علة الحكم ؛ ويسع كل مسلم أن يأخذ من هذه الأحكام ما يتفق وظروفه ومتطلبات حياته .

ومما يمكن رده إلى القياس وهو قابل للتطور تطبيق بعض الحوادث والنوازل على قواعد شرعية ثم يتبين أن هذا التطبيق خطأ فى عصر دون عصر وذلك كقاعـــدة لا ضرر ولا ضرار فإن الفقهاء الأقدمين طبقوها على مسائل كثيرة فأفتوا بحرمتها أو كراهيتها ، ثم قامت الشواهـــد على أنه لا ضرر يعتد به أولا ضرر أصلا فينبغى أن ألا يقال بالحظر أو الكراهية وذلك كرأى بعض الفقهاء فى التوضؤ أو الاغتسال بالماء المشمس وقد ثبت الآن أن الطاقة الشمسية يمكن أن تستغل فى غلى الماء أو طهى الطعام من غير أن يكون هناك ضرر على الصحة وكرأى بعض الفقهاء فى تصرف الملاك فى ملكهم وما قد يصيب الغير من أضرار فأجازوا بعض التصرفات بحجة أنه تصرف فى خالص الملك وأنه لا ضرر يذكر يعود على الغير ومنعوا بعض التصرفات بحجة أنها ضارة بالغير ، فمثل هذه الأحكام قابلة للنظر وينبغى أن تخضع لناموس التطور فما غلب خيره على شره فهو جائز وما غلب شره على خيره فهو محظور ؛ والذى يقدر هذا قوم ذوو خبرة وأمانة يطمئن إليهم ولى الأمر ؛ وهو مسئول أمام الله عن اختيارهم وهم مسئولون أمام الله عن حسن نصيحتهم الأمة ؛ فإن ظهر عليهم أو على بعضهم انحراف أو تحكيم الهوى فعلى ولى الأمر أن يعزلهم ويستبدل بهم قوما غيرهم ثم لا يكونوا أمثالهم .

وأوسع الأحكام الشرعية قبولا لسنة التطور هى الأحكام المبنية على العرف أو المصالح المرسلة ؛ وتفصيل ذلك يحتاج إلى مقال آخر ؛ والله نسأل أن يكون هوانا تبعا لديننا وألا يكون ديننا تبعاً لهوانا والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ؟

بدر المتولى عبد الباسط
الأستاذ المساعد الفقه المقارن
بكلية الشريعة

« من وصية عبد الله بن الحسن لابنه »

كف الأذى ، وارفض البذا ، واستغن عن الكلام بطول الفكر ، فى المواطن التى تدعوك فيها نفسك إلى الكلام .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من روافد الثقافة الإسلامية :

رسالة الأصول للإمام الشافعيّ

للأستاذ الفاضل بن عاشور

« تتمة البحث »

بدأ محاور الإمام الشافعي يستكشفه عن الأصول المختلف فيها بين الشافعي ، وبين غيره من أئمة المذاهب الفقهية ، فبحث عن ثلاثة من الأصول المختلف فيها هي : الاستحسان ، وعمل أهل المدينة ، وقول الصحابي . أما الاستحسان وقول الصحابي ، فهما من أدلة المذهب الحنفي ، وأما عمل أهل المدينة ، فهو من أدلة المذهب المالكي . وقد أفصح الشافعي بأنه لا يرى حجية واحد من هذه الثلاثة ، وأنه إذا كان يرى الاجتهاد ، ويرى حجية القياس ، فإنه إنما يحصر ذلك في الرجوع إلى أصل مسموع يجتهد المجتهد في القياس عليه ، بالشروط المقررة لذلك . وأخذ يورد مثلا من الأقيسة ليرى أن ما تأتى للمجتهد فيها من الرجوع إلى أصل يقيس عليه ، لم يتأت له في الاستحسان : قياساً على غير أصل . ويرد الشافعي على حجية قول الصحابي بأن حجيته ليست في ذاته وإنما نأخذ به إما لموافقته الكتاب أو السنة أو الإجماع وإما لكوننا نرجح ما بنى عليه قول الصحابي من القياس جاعلا مستنده في ذلك اطراد وجود مخالف من أقوال الصحابة لكل ما أخذ به الفقهاء من قول واحد منهم . فالحجية حينئذ فيما عضده ورجحه لا في ذاته . وفي الرد على حجية عمل أهل المدينة يسلك الشافعي مسلك إلزام محاوره بأن مالكا يريد أن يجعل عمل أهل المدينة آيلا إلى الإجماع مع أنه لا إجماع في ما يحكيه في ذلك بقوله « الأمر عندنا ، والأمر المجتمع عليه عندنا » لأن في كل ذلك مخالفين حتى من فقهاء المدينة . وهو يعبر عن مالك في هذا الحوار بقوله « صاحبنا » وهو حين يطرد في مخالفته الأئمة في تلك الأدلة يعود به محاوره إلى الاختلاف هل يجوز بين الفقهاء ؟ فيجيب بأنه جائز في غير المنصوص البين وهو يرد أمثالا كثيرة من الاختلاف القديم ، في عصر الصحابة وعصر التابعين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومناشئه من الأمور النظرية ، وينتهى إلى أن تعدد الأصول واختلافها من طبيعته أن يحدث اختلاف الأقوال فى الأحكام .

إن ما سبق عرضه وتعليله ، من رسالة الإمام الشافعى ، فى أصل الفقه ، ليوضح أن أسلوب هذه الرسالة قد اختلف : بين بيان مبتدأ منسق ، فى غير حوار ولا جدال ، وبين نقاش مبنى على البحث والاستكشاف دائر على السؤال والجواب بقصد الاحتجاج للأنظار ، والبرهان على المذاهب ، وفى ذلك الأسلوب المختلف ، ما يوضح ظروف تحرير تلك الرسالة وتأليفها ، وما دخل عليها ، فى تحريرها وتأليفها : من أطوار .

فلقد كانت الرسالة ، على حسب ما كنا رجحناه ، محررة فى مكة ، فى سنة ١٩٧ لما عاد الشافعى إلى مكة قبل سفره إلى مصر ، وكانت موجهة إلى عبد الرحمن بن مهدى فى العراق ، جوابا لطلبه .

ولكن كثيرا من الذين ترجموا حياة الإمام الشافعى ، وأثبتوا ذكر كتبه يعدون هذه الرسالة رسالتين : الرسالة القديمة والرسالة الجديدة ، وقد ذكر الإمام فخر الدين الرازى : فى كتاب مناقب الشافعى : « أن الشافعى ، رضى الله عنه ، صنف كتاب الرسالة قبل استقراره بمصر ، ثم أعاد تصنيفه فى مصر ، والذى وصل إلينا ، وهو اليوم بين أيدينا ، من الرسالة ، إنما هو تصنيفها المصرى ، لأن المرجع فيها إلى أصلين خطيين أحدهما أهم بكثير من الآخر . فأحد هذين الأصلين هو أصل الربيع بن سليمان . من القرن الثالث ، وثانيهما نسخة حديثة نسبيا ، من القرن التاسع ، ترجع إلى الأصل الأول أصل الربيع بن سليمان ، وأصل آخر مما روى عن الشافعى ، بمصر أيضا ، هو أصل حرملة بن يحيى التجيبى ، من أصحاب الشافعى فى القرن الثالث .

أما أصل الرسالة التى وجهها الشافعى إلى بغداد ، وتلقاها عبد الرحمن بن مهدى فلم يصل إلينا ، ومن هنا يتمهد لنا طريق البحث عن سر الاختلاف فى الأسلوب ، الذى وجدنا عليه نص الرسالة الذى بين أيدينا . فإذا كان الشافعى قد أعاد تصنيف الرسالة فى مصر . حيث تلقاها عنه صاحبه الربيع ابن سليمان ، وغيره ، فان معنى ذلك أنه بعد ان كان أصدر رسالة إلى عبد الرحمن بن مهدى جاء مصر وقد تكون عنده مدارك وأنظار جديدة فيما يرجع إلى ما اشتملت الرسالة عليه ، فأقبل عليه أصحابه بمصر ، يجعلون الرسالة ، السابق صدورها عن إمامهم ، مطلبا علميا ، يحيطونه بالبحوث والأسئلة والاستكشافات فجاء بذلك ما عبر عنه بالتصنيف الجديد ، المصرى ، للرسالة ، فهو إعادة لما كان كتب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشافعي إلى عبدالرحمن بن مهدي : إما بإملائه من ذكره ، حكاية للمعاني لا للألفاظ ، وإما بإيراد نصه عن أصل مكتوب ، وذلك هو الجزء الأول من الرسالة التي عندنا الآن أعني الجزء المسترسل المتماسك ، الذي يسير فيه البيان متسلسلا منتحما ، موحد الموضوع وإن تعددت العناصر ، ولئن كان فقيدنا العزيز ، الأستاذ المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر ، يرجح أن تقرير الرسالة في مصر ، إنما كان إملاء عن ذكر ، لا استحضارا للكتاب ، ويستدل على ذلك بما ورد في أثنائها ، عند سرد أحاديث وإسنادها من الاعتذار بأن بعض كتبه غائب عنه . فإننا لا نرى وجها للترجيح الذي أخذ به الشيخ شاكر ، رحمه الله ، ولا نرى في ما استدل به ما يثبت مدعاه في الترجيح ، لأن الكتب التي اعتذر الشافعي بغيابها عنه ، لا يتعين كونها كتاب الرسالة . بل يترجح أنها كتبه الأولى : التي هي دواوين الأحاديث التي سمعها بدليل أنه لا يورد ذلك الاعتذار إلا في مقام الرواية والإسناد .

وكيفما كان الأمر ، فإن أصحاب الشافعي الجدد الآخرين ، وهم أصحابه بمصر ، وأولهم الربيع بن سليمان المرادي . قد تلقوا عن الشافعي ما كان كتب به الشافعي إلى عبد الرحمن بن مهدي من مكة ، قبل مقدمه مصر ، ولما أعاد الشافعي ذلك الكتاب ، استتبع إيراده إياه ، استحضار ما سمع أو توقع أو جاش في نفسه ، من أوجه توقف موارده على ما تضمنته رسالته ، فطفق يبحث ذلك ويرده من قوله « فإن قال قائل » ، ويفتحه باب البحث في رسالته ، والتعليق عليها ، انفتح باب البحث لأصحابه ، بما أثار من مباحث جديدة ، ومواضيع لم تطرق في الرسالة من قبل هي المتعلقة بمحل الاختلاف بين الشافعي والمذاهب الأخرى ، مما جاء تحت عنوان « العلل في الأحاديث » والعناوين التي تلته مثل « خبر الواحد » و « والاستحسان » و « أقاويل الصحابة » ، وذلك من مجموع سابقه ولاحقه ، هو الذي تلقاه الربيع ابن سليمان ، وغيره من أصحاب الشافعي المصريين ، وكتبوه عنه ، شاملا لما كان كتبه ، في الرسالة الأولى إلى عبد الرحمن ابن مهدي ، وما تفرع عن ذلك وتبعه : من نظر وبحث ، ويزيد هذا التقدير رجحانا ، أن الأبواب التي ذكر الخطيب : في تاريخ بغداد ، اشتمال رسالة الشافعي إلى عبدالرحمن ابن مهدي عليها ، هي الأبواب التي اشتمل عليها المقدار الذي فرضنا ذلك فيه . من نص الرسالة الذي بين أيدينا : وهي أبواب معاني القرآن ، وقبول الأخبار فيه ، وحجة الإجماع ، وبيان الناسخ والمنسوخ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فيكون الجزء الأول من الرسالة ، وهو الذى ليس فيه بحث ولا سؤال ، رسالة عبد الرحمن بن مهدى ، والذى تلاه هو ما علق بها فى مصر من بحث وتوسع ، وكذلك جاءت تجزئة الكتاب فى نسخته العتيقة ، التى هى أهم الأصلين المشار إليهما آنفا ، وهى نسخة الربيع بن سليمان . فإن من أثمن الذخائر ، فى تراثنا العربى الإسلامى ومن أهم الأصول الخطية وأنفسها بلا نزاع : ذلك المخطوط الذى كتب فى منتصف القرن الثالث ، من رسالة الإمام الشافعى ، بمصر برواية الربيع بن سليمان المرادى عن الشافعى ، وسواء أصح أن النسخة بخط الربيع نفسه كما يذهب إليه الشيخ أحمد شاكر أو لم يثبت ذلك ، فإن على النسخة سطرين بخط الربيع ، فى الأجازة بنسخها بتاريخ سنة ٢٦٥ وبذلك يظهر ما لهذه النسخة من القيمة العديمة النظير . بل لعلها تكون أقدم مخطوط لكتاب كامل باللغة العربية اليوم .

وقد خرجت هذه النسخة من مصر إلى الشام وأقامت فى الشام قرونا ثم رجعت إلى مصر فى القرن الماضى ، وهى الآن درة فى تاج دار الكتب المصرية . وتقع هذه النسخة فى ثلاثة أجزاء ينتهى ثالثها بإجازة الربيع بن سليمان بخطه وبذلك قلنا إن النسخة الأخرى وهى نسخة ابن جماعة ، لا تذكر إلى جنب هذه حتى تعادلها ، وإن كانت ذات قيمة بما عليها من إسماعات ومقابلات وبخطوط وإجازات الأعلام الذين تعاقبوا عليها . وقد طبعت الرسالة بمصر ثلاث مرات سابقة طبعات عادية ، ثم أعيد طبعها رابعة منذ خمسة وعشرين سنة بشرح وتحقيق العلامة الشيخ احمد شاكر طيب الله ذكراه . فجاءت بحسن تحقيقه وإتقان تعليقه ، واعتماده مباشرة على أصل الأصول ، وهى نسخة الربيع .

آية يصدق فيها قول المثل « أتى الوادى فطم على القرى » .

محمد الفاضل بن عاشور

قال تعالى : « يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبينا . فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما » .

(النساء ١٧٤ ، ١٧٥)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الناحية العلمية من إعجاز القرآن

للأستاذ أحمد محمد الغمراوى

إعجاز القرآن متعدد النواحى والجوانب. لكن أهم نواحيه فى عصرنا هذا لمن يريد أن يدعو به إلى دين الله هى الناحية العلمية.

أما الناحية البيانية فقد حملت عملها وحققت الغرض منها بإسلام العرب أهل الفصاحة والبيان الذين أنزل فيهم القرآن. فلما زالوا لم يقدر هذه الناحية قدرها إلا أهل البصر باللغة والبصيرة فى الدين، حتى إذا قل هؤلاء بتطاول الزمن وضعف الدين فى نفوس أهله ابتلى المسلمون بمن اغتر بفصاحة ابتلاه الله بها فأنكر حتى الثابت الواضح من الإعجاز البيانى، مثل ابراهيم النظام فى القديم الذى ابتدع القول بالصرفة، وبعض أهل الأدب فى الحديث الذين توفاهم الله إلى حسابه، فأصبحت الناحية البيانية من إعجاز القرآن محل نظر حتى بين المشتغلين بالأدب من شباب المسلمين، فكيف بغيرهم من مثقفى الشباب الإسلامى الذين ابتلوا فى هذا العصر بدعوة الإلحاد تدعوهم إليه الشيوعية، وبالشبهات ينقلها إليهم من ترجم عن خبثاء المستشرقين طعونهم فى الدين، من أمثال (جلدتسيهر) و (مرجليوث) و (ماسينيون)، بعد أن كانت عقاربهم محبوسة فى لغاتهم الأصلية لا تدب ولا تصل إلى جمهرة الشباب الذى ليس له من التربية الإسلامية والتبصير بالدين وقاية تحميه.

أما غير المسلمين من غير العرب فلن تغنى الناحية البيانية من إعجاز القرآن شيئاً فى إقناعهم بأنه كتاب الله الذى عليهم قبوله والإيمان به لينجوا من عذاب الله، وليدخلوا فى رحمته. وناحية الإعجاز التشريعى أو النفسانى أو التاريخى لم تلق بعد من الاهتمام ما يجليها ويظهرها بحيث تصبح منها حجة لله على الناس. ولو جليت وظهرت فإن الإقناع بها أصعب وأعسر من الإقناع بالناحية العلمية من إعجاز القرآن إذا جليت وأظهرت فى عصر العلم هذا بما ينبغى لها من الحيطة والدقة فى البحث والاستدلال

والحيطة والدقة لازمان فى كل بحث، لكنهما فى البحوث القرآنية ألزم وأوجب.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فالقرآن كلام الله سبحانه ، خاطب الله فيه البشرية على لسان رسوله النبي الأمي . فضمير المتكلم فيه هو ضمير الجلالة ، وضمير المخاطب فيه هو ضمير الرسالة . وتجد الضميرين كليهما ماثلين في الآيات الأولى من أول سورة فيه بعد الفاتحة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . ألم . ذلك الكتاب لاريب فيه ، هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون » .

آيات ست ذكر الله كتابه الكريم في ثالثتها بأوصاف ثلاثة أو بالأحرى بأوصاف أربعة بالسمو والرفعة في اسم الإشارة للبعيد ، وبأنه الكتاب لا كتاب غيره ، وبأنه لا يطلق به ريبة ولا موضع فيه للشك ، وبأنه هدى لمن يتقي . ومن التقوى الإيمان بالغيب ومن الغيب ما أودع الله في كتابه في آياته الكونية من أسرار الخلق وحقائقه التي كان يجهلها الناس حين أنزل القرآن ، والتي كشف العلم الحديث عن بعضها فكان كل كشف منها معجزة علمية ودليلا لاشك فيه على أن القرآن من عند الله فاطر الفطرة وخالق الكون .

وكما استوى القرآن والفطرة في أنهما من عند الله فهما أيضا سواء في وجوب الحيطة والدقة في تفهمهما ، والبحث عن أسرارهما . وليس وراء دقة الطريقة العلمية وحيطة علمائها في دراسة الفطرة ، وراء . ومن حيطتهم أنهم لا يقبلون فرضا ولا حدسا لا يمكن اختباره عن طريق التجربة العلمية واختبار الفروض والآراء عن هذا الطريق إن هو إلا احتكام إلى الفطرة وسنن الله فيها لينظر هل يتفق الفرض والرأي معها أو يخالفها .

والفرض يقبل ويرفض من باب أولى إذا ظهر من الأول أنه يناقض حقيقة ثابتة أو قانونا عاما في علم من العلوم المتعددة في ميدان العلم الحديث . فمن الثابت مثلا استحالة توليد حركة دائمة بأي اختراع يخترعه الإنسان . فلو تقدم باحث يبحث يزعم أنه توصل إلى طريقة لتوليد تلك الحركة لحكم ببطلان البحث من عنوانه ، ولرفض من غير نظر فيه ، فهل هناك يا ترى طريق لمثل هذه الحيطة في دراسة القرآن ، كتاب الله المنزل ، لاكتشاف أسراره والتماس غرائبه وعجائبه التي لا تنقضي كما جاء في الأثر الصحيح ؟ .

إن أول الطريق - ولعله آخره أيضا - العمل ببديهية استحالة التناقض بين بعض آي القرآن وبعض ، أو بينها وبين اليقيني

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الثابت من قضايا العلوم الكونية التي جرى العرف بتسميتها بالعلوم الطبيعية، هذه البديهية آتية من أن التناقض مستحيل على الله فاطر الكون ومنزل القرآن. فكل فهم في القرآن أو تفسير يؤدي إلى تناقض بين آياته، أو بينها وبين شيء من الحقائق الثابتة في العلم، فهو فهم خاطيء، وتفسير باطل. ومعرفة الباطل والخطأ نصف الطريق إلى معرفة الحق والصواب. وهي على أي حال تقينا شر قبول شيء من الباطل على أنه حق، وهو شر مستطير. لأن القضية الخاطئة التي نتقبلها على أنها صواب تفسد علينا كل الحقائق المتصلة بموضوع القضية والتي لابد أن تتناقض أو تتخالف معها، ثم هي تؤدي بنا حتما إلى نتائج فاسدة في كل قياس تكون تلك القضية إحدى مقدمتيه. فشرها لا يقف عند إفساد ما يتصل بموضوعها من الحقائق بل يستشري فيفسد من الحقائق الأخرى ما يمكن أن يدخل معها في قياس. ثم يتفاقم الشر بنفس الصورة عن طريق كل نتيجة نشأت عنها وقبلت طبعا على أنها صواب. من أجل ذلك حذرنا الله في كتابه من اتباع الظن فإن الظن لا يغني من الحق شيئا، ومن أن نقفو ما ليس لنا به علم، وتفضل سبحانه فأرشدنا إلى الطريق الذي يمكن أن نعلم به ما نجهل، طريق إحسان استعمال السمع والبصر والفؤاد «ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا». وسؤاله سبحانه إيانا عن السمع والبصر والفؤاد يوجب علينا استعمالها جميعا، وإحسان استعمالها، وتجنب إهمال ما يؤدي إليه ذلك الإحسان من نتائج. وهو نفس الطريق الذي هدى الله إليه أهل العلم الحديث في ميادينه المختلفة، فأظهر على أيديهم من أسرار الفطرة ما أظهر، ليبتلي الإنسانية بها كيف تستعملها وليعين أهل القرآن على إظهار جانب عظيم من جوانب إعجاز كتابه، بإحسان المطابقة بين ما أنزل فيه من آيات كونية، وبين ما يتصل بكل منها، أو بمجموعات منها من تلك الأسرار. وليس من تلك الأسرار ما في العلم من نظريات لا تزال محل النظار والاختبار، فهذه لا ينبغي المطابقة بينها وبين ما يتصل بها من آيات القرآن، اللهم إلا الحكم عليها مقدما: أصحيحة هي أم باطلة، حسب ما يظهر البحث من موافقتها القرآن أو مخالفتها إياه.

لكن البحث القرآني له أخطاره التي ينبغي توقيها. وأول تلك الأخطار الخطأ فيه ولو عن حسن نية واجتهاد. إن حسن النية يشفع للمجتهد عند الله فلا يؤاخذه بخطئه في الآخرة بل يثيبه على نيته. ولو كان المجتهد يؤاخذ في الآخرة بخطئه في اجتهاده لوقف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الاجتهاد خوفا من عذاب الله ، ولظلت عجائب القرآن فى التشريع وغير التشريع مدفونة ، لايعتبر بها أحد ولا ينتفع بها الناس لكن الخطأ معناه مخالفة حكم من أحكام الله أو سنة من سننه ، ولذلك عاقبته السيئة فى الدنيا قبل الآخرة . فالحياة الدنيا مبنية على سنن لا تتخلف ، وأحكام الله فى الدين الذى أنزل ، على نبيه الذى أرسل ، هى تطبيق محكم لتلك السنن التى فطر الله عليها الإنسان ، وفطر عليها الكون . فمخالفتها ولو عن حسن نية لا يمكن أن تؤدى إلا إلى الضرر ، سواء فى ذلك السنن النفسية فى الفرد والمجتمع ، أو السنن الكونية فيما حول الإنسان . وحادث تأبير النخل وحديث أنتم أعلم بأمور دنياكم ليس إخراجا لأمور الدنيا من الدين ولكنه تشريع من الله وتبيين أن على الناس فى أمور الدنيا ، من زرع وغير زرع ، العمل بسنن الله فى تلك الأمور كما تبينها وتكشف عنها التجربة . ولو شاء الله لصدق ظن نبيه ولجعل النخل يثمر من غير تلقيح . فهذا أوضح مثل للإخلاص فى الاجتهاد لا يدفع عاقبة الخطأ فيه .

هاتان عاقبتان للخطأ إذن توجبان بذل الوسع لتوقيه خصوصا فى البحث القرآنى لما للقرآن من قداسة : سوء العاقبة عمليا ، وفساد التفكير المترتب على اعتبار الخطأ صوابا كما سبق التنبيه إليه . ولابد من التماس قواعد تعين ما أمكن على الإصابة فى البحوث القرآنية ، وتوقى الخطأ فيما نحن بصدده من تحقيق الناحية العلمية من إعجاز القرآن .

وأول تلك القواعد - بعد بديهية بطلان كل فهم وتفسير يؤدى إلى التناقض بين بعض الآى وبعض أو بينه وبين الثابت من الحق - هى قاعدة تحرى المنطق الصارم فى الفهم والاستنباط ، بالضبط كما يفعل العالم الطبيعى فى ميدان بحثه . لكن مهمة الباحث القرآنى أشق من مهمة أخيه الباحث العلمى الذى قلما يتأثر بالعاطفة فى بحثه ، وإن تأثر فسترغمه التجارب العملية على النزول على حكمها مهما خالف ميله وهواه لكن احتمال التأثر بالعاطفة عند المطابقة بين الآيات الكونية فى القرآن والحقائق التى كشف عنها العلم بعد نزول القرآن أمره عظيم قد يحمل الباحث على التراخى والتساهل فى النظر والاستدلال . رغبة فى إثبات التطابق التام بين العلم الحديث والقرآن . والعاصم من هذا بعد الاستعانة بالله هو التزام المنطق الصارم فى الفهم والاستنباط ، أى اتباع ما أمر الله به فى كتابه من مخالفة الهوى ، وتطلب البرهان .

والقرآن الكريم مادته لغوية بيانية لها خصائصها ومميزاتها ولابد فى تفهم آياته وتلمس أسراره من مراعاة تلك الخصائص

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والمميزات التى جلاها علماء اللغة والبيان فيما قاموا به من دراسات لتبين وجوه إعجازه البيانى من ناحية، ولتفقه أحكامه التشريعية من ناحية أخرى. ومن أجل تلك الدراسات قعدت قواعد اللغة العربية من نحوية وصرفية وبيانية، وجمعت مادتها اللغوية، وكل ذلك على أوسع نطاق وأدقه. فلابد من مراعاة ذلك كله عند دراسة إعجاز القرآن من الناحية العلمية.

لابد فى الألفاظ القرآنية من مراعاة معناها حين أنزل القرآن، لا معناها الذى قد تكون اكتسبته بتطور اللغة فى الاستعمال.

ولابد فى الجمل القرآنية من مراعاة القواعد التى توصل إليها أئمة النحو عن طريق الاستقراء.

ولابد فى التعابير القرآنية من مراعاة القواعد والأصول التى أصلها وقعدها أئمة البلاغة والبيان عن طريق الاستقراء أيضا. خصوصاً تلك القاعدة الأساسية التى تقرر أن الألفاظ والتعابير لا تنقل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا قامت قرائن كافية فى نفس الكلام تدل على أن المعنى المجازى هو المراد.

هذا هو التمهيد. والله المستعان على بيان ما وراءه من الإعجاز العلمى فى القرآن.

محمد أحمد الغمراوى

جاء النبيون بالآيات فانصرفت
وجئتنا بحكيم غير منصرم
آيات كلما طال المدى جدد
يزينهن جلال العتق والقدم

«شوقى»

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نحو حضارة مؤمنة راشدة

مع الفكر المؤمن

للأستاذ محمد الغزالي

في الحضارة الحديثة جوانب لا أجد بداً من احترامها وتزكيتها ، بل أجد في مسوقاً بدوافع من ديني إلى الإعجاب بها ، والتملي منها .

وأبرز هذه الجوانب إدمان النظر في الكون والبحث عن خواص الأشياء ، والتعرف على القوانين الدقيقة التي تسير عليها الحياة ، وانتهاج خطة بعيدة عن الحدس والتخمين في تقرير شتى الحقائق .

إن أي حضارة تقترب من الفطرة في بعض نواحيها ، أشعر باقترابها من طبيعة الإسلام في هذا البعض ... ولو كانت غريبة عني .

وإن أي حضارة تجنح إلى التكلف أو التخرص أشعر بانحرافها عن طبيعة ديني ولو كانت قريبة مني .

وفي تراثنا الثقافي كتابات عن عالم الغيب لم تعتمد على الوحي .

وكتابات عن عالم الشهادة لم تعتمد على التجربة والاستقراء .

كلتا الكتابتين واهية العلاقة بخطة القرآن في تكوين المعرفة الصحيحة .

فالمعرفة المادية ... لا سبيل لها إلا النظر الصائب في الكون وأسراره وقواه .

وصلة الإنسان بربه أو بأخيه الإنسان لا سبيل لها إلا توقيف الشارع الحكيم .

ومعنى هذا أن علوم الطبيعة والكيمياء والفلك والنبات والحيوان والطب والهندسة وما إلى ذلك تقوم على استقصاء الحقائق من الواقع وحده ، ولا مكان لفروض وهمية أو أوصاف شاعرية ، أو حدود تقليدية ، أو سلطات استبدادية .

المجال للعقل الحر الدءوب ، يداوم النظر ويتابع الجهد حتى يصل إلى ما يبغي دون ما قيد . وإني لأقرر في غير تحرج : أني كنت أطالع بعض البحوث العلمية التي هديت إليها الحضارة الحديثة ، فأشعر كأن مؤلفي هذه البحوث ، كانوا يستجيبون - سواء شعروا أو لم يشعروا - لقوله تعالى : « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » .

إنه نداء الفطرة الإنسانية على كل حال .

وقد صم عن هذا النداء من فتحوا عيونهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دون تدبر ، أو من استعملوا ذكاءهم فى بحوث ما وراء المادة ، فعادوا منها بقبض الريح ، أو من كتبوا فى المادة نفسها فشطحوا مع الخرافات ونظروا فى كل شىء إلا فى الكون وآفاقه والعناصر وخصائصها .

إن القرآن الكريم جعل مجالى الطبيعة مدارس الإيمان ، وكلما استكثر المرء من حصيلة المعرفة الكونية وبا يقينه ، وزادت بالله معرفته .

وإنك لتعرف الشخص الذكى بآثاره العملية ، ولا تفكر فى معرفة ذكائه بالكشف على تلافيف مخه .

فإذا كان التعرف على قدر إنسان تبصره لا يتم إلا بهذا الأسلوب . فكيف بالتعرف على من (لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ؟) .

إن ذلك لا يتم إلا بالتأمل فى آثاره ، ومطالعة صفاته فى أرجاء خلقه الوسيع .

واعمل درسا فى وظائف الأعضاء ، أو فى دوران الأفلاك ، يكون أنجع فى غرس الإيمان وأدنى إلى التعريف بعظمة الله من بعض القراءات النظرية ، أو المقدمات الجدلية .

فى الأيام الماضية مرت بى لحظتان مضيئتان :

أولاهما :

فى إحدى الحدائق وقد علقت عينى بزهرة لما يكمل تفتحها .

كانت دقيقة من أسفلها ، مستعرضة من أعلاها ، والغلاف الأخضر منحسر عن أغلبها .

إنها توشك - لو بقيت على ساقها يومين - أن تبرز بأوراقها وألوانها جميعا .

لكنى تعجلت فض الملفوف من كمها ، لأقف مشدوها أمام ما بدا لى منها .

كانت الأصباغ زاهية كأنما وضع المصور ريشته الآن من رسمها ، وكانت هذه الأصباغ موزعة فى نقوش تبرق جدتها ، ويستغرب المرء من أن الألوان المتناقضة المتجاورة لم يسح شىء منها على الآخر .

ونظرت إلى الأرض السبخة الهامدة ، وإلى الفلاح الساذج فوقها ، وقلت : من أبدع هذه الزخارف الرائقة واستخرجها من بين هذه الأكوام ؟ . من ؟ .

وانساب إلى قلبى شعور بالجمال الإلهى المتأنق فى ألوف مؤلفة من الأزهار والأثمار تزحم القارات الخمس ، والأرض مددناها ، وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا ، فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما اللحظة الأخرى :

فعلى شاطىء البحر الأبيض فى ليلة من ليالى العمل .

أرسلت طرفى إلى البحر الهادر ، وكنت أسمع ثوران الموج ولا أرى مده ، والماء فى لون الحبر ، والأفق مستكر فى أبعاد غير متناهية .

ولم يجر فى خاطرى قول العقاد الشاعر :

ولهذا الظلام خير من النور

إذا كنت لا ترى وجه حر

ذلك لأنى لم أكن مهتما بأحوال البشر وقتئذ ، فإن طنين الموج المستمر بقوى لا تنهد مع مضى الوقت جعلنى أتساءل : أما لهذا الحراك من توقف ؟ .

وكان الجواب مزيداً من الهدير القادم من بعيد كلما تلاشى على رمال الشط حل محله آخر ، وهكذا دواليك .

إن البحر أضعاف اليابس على ظهر الأرض ، وهذا الخلق العجيب عالم وحده .

وغلبنى السكرى قليلا ثم عاودتنى اليقظة ، أو الأرق والموج الموار لا يزال يزأر .

إن الله الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وكل إلى شعاع من قدرته أن يهز هذا الركام الهائل من المياه هزاً يشمل المشارق والمغارب . فى الرقعة المتداحة التى نسميها نحن بحاراً ومحيطات . . وسواء غفونا أم صحونا فعمل القدرة ماض فى طريقه ، يتنبه اليه بين الحين والحين أولو الألباب ليسبحوا بحمد الله الكبير .

* * *

قد يقال : إن حضارة الغرب التفتت بالفعل إلى الكون الكبير ، واستكشفت من أسراره ما فات القرون الأولى .

ولكن اهتمامها بالكون كان لارتفاقها منه وانتفاعها به ، لتتزود منه باليقين الواجب والإيمان المبرور . ! !

وفى هذا الكلام قدر من الصحة غير منكور فإن عبادة الحياة هى الدين الشائع فى الحضارة الحديثة ، تستوى فى ذلك أحزاب الميسرة الجاهرة بإلحادها ، وأحزاب الميمنة المخافتة به . والغرض من البحث الكونى الذى طلبه القرآن الانتقال من الكون إلى المكون ومن المخلوق إلى الخالق .

وشتان بين منهجين : أحدهما يتعرف إلى الله فى أرجاء العالم الذى أبدعه ، والآخر يتعرف على أسرار العالم ، ويحتبس داخلها فلا يعرف ربه . .

والحضارة الحديثة يمكن أن تدان من هذا الجانب ، بيد أن الأمر يحتاج إلى قليل من التفصيل ومن يدرى ؟ لعل أهل الإيمان يدانون قبل غيرهم عندما تحدد النتيجات وتنصب موازين العدالة . ! !

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عندئذ يعرف أن السبب الأكبر فى شيوع الإلحاد ، وهجر الدين ، هو تصرف جمهور المتدينين و تفكيرهم .

ما الذى يجعل الحضارة الحديثة تغالى بالإيمان و تتحمس للرحمن ؟

إذا نظرنا المسيحية التى تسود الغرب وجدناها قبلت من الإضافات والبدع ما يستحيل على العقل البشرى قبوله .

ومن حق هذا العقل أن يرفض النقائض ويعتزل دعاتها ويحيا بعيداً عنها ، والحضارة الحديثة فى خصومتها للمسيحية معذورة .

وإذا نظرنا للإسلام وجدنا أهله أبعد الناس عنه ، ومن حق الأحياء أن يطرحوا دينا زهد فيه أهله أنفسهم .

إن المسلمين مع تقصيرهم فى جنب الإسلام علما وعملا يلاحظ عليهم من قديم الزمان تناقض غريب فهم مؤمنون - دون خلاف - بعموم الرسالة الإسلامية ، وأن محمداً رحمة للعالمين ، دوأن دعوته تحيط بالقارات الخمس .

ومع ذلك فإن سياستهم العلمية جعلت الإسلام رسالة عربية وحسب .

فهم لم يحسنوا تمكين الروابط الثقافية بين الأجناس الداخلة فى الإسلام ، ولا بين الأجناس التى لم تدخل فيه .

ومن الغفلة تعريب البشر كلهم ليسلموا إسلاما كاملا .

ومن الغفلة أيضاً ترك الأعاجم يتعلمون الإسلام عن طريق تراجم لم يشرف عليها الدعاة العرب .

والمعروف أن العرب لا يزيدون عن خمس المسلمين ، وأن المسلمين جميعاً لا يبلغون خمس سكان الأرض .

فماذا صنع الجهاز الإسلامى الذى يعرف عموم الرسالة الإسلامية ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ؟ .

ماذا صنع ليربط المسلمين بدينهم وليعطى عن المسلمين فكرة صحيحة عن الإسلام ؟

* * *

إننا لا نقول هذا الكلام اعتذاراً عن شرور الحضارة الحديثة ، ولكنا نقوله اعترافا بتقصيرنا ، ووخزاً للضمائر التى راحت فى نوم طويل .

على أن حقائق الإيمان ألصق بالفطرة ، وأقرب إلى التناول من أن يعتذر عنها بتقصير الدعاة ، خصوصاً بالنسبة إلى مدنية بلغت مكانة مرموقة من التقدم كمدنية العصر الحديث .

والواقع أن شيوع الإلحاد ، وانتشار التحلل يرجعان إلى أسباب أخرى غير تفريط أصحاب الدين .

من بين هذه الأسباب . الغرور بالقليل من المعرفة ، والتذرع به إلى الزيغ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وجمهرة المفكرين الذين من هذا القبيل ، فهم يرفون أبواباً معينة من العلوم المادية أو النظرية يبنون عليها كفرهم .

ويجهلون أبواباً أخرى أكثر وأخطر لو أدركوها لردتهم إلى الله تائبين .

ومعظم الذين قابلناهم أو قرأنا لهم من أولئك الشاكين نعتبرهم أنصاف متعلمين مهما بلغت دعاواهم ! .

ومن بين هـــذه الأسباب غلبة الشهوات العاجلة من نفسية ومدنية .

فإن سيطرة الشهوات على أصحابها تجعلهم يحكمون بالهوى لا بالعقل ، وبالجـــور لا بالعدل ،

وقديما كفر بنو إسرائيل بمحمد تمشيا مع هذه النزعة ، لا لغموض الدليل أو خفاء الدعوى .

« أفتطمعون أن يؤمنوا لكم ؟ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » .

وقد أشبه اليهود بهذا عدوهم فرعون الذى كفر بموسى هو وملؤه ، وجحدوا بها ، واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر . كيف كان عاقبة المفسدين » .

والبشر هم البشر فى كل زمان ومكان ، لا يزال فيهم من يحارب الحق وهو يعرفه لشهوات تحكمت فيه واستبدت به .

لقد شق الفكر الإسلامى الأول طريقه إلى الحياة والسيادة بقوة دافعة أمكنته أن يتشعب مع النشاط الإنسانى دون كلال .

ونستطيع القول بأنه ترك فى الحضارة العالمية آثاراً خالدة .

بل إننا - من غير تعصب - نقرر : أن الحرية العقلية ولدت أولا فى القاهرة ودمشق والقدس وبغداد ، قبل أن تولد فى لندن وباريس وبرلين وروما .

وأن الصليبيين الأقدمين عادوا إلى بلادهم بهذه الحرية العقلية المجلوبة من الشرق ، ليغسلوا بها أوضارهم ، ويجددوا حياتهم ، ويتخلصوا من قيـــود هائلة ، لو بقوا بها مانالوا قط قسطا من تقدم أو رخاء .

إن التفكير النير الخصب تألق فى بلادنا دهرا طويلا . واستطاع فى ميدان التشريع والتربية وفى آفاق الحياة العامة أن يصنع العجائب .

ومن المؤسف أن هـذا التفكير الخصب قد احتبس تياره مع إغـلاق باب الاجتهاد وفى الفقه ومع الانحـــراف الذى وفدت به علينا فلسفة اليونان وغيرها .

لكن هذه العوائق العارضة لا تبخسه حقه الأصيل ولا قدرته على صنع مستقبل زاهر كيف وهو مرتكز على الفطرة الراشدة والعقل الحر . . ؟

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إن عظمة التفكير الإسلامى تقوم على أنه يقدم للعالم إيمانا يعمر الدنيا ، ويمهد للأخرى ويعد الوجود الأول والأخير وحدة كاملة .

ولا نريد فى هذه العجالة ... التحدث فى فكر العقيدة والشريعة الذى ألفه الناس بل نريد الإشارة السريعة إلى فكر الحياة نفسها ، الذى يظن البعض أن المسلمين تخلفوا فيه ، لأنه ينظر إلى أحوال المسلمين اليوم فيظنهم الصورة المثلى لتعاليم الإسلام .

يقول الأستاذ المستشار / عبد الحليم الجندى ، فى كتابه (توحيد الأمة العربية) تحت عنوان « ألف عام من العلوم التطبيقية والفنية ... والرفاهية » واصفاً المجتمع الإسلامى القديم .

فى هذا المجتمع ازدهرت حضارة علمية أساسها العلوم التطبيقية البحتة والهندسة المعمارية والصناعات والعلوم الاجتماعية ، تعتبر الأولى من نوعها فى التاريخ ، صبغت المدنية العربية بصبغة علمية وتجريبية تقوم على العلوم والفلك والطب والهندسة البحرية وما إليها ...

وفى حين كانت حضارة اليونان حضارة فلسفية ، وكانت حضارة الرومان حضارة مادية تقوم على القوة العسكرية أو على النظم الشكلية كانت الحضارة العربية أول حضارة تقوم على العلوم والحرية — وهى التى أورثت الحضارة المعاصرة الكشوف العلمية والروح العلمى الذى استمرت به فى كشف أسرار الطبيعة . ولم تكد تظهر رسالة الإسلام ، حتى تفردت العلوم الإسلامية بالوجود الإنسانى نحو من ألف عام إتهذبه وتهديه ...

ويقول : « وانطلق العرب بأفكارهم فى مهاب الرياح الأربع حتى أصبحوا كما يقول « راندال » يمثلون الطراز الفكرى العلمى فى الحياة العملية الصناعية ، التى تضفى مثلها الآن على ألمانيا الحديثة . وعلى عكس الإغريق ، لم ينصرفوا عن الاختبار المعملى والسير عليه فى الطب وعلم الآليات » .

وفى التحقيقات الفنية يلوح أنهم أخضعوا العلم لخدمة الحياة الإنسانية مباشرة .

لقد ورثت عنها أوربا روح (بيكون) التى ترمى إلى مد سلطة الإنسان على الطبيعة وتداولت العلوم العربية جامعات مونبيليه وباريس وأكسفورد وفينسيا وبادوا ، وفيرارا ، وبارى ، وأنشأ الامبراطور فردريك الثانى فى القرن الثالث عشر جامعة فى نابولى لنقل العلوم العربية واليوم تشهد باريس صورتى الرازى وابن سينا على حوائط كلية الطب وأثر المساهمة التى شارك بها المهندسون العرب فى بناء كنيسة نوتردام

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(فى باريس) كما تشهد الكتابة الكوفية والعربية فى النقوش الانجليزية وأبواب الزخرفة والمعمار والنقوش العربية فى مناطق كثيرة فى أوربا .

الصيدلة علم عربى ، والكيمياء علم عربى ، والفلك والطب والميكانيكا والرياضيات والطبيعة والجغرافيا ، ما تزال تحمل الأسماء العربية المصحى ، هكذا ساد الروح العلمى الأمة العربية وقال « ديورانت » : (ربما ملك الصاحب بن عباد من الكتب فى القرن العاشر ما يقدر حينئذ بما كان فى مكتبات أوربا مجتمعة . وكانت تجد فى ألف مسجد منتشرة من قرطبة إلى سمرقند ، علماء لا يحصيهم العدد ، كانت تدوى أركانها بفصاحتهم) .

ويقول المؤرخ الفرنسى (روبير بريفو) : (كانت أوروبا فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر تتجه إلى العرب باحثة عما تستجد عندهم من صناعات وعلوم وفنون خاصة بالملاحة ، متطلعة عن كشوفهم فى علوم الرياضة والفلك والطب والكيمياء ، وكانت تبحث عندهم عن آثار أرسطو وابن سينا وابن رشد ، وكان علماؤها من أمثال ...) يلتمسون عند العرب حصاد عالم جديد من الفكر والعلم . ووجد « ريجيو مونتانوس » عندهم المعارف التى مكنت هنرى الملاح وفاسكودى جاما (مكتشف طريق رأس الرجاء الصالح) وكرستوف كولومبس (مكتشف أمريكا) من ارتياد المحيطات والوصول إلى أطراف العالم وعثر « دى باث » فى قرطبة على النسخة الوحيدة فى العالم من مخطوط (أوسيليد) الذى ظل يلقن للطلبة فى مدارس أوروبا حتى سنة ١٥٣٣ ، وطاف كل من أفلاطون لوبيزون وفيبار ناس أرجاء أسبانيا ليتزود بالعلوم الرياضية لا سيما الجبر والتقويم واللوغاريتم .

بل إن الكنيسة نفسها التجأت إلى العرب لتجد عندهم ما يعينها على إقامة صرح الفكر المدرسى وبحث كل من « البير الأكبر » و « توماس الأكوينى » عن فلسفة العقيدة الكاثوليكية نفسها فى بلنسية عند الفارابى وفى الوقت الذى أنشد فيه الشعراء التروبادور شعرهم على عتبة أسبانيا العربية صرح « روجير بيكون » فى اكسفورد (انجلترا) بأن وجود الفكر الأوربى والعلم الأوربى كان مستحيلا لولا وجود المعارف العربية .

لقد دعيت أوروبا فجأة إلى الحياة بعد أن ظلت فى ظلام الجهل طوال خمسة قرون . وهى مدينة للعرب بكل تقدمها .

ترى ... أيعرف المسلمون قدرهم ؟ ... ويستأنفون أداء رسالتهم ؟ .

إن ذلك ما نرجوه ... وما يفتقر إليه العالم الآن ... ؟

محمد الغزالى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الليلة المباركة

للأستاذ أحمد حنفي نصار

إن من خير ما تفضل الله به على عباده المتقين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم « الليلة المباركة » كما سماها رب العالمين في القرآن الكريم - والبركة النماء والزيادة - وذلك إشارة إلى ما يضاعف للمؤمنين فيها من الثواب وما يقدر لهم من خير كثير ولا أدل على ذلك من إنزال القرآن فيها وهو المنار الأعظم القائم والهدى الأقوم الدائم سعد به من أقبل من البشر عليه منذ أشرق نوره وفاح عبيره إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إذ لا كتاب بعده ولا هدى إلا هداه.

وذكر الله هذه الليلة المباركة في سورة خاصة من القرآن هي « سورة القدر » فقال تعالى: « إنا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هي حتى مطلع الفجر » كما ذكرها في أول سورة الدخان ».

وقد تشعب القول في علة تسميتها ليلة القدر فقيل إنها سميت بذلك من القدر بمعنى الضيق لأن الأرض تضيق بكثرة الملائكة الذين ينزلون فيها أو لأن الله يقدر فيها ما يشاء من أمره في العباد إلى مثلها من السنة القابلة من الموت والحياة والمطر والرزق وغير ذلك. أو أن اسمها من القدر بمعنى الشرف لما لها من عظيم المنزلة أو لأن للطاعات فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا. أو لأن من لم يكن له قدر وخطر يصير في هذه الليلة ذا قدر إذا ما أحياها بالعبادة لما ينزل الله فيها من الخير وما يهب من بركة وما يتفضل به من مغفرة أو لأنه ينزل فيها ملائكة ذوو قدر وخطر أو لأن الله أنزل فيها كتابا ذا قدر على رسول ذي قدر على أمة ذات قدر.

ويرجح هذا القول لقول الله تعالى عند ذكرها في أول سورة الدخان « حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين. فيها يفرق كل أمر حكيم. أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين. رحمة من ربك إنه هو السميع العليم ».

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكما تشعبت الأقوال فى علة تسميتها كذلك تعددت فى تحديدها فقيل إنها فى الليالى الأوتار من العشر الأواخر من شهر رمضان إما ابتداء من أولها وإما ابتداء من آخر الشهر فتكون الأولى ليلة الثلاثين ثم ليلة ثمان وعشرين لأنها الثالثة وهكذا إلى ليلة اثنين وعشرين لأنها التاسعة ، وقيل أنها تدور فى العشر الأواخر ولا تثبت فى ليلة واحدة منه أى أنها تتغير من ليلة إلى أخرى فى كل عام ، وقيل إنها مخفية فى رمضان كله أو فى العام كله ، وقيل إنها ليلة النصف من شعبان وهذا بعيد لأن الله تعالى يقول : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » ويقول « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » فدل ذلك على أن ليلة القدر محصورة فى رمضان قطعا .

وذهب قوم إلى أنها رفعت وهذا قول لا يصح فإن الرفع كان خاصا بتعيين موعدها لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إنى خرجت لأخبركم بليلة القدر وأنه تلاحى فلان وفلان فرفعت عسى أن يكون خيرا لكم » .

وقيل إنها ليلة سبعة عشر من رمضان لأن وقعة بدر كانت صبيحة هذه الليلة وكأن أصحاب هذا القول استندوا إلى آية « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » وفهموا فيها أن الإنزال للقرآن وليس للملائكة .

هذا ولم يقف المتصوفة أن يدلوا بدلوهم فى تحديد ليلة القدر ونكتفى هنا بما ورد عن الشيخ أبى الحسن الحرالى المتوفى سنة ٦٣٨هـ فقد أرجع تحديد ليلة القدر إلى ابتداء شهر رمضان وقال إنها ليلة التاسع والعشرين إن بدأ رمضان بيوم الأحد وليلة الحادى والعشرين إن بدأ يوم الاثنين وليلة الرابع والعشرين إن بدأ يوم الثلاثاء والسابع والعشرين إن بدأ يوم الأربعاء وليلة الخامس والعشرين إن بدأ يوم الخميس وليلة التاسع عشر إن بدأ يوم الجمعة وليلة الثالث والعشرين إن بدأ يوم السبت . أى أنها تدور فى الليالى الأوتار من ليلة التاسع عشر لآخر الشهر مضافا إلى ذلك ليلة الرابع والعشرين ليلة ابتداء نزول القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يقل فى غير هذه الليلة على أى أساس استند فى هذا التحديد . وقد قيل إنه كان صاحب أحوال غريبة وحكايات عجيبة وله مؤلفات فى علوم الأسرار وهو شيخ أبى العباس البونى المعروف بمؤلفاته فى هذه العلوم فلعل سنده فى هذا التحديد خاص به كما هو الشأن فى حال رجال التصوف أصحاب الأحوال والشطحات .

والمستقصى بعد هذا الاستعراض للأقوال الكثيرة الواردة فى ليلة القدر أنها باقية لم ترفع وأنها تدور مع الليالى الخمس الأوتار

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من العشر الأواخر من شهر رمضان من ليلة الواحد والعشرين إلى التاسع والعشرين .

وبعد هذا فالأحوط للمؤمن الحريص على ثوابها الضخم وبركاتها العظيمة أن يقوم ليالى العشر كلها ويضم اليها ليلة السابع عشر والتاسع عشر وبذلك يضمن أن يصادفها فيرجع بمالا يخطر من الخير على بال .

وإن ميزة هذه الليلة الكبرى التى جعلتها بحق أعظم الليالى وأفضل الأوقات هو اختصاصها بإنزال القرآن فيها وقد قال بعض العلماء ان فيها ابتداء إنزاله على الرسول صلى الله عليه وسلم: وهذا بعيد لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « أنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان » .

فابتداء نزول لوحى بالقرآن على الرسول متعين بهذا الحديث وليلة القدر لم يعينها الرسول للمؤمنين كما هو معلوم ، وقال البعض الآخر إن القرآن أنزل فيها جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ثم كان ينزل به جبريل عليه السلام بعد ذلك على الرسول صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما وهذا أقرب إلى الحق فالله تعالى أسند إنزاله إلى نفسه فى الموضعين اللذين ذكرت فيهما ليلة القدر فى القرآن الكريم .

ويقول الله تعالى : « وما أدراك ما ليلة القدر » وهذا تضخيم لقدرها وتعظيم لشأنها ، وقد قيل كل ماجاء فى القرآن مصدرا بما أدراك فقد علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وماجاء مصدرا بما يدريك فانه لا يعلمه وعلى هذا يكون الرسول صلى الله عليه وسلم على علم بليلة القدر على التحديد .

ثم عرفها الله فقال : « ليلة القدر خير من ألف شهر » والمعنى الواضح المتبادر لهذه الآية أن من قامها كتب الله له مثل أجر العبادة فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » ، وقيل فى سبب النزول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا ممن تقدم عبد الله ألف شهر فعجب المسلمون ورأوا أن أعمارهم تنقص عن ذلك القدر فأعطاهم الله ليلة القدر وجعل ثواب العبادة فيها خيرا من عبادة ألف شهر .

وقال الإمام مالك رضى الله عنه سمعت ممن أثق به يقول: « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أعمار الأمم قبله فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم فى طول العمر فأعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيرا من ألف شهر » .

وهذا وما قبله فى معنى واحد وهو أصح ما ذكر فى هذا الصدد .

وروى (أن الحسن بن على رضى الله عنهما

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عوتب حين بايع معاوية رضى الله عنه بالخلافة فقال : « إن رسول الله عليه وسلم رأى فى المنام بنى أمية ينزون (أى يثبون) على منبره نزو القردة وأطلعه الله أنهم يملكون أمر الناس ألف شهر فاغتم لذلك فأعطاه الله ليلة القدر وهى خير من ملك بنى أمية » . ثم كشف الغيب أنه كان من بيعة الحسن لمعاوية إلى مقتل مروان بن الجعدى آخر ملوك بنى أمية بالمشرق ألف شهر) وهذا كلام غريب عليه طابع الوضع لركاكته وفساد معناه ولا يعقل أن يكون هذا من منطق النبوة وآل البيت رضى الله عنهم لا يطلبون ملكا ولا يرغبون فى عوض عنه وإن كانوا قد قاتلوا على الخلافة فلأنهم كانوا يعتقدون أن ذلك لصالح الإسلام والمسلمين لا لحساب مجدهم لذاتى ورغباتهم النفسية . هذا وإن ليلة القدر ليست خاصة لآل البيت وحدهم حتى تكون لهم مقابل ملك بنى أمية وإنما هى للمسلمين كافة كما أنه ليس صحيحا عند الحساب أن مدة ملك بنى أمية ألف شهر.

ثم قال تعالى : « تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر » والروح جبريل عليه السلام وقيل الروح صنف من الملائكة جعلوا حفظة على سائرهم وإن الملائكة لا يرونهم كما لا نرى نحن الملائكة وهم أشرف الملائكة يقومون صفا والملائكة كلهم صفا وقيل الروح الرحمة ينزل بها جبريل عليه السلام ومعه الملائكة فى هذه الليلة على أهل الأرض بدليل قول الله تعالى : « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده » أى بالرحمة .

وأيا ما كان القول المختار من هذه الأقوال فإنه يدل على عظم قدر ليلة القدر وكثرة ما يجرى على المؤمنين فيها من رحمة وتكريم وإن المستفاد المقطوع به أن أهل السماء تنزل بإذن الله على المؤمنين من أهل الأرض يسلمون عليهم ويؤمنون على دعائهم فتشملهم بركات الله فى تلك الليلة المشهودة المباركة التى هى سلام وخير كلها حتى مطلع الفجر .

أما علاماتها فقد قال الحسن بن على قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة القدر : « إن من أماراتها أنها ليلة سمحة بلجة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع » كما أن من علاماتها فيما ذكر من المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم غير هذا أن الكلاب لا تنبح فيها ونذكر فى الختام ماروى من أن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر فما أقول قال : قولى اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى ، والعفو حط الذنوب ومن تركت له ذنوبه فقد فاز فوزاً عظيما . ؟

أحمد حنفى نصار الفوصى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إنسانيّة الحضارة العربيّة وإبداعها

للأستاذ يوسف حسن نوفل

تعددت الجوانب المشرقة فى تاريخ المسلمين بالأندلس ، واستحقت بذلك أن تعد أروع ما يحفل به تاريخ الإنسانية بأثرها ، لا تاريخ الإسلام فحسب .

فقد اجتاز الإسلام ساحة واسعة المدى ، خصبة التربة من ساحات التاريخ ، وطبعها بطابع متألق وهاج ملأ جوانب الدنيا .

وحق لنا أن نقول إن التاريخ قد رسا على ضفاف الأندلس ، ليبصر مجداً ، ويبارك حضارة أسس دعائمها المسلمون إيماناً منهم بامتداد روابط الحياة ، وبأن من أقدس واجبات الأجيال أن يورث كل منها من يليه أعمالا نابضة بالحق والخير والجمال ... ولهذا فقد غدت الحضارة العربية يومئذ مدرسة الدنيا بأثرها وملتقى حضارات جمة : شرقية وغربية ، ومزدحم ألوان شتى من الفنون ، فحققت بذلك شيئاً مما طمحت إليه الأمم والشعوب فى ميدان التقدم ، وبلغت الحد الذى تفوقت فيه على نفسها ... وكل شىء صدر عنها كان ممثلا لخصيصة من الخصائص الإنسانية ، ومنمياً لصيد الحضارة البشرية ، فغدت أغنية عذبة فى أفواه المنصف من المؤرخين ، وغصة محرقة فى أفواه المتعصبين الذين حرصوا على إغفال دور حضارة الإسلام فى عصر الإحياء الأوربى وإنارة العصور الوسطى ، وإذا ما بدت الحقيقة الناصعة تجلو الدور الإنسانى الخالد ، الذى حملته حضارة الإسلام فى الأندلس على كاهلها ثمانية قرون ، حطمت فيها الجهل والجمود ، وبددت سجف الظلمة وعروش الاستبداد ... إذا ما بدا لهم ذلك ردوا المؤثرات إلى الحضارة الرومانية .

والأقبح من ذلك أن يعتبروا العرب ضمن الأجناس المتأخرة البربرية التى شوهت مدنية الرومان !!

وكان الزمن كفيلا أن يقنع هؤلاء أن الحضارة التى بددت ظلمات العصور الوسطى بقبتها أرواح وعقول ارتفعت فوق العصور والمجتمعات ، تقديراً منها للحقيقة التى تقرر أن ثمرات التفكير البشرى ملك للإنسانية ، وتكفل الزمن - أيضاً - بإقناعهم أن عصر الإحياء الأوربى - وإن كان حركة عقلية كبيرة - فقد سبقته نهضة علمية فى أوربا على يد الرهبان النصارى الذين استمدوا النور من علماء الإسلام فى الأندلس .

وبعد ... فكيف كان ذلك الأفق الواسع مجالا لانطلاق شمس المعرفة الإسلامية ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومدرسة تخرج فيها حملة مشعل الإحياء الأوربي ... مع الملاح القادمة ... أرجو أن أفلح في جلاء حركة ذلك الانطلاق العملاق .

لقد كانت المعرفة هي الأجنحة التي ارتقت بها تلك الحضارة فلم تقتصر هواية جمع الكتب الثقافية على الخلفاء فقط بل شغف بها عامة الشعب .

ومن أخبار الوفود في عهد « عبد الرحمن الناصر » يخبرنا « ابن جلجل » أن في مقدمة هدايا « أرمانيوس » ملك الروم إلى « الناصر » سفران قديمان أحدهما نسخة مصورة عن كتاب « ديسقوريدس » عن الحشائش والأعشاب الطبية ، والأخرى نسخة من تاريخ العالم القديم « لاورسيوس » باللاتينية .

وكانت مكتبات قصور الخلفاء تتواءم المكتبة الأموية العظيمة التي ضمت أربعمائة ألف مجلد والتي كانت من أعظم مكتبات العصور الوسطى ، والتي كانت تحتضن نفائس الكتب من كل قطر وفي كل فن .

وعرفت النسخ الأولى من المؤلفات طريقها إلى الأندلس وكوفئ عليها أصحابها .. من ذلك مكافأة الأصفهاني على « الأغاني » بألف دينار .

وقد انتشر الوراقون في بغداد والقاهرة ودمشق يجمعون وينسخون .

ولست أدري هل رغب العرب في منافسة حكامه في تلك الميزة أم أنها هواية طبيعية دفعتهم إلى اقتناء المكتبات الخاصة حتى وجد من ذوي الدخل الضئيل من كان يحرم نفسه الطعام وجيد الثياب في سبيل تكوين مكتبة .

ووجد من النساء من اشتهرت بذلك أيضاً ... منهن عائشة بنت أحمد بن قادم ... يقول الطبيب المؤرخ الأمريكي : « فيكتور روبنس » في كتاب له يعرض قصة الطب :

« كان رهبان أوربا يلحنون في تلاوة سفر الكنيسة بينما كان معلمو قرطبة قد أسسوا مكتبة تضارع في ضخامتها مكتبة الإسكندرية العظيمة » .

وتبعا لذلك كانت معرفة القراءة والكتابة أمرا عاديا في الوقت الذي كان فيه أرفع الناس في أوربا فيما عدا رجال الدين لا يعرفها وغزت المكتبات الحدائق العامة في قرطبة حيث توسطت رفوف الكتب صفوف المقاعد .

وكان في قرطبة دكان نسخ استخدم مائة وسبعين وراقا في نقل المؤلفات .

وفي ميدان التأليف والبحث العلمي تحولت قرطبة إلى « أكاديمية » عظيمة . . وانتشرت المجامع العلمية والأدبية التي تشبه مجامع اليوم .

وحدد الخلفاء والملوك جوائز للمخترعين فظهر من بين العلماء من ألف العديد من الكتب أمثال : أبو محمد علي بن حزم الذي بلغت مؤلفاته نحو أربعمائة كتاب ، والمظفر الأفطس الذي ألف كتابا في الأدب في نحو مائة مجلد ، ومؤرخ الأندلس أبو حيان الذي ألف كتابه في ستين مجلدا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وعرفت تلك المؤلفات وغيرها طريقها إلى كل عقل متفتح يهفو إلى توسيع دائرته وزيادة رحابة أفقه ، فانتفع المسلمون ، ومدوا يد النور إلى الأوربيين الذين وجدوا فى تلك المنابع سبل هداية ، وطرق تقدم . . يقول « إرنست رينان » : إن الآثار والأسفار المحتوية على شىء من الفنون والعلوم التى أضفاها علماء الإسلام على الكون والتى نقلتها الحملات الصليبية إلى جميع بلاد الفرنجة وما تقدمها من احتكاك بين العرب وأوربا عن طريق الأندلس . . أدى كل ذلك إلى إنعام المكتبات الأوربية الخاوية الفقيرة بكنوز لا تفنى من العلم الذى أنتجته قرائح العرب ، وكان من نتائجه انتشار الثقافة والترعرع العلمى فى البيئة الأوربية بأسرها كما رفع مستوى شعوبها إلى أفق التمدن الذى نشاهدها عليه اليوم .

وفى هذا الميدان تتجلى ظاهرة تشهد بالنزعة الإنسانية التى اتسمت بها الحضارة العربية ، فقد وقف العلماء على اختلاف عقائدهم صفا واحدا . ولم يعرف الخلفاء التفرقة بينهم فرأيناء الحكم » لا يبالى باختلاف الدين ويؤثر الأسقف العالم (ريشموند الإلبيرى) (وبيع بن زيد) ؛ لسعة علمه بالفلك والفلسفة وتمكنه من آداب العرب واللاتين. وتعددت مجالس البحث والمناظرة ، وحرص (محمد بن أبى عامر) على عقدها أسبوعيا .

وكان ثمرة تلك الحفاوة البالغة وتلك الخطوات الفسيحة أن برز علماء عديدون واشتهروا بالنبوغ فى تخصصهم أمثال : المتصوف الكبير : ابن عربى ، والفيلسوف ابن حزم ، وصاحب الألفية ابن مالك ، وصاحب العقد الفريد : ابن عبد ربه ، وصاحب قلائد العقيان : ابن خاقان ، وصاحب المخصص : ابن سيده ...

ومن الشعراء : ابن خفاجه ، وابن هانئ ، وابن زيدون . ومن الفلاسفة : ابن رشد ، وابن طفيل ، وإمام القراء أبو القاسم الشاطبى ومن النساء : حمدونة التى لقبت بخنساء المغرب وعائشة بنت أحمد ، وولادة بنت المستكفى .

ولعل خير مثال نستطيع أن نستشف من خلاله الصورة المالية التى كانت عليها الأندلس هو خبر الهدايا المتبادلة بين الوزراء والملوك من ذلك هدية ابن شهيد المقدمة الناصر حيث وصلت إلى خمسمائة ألف مثقال من الذهب وحوالى مائتى أوقية من المسك والعنبر وثلاثين شقة من الحرير المرقوم بالذهب ومائة فرس مسرجة ... الخ .

والذى يمكن استنتاجه من هذا هو اطمئنان الناس هناك إلى ميزان المادة ، واستمتاعهم بالنعيم .

أما مجالسهم فقد اتسمت بالطابع العلمى .. وحفلت المتنزهات والبساتين بمجالس الشعر والزجل والغناء والموسيقى ، والفكاهة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد كان من أشهر تلك المجالس ذلك الاجتماع الذى انعقد بمناسبة قدوم سفراء ملك الروم محملين بالهدايا ، وأمر الناصر العلماء أن يخطبوا وطول المجلس أغلق عليهم القول ، ولم ينج من ذلك « أبو على القالى » نفسه .

يقول « منذر بن سعيد » فى هذا الحفل :

وقد حدقت حولى عيون أخالها
كمثل سهام أثبتت فى المقاتل
لخير إمام كان أو هو كائن
لمقتبل أو فى العصور الأوائل
ترى الناس أفواجا يؤمون بابه
وكلهم ما بين راج وآمل
وفود ملوك الروم وسط فنائه
مخافة بأس أو رجاء لنائل

ولم يتخل المسلم عما التزم به إزاء دينه ، ولم ينس أن دستوره الوحيد (القرآن الكريم) يشرع له فينتظم حياته بما فيها من سلوك نحو الآخرين ، فنشأت لديه تلك النزعة الإنسانية التى لا تفرق بين الناس : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ... وحين تطلع بنظره إلى ما وراء أفق الصحراء ... بل حين توطدت أقدامه فى أنحاء لم يكن يحلم بارتيادها ... حينذاك أيقن أنه ليس فاتحاً ولا غازياً بقدر ما هو داع ومبشر بعهد جديد ، فلم يفكر أن يبطش أو ينظر نظرة متعالية ... هى نظرة الحاكم والمنتصر ، ولكنه مارس حقوقه محترما حقوق الآخرين ، فأكد احترام الإسلام لقيم الإنسانية ، وحرصه على الكرامة وإزالة الفوارق بين الطبقات ، فرحب العبيد ، ورقيق الأرض بذلك ، ولم يعد من المبالغة فى شىء ما يشهد به الأستاذ « هاريسون » فى كتابه « العرب فى وطنهم » إذ يقول :

« حيث حل الإسلام تأكدت قيمة الفرد ونهض الناس معتزين بكرامة لا تقهر »[1].

وغدا موقفهم إزاء اليهود والنصارى موقف المحترم المتسامح رغم سيطرته على كل شىء ، فعلموهم كيف يكون التسامح الذى هو أغلى ما يمكن أن تعتز به الإنسانية فى تاريخها الطويل فأباحوا لأساقفة النصارى أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية كمؤتمر إشبيلية الذى عقد فى سنة ٧٨٢ م ، ومؤتمر قرطبة النصرانى الذى عقد سنة ٨٥٢ م ... وسمحوا لهم أن يبنوا البيع فساوسوا معتقداتهم بحرية ولم يتخل المسلمون أبداً عما التزموه إزاء دينهم الذى يقضى باحترام العقائد والحرية الشخصية .

أما اليهود فقد كانت الأندلس المكان الوحيد فى أوربا الذى يتمتعون فيه بحماية الدولة ، ورعايتها فزاد عددهم ، وأسلم كثير

(١) عن مجلة المجلة . العدد ٦٨ (١٩١٢) ص ٤٤ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من النصارى واليهود عن رغبة خالية من الإكراه فأكدوا أن الإسلام ليس دين قوة وسيف بل دين حرية، وإلا فما بالك بخليفة كالحكم يعرف أن أحد عماله ظلم واحدا من أهل الذمة فيأتي به ويصلبه ... أية ضمانات أكثر من ذلك يمكن أن تمنح لتحفظ حقا أو لتحمي كرامة ! !.

وشرع الجميع يعملون جنباً إلى جنب بلا أضغان، ولا كراهية وجمعتهم لغة واحدة وتقاسموا دراسات مشتركة فبدا: «أن كل الحواجز التي تفرق بين بني الإنسان قد انهارت، وأن الجميع كانوا يسهمون متفقين في تشييد الحضارة المشتركة»[1].

ورغم حرص الإسلام على بسط روح الصفاء بين الجميع فقد حدث أن ثار بعض متعصبي النصارى، ومع هذا فقد أعاد المسلمون الصفاء ليرفرف من جديد وكأن لم يحدث شيء، والعجيب في الأمر أن هؤلاء الثائرين كان يغيظهم ما يرون من المسلمين من تسامح، وحسن معاملة، فكانوا يتشوقون للتعذيب في سبيل دعوتهم.

ولاتصاف المسلمين بنبيل الأخلاق جوانب مضيئة كثيرة، أهمها رفقهم بالمغلوب، واحترامهم لكلمتهم والتزامهم الصدق، واحترامهم للمرأة، وقد اقتبس الأوربيون كل هذا منهم، وذلك شيء لا يحتاج إلى برهنة، فعن المسلمين في إسبانيا تعلم الأوربيون قوانين الفروسية. وحدث أن حاصروا في قرطبة (سنة ١١٣٩) مدينة طليطلة، وكانت بيد النصارى، فأرسلت إليه ملكتها «بيرانجر» تبلغه أنه ليس من الشجاعة أن يحاصر فارس «إمرأة»، فما كان منه إلا أن ارتد عنها.

وهذا هو الكاتب الأسباني «أبانيز» يؤكد أن الغرب لم يكن يعرف الفروسية ولا يدين بآدابها المرعية وحمايتها إلا بعد وفود المسلمين على الأندلس، وانتشار فرسانهم وأبطالهم.

ويتحدث المستشرق «رينو» عن ذلك فيرى أن قصص الفروسية ثبت في العصور الوسطى أثراً باقيا جعل الاسم العربي يتبوأ في أوربا وفي أذهان المجتمع الأوربي مكانة عظيمة.

ويضيف «ول ديورانت» رأيه إلى رأي «ستانلي لين بول» الذي يقول إنه: «لم تنعم الأندلس طوال تاريخها بحكم رحيم عادل كما نعمت به في أيام الفاتحين العرب»[1].

وبعد أن خرج المسلمون من الأندلس عاشت تلك اللمسات الإنسانية في النفوس الخيرة بل لم يجد الجميع مندوحة من الاعتراف بأحقية تلك الحضارة الإنسانية في أن تعيش مدى الدهر، وحين فكر الإسبان والبرتغال

(١) رينان. (الأزهر أغسطس ١٩٦١)

(١) قصة الحضارة حـ ٢ مجلد ٤ صـ ٢٩٢.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى التوسع ، ورغبوا فى أمريكا الوسطى واللاتينية ... هناك تذكروا تعاليم العرب ، وعدم اتخاذهم حواجز مصطنعة بين الغالب والمغلوب ، فاختلطوا وتزوجوا بسكان البلاد الأصليين .

وقد رفع الإسلام من شأن المرأة وكفل لها مكانه اجتماعية ممتازة تحسدها عليها أختها الأوربية إبان العصور الوسطى التى لم تنل حظها من العناية تبعا لاتجاه المذهب الكاثوليكى الذى كان يعد المرأة مخلوقا فى المرتبة الثانية ، ولهذا فإن المرأة لم تمنح هناك فى تلك الفترة شيئا من حقوقها ووصل حرمانها إلى درجة أن حرمت من أى لون من ألوان الفروز ما عدا المجال الضيق الذى تقطن فيه ، وهو المنزل ، كما عاملها أمراء النصارى الإقطاعيون فى القرون الوسطى معاملة سيئة ، فلم تنل منهم احتراما بل كانت ترضخ لغلظتهم حتى تعلم هؤلاء النصارى من المسلمين كيفية معاملة المرأة ، وعرفوا عنهم حقوق معاملتها من بين مبادئ الفروسية التى انتقلت إليهم ، ومن بينها احترام المرأة والمحافظة عليها .

فالإسلام بحق هو الذى رفع المرأة من الدرك الأسفل الذى كانت فيه ، وكل من أرخ تلك الناحية من الأوربيين لم يجد مندوحة من الاعتراف بذلك أمثال «غوستاف لوبون» وسبقه «كوسان دوبرسنال ومسيو بارتلمى سان هيلر» وغيرهم .

وقد ضم بلاط الخليفة - بالأندلس - من النساء العالمة باللغة والأدب ، والرياضة والعلوم ، فهذه ولادة بنت المستكفى ، حفيد الناصر ، ولها فى الأدب والشعر شأن كبير حيث كانت تدير ما يشبه الصالونات الأدبية فى العصر الحديث وهذه «لبنى» يعتمد الخليفة الحكم بن عبد الرحمن عليها فى كتابة رسائله الخاصة وكانت دقيقة التفكير وقامت «مريم بنت يعقوب الأنصارى» بتعليم بنات الأسر الراقية فى أشبيلية ، وتخرج على يديها نساء رعات ، أما عائشة بنت أحمد القرطبية فقد كانت من عجائب زمانها ، وكانت جيدة الخط تكتب المصاحف وشاعرة ، وكانت خزانة كتبها من أثرى المكتبات الخاصة ، ولقبت حدوثه بخنساء المغرب ، وحرر الخليفة «عبد الرحمن الناصر» «راضية» ثم تنازل عنها لابنه الحكم ، ولما مات ساحت فى الشرق ، وقدرها العلماء .

وهكذا كان للمرأة منزلتها الاجتماعية التى تحترمها أولا : ككائن اجتماعى يضطلع بدور كبير فى بناء الأمة ، وثانيا كإنسانة تتمتع بمواهب فذة ، وكفاية حية ينبغى أن تأخذ حقها من الاحترام . ؟

يوسف حسن نوفل
خريج كلية دار العلوم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مفهوم التجديد الدّيني

للأستاذ رءوف شلبي

منذ الحركة اللوثرية التي دعت إلى الإصلاح الديني - المسيحي - في أوربا ليتقبل العقل الغربي تعاليم كنيسته التي تمزقت واختلفت في:

* تعاليمها الرئيسية.
* وتشريعاتها السلوكية.
* ومناسباتها الدينية.

منذ ذلك الحين، والمفاهيم الدينية يحوطها ضباب كثيف ... حتى صارت فكرة التجديد الديني «سودة»، يتعشقها المارقون على الدين، ويقبرها المذبذبون في العاطفة والثقافة، والعقيدة.

ومن غير تردد، فإن كل فكرة تدعو إلى التجديد في الدين في الشرق الإسلامي أو يكون فيها تطاول على سدنته، وعلمائه، هي دعوة تقليدية للعمل الأوربي القديم الذي حطم كبرياء الكنيسة في ظل الثورات الدينية، والعسكرية، والدوافع الاجتماعية والسياسية والنفسية، التي ربما كانت تقتضي ذلك.

وليس أدل على تفاهة موضوع ما، يدعو به إنسان ما، مهما كانت قيمته العلمية من أنه يتحلل أسلوبا لغيره في زمن لا يسعفه الوضع الاجتماعي، ولا التهيئة النفسية المستفيضة لقبول منطقه.

ويدعي - مغالطة - إصالة دعوته، وربما استقر في عقله الباطل إشراك بما يتوهمه عقله الظاهر المقلد.

ومن أمثاله تلك القضايا - في شرقنا المسلم - أصحاب دعوة التجديد الديني في الإسلام، الذين يتعبون أنفسهم، وأقلامهم، في شرح مفاهيم فكرتهم بحجة سماحة الإسلام ويسره.

ولقد كان ينبغي لأصحاب هذه الدعوة أن يستعرضوا كتاب الله الكريم، ليروا مقدار ما يكون لدعوتهم من البوار، أو الرواج، عندما تحدد مفاهيم التجديد الديني، تلك القضاية التي نقلوا عنوانها من أحداث أوربا في عهدها المظلم القاسي إلى حياتنا المعاصرة في ظل الإسلام الحنيف.

وبوضوح فإن القرآن يحدد:

١ - «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم».

٢ - وأنه لا مجال للتشريع بالرأي ما دام هناك أمر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقضي بذلك القرآن الكريم: «ما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا».

٣ - وأن الجهة الخاصة بالتشريع للأمة هي ما توضحها الآية الكريمة: «وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم».

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لجهة التشريع ، والفتوى خصصها القرآن بطائفة محددة : —

إنها الجماعة التى هيأ الله لها :

١ — وضوح المعرفة الدينية .

٢ — والفقه اللغوى للعربية الفصحى ، وإدراك سر المعانى .

٣ — والأمانة العلمية الدقيقة .

٤ — والسلوك الدينى الرفيع .

٥ — والغيرة على ربط الحياة فى مجرياتها ، الفرد ، والجماعة ، والأمة بقواعد الإسلام : نصوصه ، وروحه .

وهذا النسق الأصولى للتشريع الإسلامى مراده ربط حياة المسلمين فى كل زمان ومكان بثقافتهم التى افتتحها الله تعالى لهم بالقرآن الكريم ، وغذاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة الإسلامية المطهرة .

وإذا : فكل تطاول على مفاهيم التشريع الإسلامى وأصوله ، وأئمته ، هو اعتداء على الثقافة الإسلامية الأصيلة فى مجال تطبيقها على أمتها .

والمعركة دائرة منذ التوسع الإسلامية فى الأندلس ، ومناهضة البرتغال لهذه الحركة الإنسانية ، بالاستيلاء على الموانى الإسلامية فى بحار الشرق الأقصى — المعركة دائرة منذ ذلك الحين — حول تحطيم الإمبراطورية الإسلامية ، ومن المفهوم جيداً أن أية أمة عظمى لا تدك حصونها إلا يوم أن تتلاشى شخصيتها ومقوماتها .

ومقوم الأمة العربية ، هو الإسلام : بأصوله ، وفقهه ، وأئمته .

ولهذا فقد أراد المخطط الاستعمارى أن يزاوج بين وسيلتى الاستعمار العسكرية والثقافية ، ذلك أن أمر الاستعمار العسكرى قريب الأجل ، أما الغزو الثقافى فإنه يستقر فى الدم ويملك زمام العقل ، ويسيطر على الوجدان والسلوك .

ومن هنا فقد رئى له مدارس خاصة تناهض الأمة الإسلامية مع زحمة الحديد ، وضغط الجيوش والمتابعون لهذا المخطط يستطلعون هذا المكر فى تيارات الهدم من أبناء الشرق فى حركات .

١ — الشعر الجاهلى :

٢ — أصول الحكم فى الإسلام :

٣ — ولدينا دعوة جديدة هى التوأم الثالث وهى فكرة التجديد الدينى وتستند كل ما تستند هذه القضية إلى مفهوم خاص فى معنى الإجماع ...

وعلى أية حالة فإن دراساتها لكتب أصول الفقه هى دراسة المبغض المتلمس وشيجة — فى زعمه — واهية ليقطع بقية الأواصر والأوشاج .

والحق أن مفهوم الاجماع هو تنظيم الحياة الإسلامية الآمة فى حادثة جديدة ليس لحكمها نص من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بروح الشريعة الإسلامية . بحيث لا يكون هذا الحكم مفرخا لمشكلات أخرى لا تتفق مع أحكام الشريعة أو تصطدم مع العقائد الأساسية فى الدين ، أو لا تتسق مع أهداف الإسلام وأخلاقه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومعنى هذا : أن الإجماع الأول مفهومه حرص دقيق على استمرار الحياة الإسلامية مرتبطة بمفاهيم ثقافة الإسلام الأولى ، وإذن فدعوى إحلال مجالس التشريع المعاصرة محل هذا الإجماع الشريف دعوة للتحلل من انتظام حياتنا المعاصرة مع الحياة الإسلامية الأولى ويظهر هذا التحلل مايذكر من علة ، أن الاجماع المعاصر شاهد مجداً من الحضارة والقانون والعلوم ... الخ لم يشهدها الإجماع الأول » .

ومعنى هذا : انتصار للثقافة الغربية فى ميدان التطبيق على الثقافة الإسلامية فى عقر ديارها .

ومن جانب آخر : لو كان لأصحاب دعوة التجديد الدينى فى الإسلام وضوح فى إخلاص النية ، لاتجهوا من فورهم بهذه الفكرة إلى الجهاز الذى أقره « إجماعهم » الذى يؤمنون به فى دعوتهم ، ويعرضون عليه تفاصيل ما يدعون إليه .

فإن الدولة فى نهضتها العربية المسلمة قد أنشأت بالقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ مجمع البحوث الإسلامية .

١ — لتستمر شعوب العالم الإسلامى والأمم العربية متجهة نحو قيادة الأزهر فى مجال الدعوة الإسلامية .

٢ — ولتبعث من جديد مواريثنا الثقافية القديمة .

٣ — ولتهذيب الثقافة الإسلامية من الفضول والشوائب التى رماها بها الاستعمار الفكرى الأوربى القديم . والحديث .

٤ — ولينشط العمل الإسلامى فى حياة الشعوب المسلمة على نظام من قواعد الإسلام ولتوضع له الحلول فى كل ما يعن لمجتمعاتهم من مشكلات .

ومعنى هذا : إن مجلس الأمة قد أعفى نفسه من النظر فى التشريعات الدينية وأنشأ لها جهازاً جمع فيه جهابذة العلوم الإسلامية والقانونية والحضارة ليحقق ما انعقد عليه من آمال .

وأخيراً نقول لأصحاب فكرة التجديد إن الدولة فى تخطيطها الشامل لميادين الإصلاح قد ربطت العلماء وأصحاب الفكر بأجهزة يتوجهون إليها فى كل اختصاصه .

لولا أن سنة الأجـــداد لا تزال تتعب سلوك الأحفاد إذا ما سطع نور الحق ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره .

إن هذا الشرق قد ولد على يد العقيدة وانتشر فى نهضة واسعة بعزة الإسلام وليس لتاريخه وحضارته سند إلا هذا الدين ، فليرجع عنه تلاميذ المخطط الاستشراقى العجوز وليخلعوا ثيابهم الخادعة بكلمة الإسلام ، لتظهر سوأة الإلحاد فإنه لاعاصم لهم من أمر الله .

وبالله التوفيق ؟

رءوف شلبى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى التجديد الدينى

للأستاذ منشاوى عبود الحتولى

قرأت مقال التجديد الدينى المنشور بمجلة الرسالة عدد ٥٩ فلاحظت عليه ملاحظات أجملها فيما يأتى :

١ — يرى الكاتب أن التحريم إذا كان بنص من الكتاب والسنة يجب الإذعان له والعمل به .

وأما إذا كان التحريم عن طريق الإجماع فلا تترتب عليه النتيجة السابقة ويعلل رأيه هذا بقوله :

(لأن الإجماع ليس إلا لونا من ألوان التشريعات المدنية التى تسود الجماعة فى وقت من الأوقات والتى تحرص عليها الجماعة ما دامت محققة للمصلحة العامة وملبية لحاجة الناس) .

وهذا يدل على نقص الإدراك لحقيقة الإجماع الشرعى فإن الإجماع الذى اعتبر من أدلة الأحكام الشرعية هو :

اتفاق جميع المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فى عصر من الأعصار على حكم شرعى : وللاجتهاد شروط كثيرة تكفلت كتب الأصول ببيانها ، ولا تتوفر هذه الشروط إلا للصفوة الممتازة من أعلام الشريعة الإسلامية .

والإجماع لابد له من سند فيجب أن يكون لأهل الإجماع سند يستخرجون منه الحكم ويجمعون عليه لأن الاستقلال بإثبات الأحكام ليس للبشر - ولو جاز الإجماع بلا دليل انقلبت الأباطيل صوابا بالإجماع لأن الإجماع قول كل من المجتمعين وقول كل منهم بلا دليل محرم فكونه بلا سند باطل .

والسند قد يكون نصا من الكتاب أو السنة فإذا كان الإجماع على تحريم شىء . يكون التحريم فى الحقيقة ثابتاً بهذا النص من الكتاب أو السنة .

وعمل المجتهدين باجماعهم هو الاتفاق على إبراز هذا التحريم الذى دل عليه النص .

غاية الأمر أنه بعد اشتهار الإجماع يحتج بهذا الإجماع على ثبوت الحكم الشرعى .

ولا يلزم غير المجتهدين البحث عن سنده لأنه يكفى أن يكون السند معروفا للمجتهدين عند إجماعهم .

لذا كان من المقرر عند علماء الأصول كون الإجماع حجة شرعية يثبت الحكم قطعا .

ومن هذا يتبين أن تفرقة الكاتب فى العمل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين حكم التحريم الذى ثبت بنص من الكتاب أو السنة وبين حكم التحريم الذى ثبت بالإجماع تفرقة لا تقوم على أساس بل تدل على تجرد من فقه الإجماع ودراسة مباحثه .

٢ ـ قال الكاتب :

(إن من المجتهدين المسلمين من خالف إجماع الفقهاء ولم ير فى مخالفته بأساً) .

واستدل الكاتب على فهمه هذا بقوله :

(لقد أجمع الفقهاء على أنه يحرم بالرضاع ما يحرم بالمصاهرة . ولكن ابن تيمية لم يذهب إلى هذا الرأى) .

وهذه المسألة التى يتحدث عنها الكاتب قد بينها الشوكانى فى كتابه نيل الأوطار فقال :

قد وقع الخلاف هل يحرم بالرضاع ما يحرم من الصهار .

وقد ذهب الأئمة الأربعة إلى أنه يحرم نظير المصاهرة بالرضاع . فيحرم عليه أم امرأته من الرضاعة وامرأة أبيه من الرضاعة ـ ويحرم الجمع بين الأختين مع الرضاعة ـ وبين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها من الرضاعة .

وقد نازعهم فى ذلك ابن تيمية كما حكاه صاحب الهدى .

وحديث عائشة [1] فى دخول « أفلح » عليها فيه دليل على ثبوت حكم الرضاع فى حق زوج المرضعة وأقاربه كالمرضعة .

وقد ذهب إلى هذا جمهور أهل العلم من الصحابة والتابعين وسائر العلماء . وقد وقع التصريح بالمطلوب فى رواية لأبى داود بلفظ قالت عائشة : (دخل على أفلح فاستترت منه . فقال : أتستترين منى وأنا عمك . قلت : من أين . قال : أرضعتك امرأة أخى . قالت : إنما أرضعتنى المرأة ولم يرضعنى الرجل . فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال : إنه عمك فليلج عليك) .

وروى عن عائشة وابن عمر و بن الزبير . ورافع بن خديج . وزينب بنت أم سلمة . وسعيد بن المسيب . وأبى سلمة بن عبد الرحمن ، والقاسم بن محمد ، وسالم وسليمان بن يسار ، وعطاء بن يسار ، و شعبى ، والنخعى ، وأبى قلابة ، وإياس بن معاوية القاضى أنه لا يثبت حكم الرضاع للزوج حكى ذلك عنهم ابن أبى شيبة ، وسعيد بن منصور ، وعبد الرازق ، وابن المنذر .

---

(١) نص هذا الحديث : (عن عائشة أن أفلح أخا أبى القعيس جاء يستأذن عليها وهو عمها من الرضاعة بعد أن نزل الحجاب . قالت : فأبيت أن آذن له . فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته بالذى صنعت فأمرنى أن آذن له : رواه الجماعة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وروى أيضاً هذا القول عن ابن سيرين ، وابن علية ، والظاهرية ، وابن بنت الشافعي .

وقد روى مما يدل على أنه قول جمهور الصحابة فأخرج الشافعي عن زينب بنت أبي سلمة أنها قالت :

كان الزبير يدخل علي وأنا أمتشط أرى أنه أبي وأن ولده إخوتي لأن امرأته أسماء أرضعتني فلما كان بعد الحرة أرسل إلى عبدالله ابن الزبير يخطب ابنتي أم كلثوم على أخيه حمزة بن الزبير وكان للكلبية . فقلت : وهل تحل له فقال : إنه ليس لك بأخ ، إنما إخوتك من ولدت أسماء دون من ولد الزبير من غيرها . قالت : فأرسلت فسألت والصحابة متوافرون . وأمهات المؤمنين . فقالوا : إن الرضاع لا يحرم شيئاً من قبل الرجل ، فأنكحتها إياه .

وأجيب بأن الاجتهاد من بعض الصحابة والتابعين لا يعارض النص - ولا يصح دعوى الإجماع لسكوت الباقين - لأنا نقول نحن نمنع :

أولا : أن هذه الواقعة بلغت كل المجتهدين منهم .

وثانيا : أن السكوت في المسائل الاجتهادية لا يكون دليلا على الرضا .

وأما عمل عائشة بخلاف ما روت فالحجة روايتها لا رأيها ، وقد تقرر في الأصول أن مخالفة الصحابي لما رواه لا تقدح في الرواية .

وقد صح عن علي القول بثبوت حكم الرضاع للرجل - وثبت أيضا عن ابن عباس كما في البخاري) اهـ .

من هذا يتضح أن المسألة خلافية ، وأن القول بأنه يحرم بالرضاع ما يحرم من الصهار رأى الأئمة الأربعة وجمهور الفقهاء وقد ظهر رجحان دليلهم

فليست هذه المسألة من مسائل الإجماع - كما فهم الكاتب - لأنها لو كانت من مسائل الإجماع لما ساغ لواحد مخالفة حكم الإجماع . فتصنيع الكاتب الذي أراد به أن يجعل من هذه المسألة أساسا يبنى عليه ما أراد يعتبر عملا مهدراً ، وأساسا منهاراً لا يحقق له ما يهدف إليه من محاولة طائشة .

٣ - قال الكاتب : فجميع مشروعاتنا المستحدثة كغزو الفضاء . واستخدام الطاقة الذرية في السلم تدخل في باب الإباحة من حيث إنه لا نص في الكتاب أو السنة على تحريمها .

ونقول له . من الذي قال بحرمة غزو الفضاء واستخدام الطاقة الذرية في السلم ؟

إن نصوص القرآن الكريم تأمر بالنظر في ملكوت السموات والأرض . وتعرف سنن الله في الكون وما أودع فيه من

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

خصائص وأسرار للانتفاع بها وأخذ العبرة منها ، والاستدلال بها على عظمة الخالق وإبداعه فى خلقه قال تعالى (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) .

٤ ـ قال الكاتب : (بل نستطيع أن نذهب إلى أن جميع المشروعات المستحدثة لا تحتاج إلى فتوى من رجال الدين . إذ من المسلم به أن الكتاب والسنة لم يتعرضا لها لأنها لم تكن موجودة) .

وهذا يدل على أن الكاتب لم يفقه شريعة الإسلام . فإنه لا ريب أن شريعة الإسلام شريعة خالدة وأنها الدين الذى رضيه الله لعباده . وأنها تكفلت بأحكام المكلفين فى جميع الحالات والأزمنة .

ولا يقبل من أحد اتباع سواها « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » فإذا وجدت حادثة معينة نص القرآن أو الحديث على حكمها . وجدت حادثة أخرى بعد عصر النبى صلى الله عليه وسلم فإن المجتهد بواسطة القياس ينظر فى علة الحكم للحادثة السابقة فإذا وجد هذه العلة متحققة فى الحادثة الجديدة حكم بأن النص الوارد فى الحادثة الماضية وارد فى الحادثة الجديدة أيضا . ويكون حكمها ثابتا بهذا النص ـ ولذا كان معروفا بين علماء الأصول أن القياس مظهر للحكم لا مثبت له ـ فيكون حكم الحادثة الجديدة ثابتا بالنص الذى أثبت حكم الحادثة السابقة ـ فعندما يسأل رجال الدين عن حكم مسألة لا يجيبون عنها بالهوى وإنما يبحثون عن الحكم الثابت بالنص فى نظيرها .

وبعد أن يطمئنوا إلى المساواة فى علة الحكم بين المسألة السابقة والجديدة ينقلون الحكم الثابت بالنص إلى المسألة الجديدة ما دامت علة الأصل متحققة فى الفرع .

فللمجتهد أن يدرج الحادثة الجديدة فى عمومات النصوص ـ أو عمومات العلل حتى يكون حكم الحادثة الجديدة ثابتا بالنص أو القياس .

٥ ـ يقول الكاتب (يذهب أبو يوسف إلى أن الحكم الشرعى المبنى على العادة يعطل إذا تغيرت العادة ، ولا ضير من مخالفة النصوص) .

لم يذكر لنا الكاتب المصدر الذى نقل عنه هذه القاعدة ـ ونستبعد أن تصح نسبة القول إلى أبى يوسف أو غيره من أئمة الإسلام بتعطيل نصوص الشريعة تبعا لعادة الناس ، فإن ذلك يؤدى إلى وقوع النسخ فى الشريعة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ووقوع النسخ بعد عصره عليه الصلاة والسلام لا يجوز إجماعا .

وأيضاً يجعل شريعة الله خاضعة لعادة الناس ، وذلك سبيل للتخلص من هذه الشريعة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والقضاء عليها ، فإنه لا وجود لها إلا بأن تكون مهيمنة على أحوال الناس ، وأن يخضعوا لها تقاليدهم ورغباتهم قال صلوات الله وسلامه عليه (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) .

٦ — بعد أن ذكر الكاتب أحكام الشريعة فى الغنائم دعا إلى عدم العمل بها لأن عادات الناس تغيرت ، والأسلحة التى يحاربون بها فى هذا العصر تختلف عن الأسلحة السابقة فقال ما نصه (هذه الأحكام الشرعية وجدت يوم كانت الدنيا كلها تجرى تقريبا على هذه القواعد أو على تلك العادات .

ونحن اليوم نمضى فى الحرب على أسس لم تكن معروفة للسابقين من مدفعية ودبابات ثم قال : لقد تغيرت العادات وتغيرت القوانين تبعا لها . وقال أيضاً إن تفهم كل هذا قد عطل نصوص الشرع الشريف الخاصة بالغنائم ولا ضير فى ذلك ولا ضرر) .

ولا ريب أن هذا قول بالغ الخطورة ، ودعوة جريئة آثمة ، ومحاولة باغية لإلغاء نصوص القرآن والسنة فى باب من أبرز أبواب شريعة الإسلام ، ومن أجل أى شىء يقترف هذا الفساد والدمار ؟ من أجل اختلاف الأسلحة فى عصرنا عن العصر الماضى أى منطق هذا ؟ وأى عقل يسيغه ؟ وأى حليم يصبر على هذا الهراء ؟

لقد دعا الإسلام إلى الاستعداد للأعداء بكل قوة تتسع لها طاقتنا وإمكانياتنا فقال جل شأنه « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

ولم يحدد القرآن نوع القوة التى نعدها لتفسر فى كل زمان بما يرهب أعداء الإسلام فإذا كانت الرهبة بالسيف ، كان الإعداد بالسيف ، وإذا كانت الرهبة بالقنبلة والصاروخ كان الإعداد بهما وهكذا ... فكل ما يجد من آلات حربية تخيف الأعداء مأمور به فى قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

وهذا من الأدلة على عموم الشريعة ـ وصلاحيتها لكل زمان ومكان .

على أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال فى تعليقه على هذا الآية (ألا إن القوة الرمى) وذكرها ثلاثا وذلك يشمل كل ما يرمى به . وهذا من معجزات النبوة الباهرة فليس فى الآية إذن خصوص الإعداد بالسيف حتى يتخذه الكاتب مطية إلى ما يريد من بغى وضلال .

٧ — يوجه الكاتب إلى رجال الدين وعلماء الأزهر كلمة تتعلق بملكية الأراضى فيقول متحدثا عنهم .

« إنهم من غير شك أولى الناس بتطبيق أحكام الشرع الشريف ـ وأحكام هذا تفيد أن أرضنا المفتوحة عنوة ملك للدولة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ووقف على المسلمين فهل لهم أن يعلنوا أن أراضيهم التى تحت أيديهم ليست ملكا لهم وإنما هى ملك للدولة وأنها تحت أيديهم على أنها أرض عشرية وأن ما دفعوه فيها من أموال للبائعين كانت من قبيل خلو الرجل ،

وهذا كلام يعترض عليه من وجوه .

الأول - إنه يناقض رأى الكاتب فى أول المقال فإنه يرى أن التحريم لا يثبت إلا بنص من القرآن أو السنة ، وكلامه هذا يتضمن تحريم انتفاع هؤلاء بأراضيهم فأين النص من القرآن أو السنة على هذا التحريم ؟

الثانى : قوله : إن ما دفعوه فيها من أموال للبائعين كانت من قبيل خلو رجل : يفيد هذا القول أن خلو الرجل مشروع مع أنه أمر غير مشروع إذ المال المأخوذ فيه ليس له عوض ولا مقابل فيكون من باب أكل أموال الناس بالباطل ، وقدم حرم الله ذلك بقوله « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » .

الثالث : الحكم بأن أرض مصر غير مملوكة لأهلها حكم غير سديد لأن أرض مصر فتحت عنوة حين فتحها عمرو بن العاص . وأقر عمر رضى الله عنه أهلها عليها - ووضع الخراج على أرضها فتكون أرضاً خراجية - والأرض الخراجية مملوكة لأهلها يجوز تصرفهم فيها بيعا وإجارة وغير ذلك : قال فى المختار وشرحه الاختيار :

(والسواد [1] أرض خراج) لأنه يجوز إقرارهم على الكفر فقد وجد شرط الخراج ولأن عمر رضى الله عنه فتح سواد العراق ووضع عليه الخراج بمحضر من الصحابة - وأجمعت الصحابة على وضع الخراج على الشام . وكذلك وضع عمر رضى الله عنه على مصر الخراج حين فتحها عمرو بن العاص ثم قال : (وأرض السواد مملوكة لأهلها يجوز تصرفهم فيها) لما بينا أن الإمام إذا فتح بلده قهراً له أن يقر أهلها عليها ويضع عليهم الخراج - فإذا أقرهم عليها بقيت مملوكة لهم فيجوز تصرفهم فيها بيعاً وشراء وإجارة وغير ذلك كسائر الملاك والأملاك . اهـ

لهذا بقيت كلمة أتوجه بها إلى هذا الكاتب وأمثاله : إنه ينبغى ألا يتطاول الإنسان إلى مقام علمى إلا بعد أن يعد له عدته دراسة شاملة وبحث مستنير . ونظرة فاحصة امتثالا لقول العليم الحكيم « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » ؟

مشاوى عبود

---

(١) قال صاحب اللباب فى تفسير السواد (أى سواد العراق سمى سوادا لخضرة أشجاره وزروعه وهو الذى فتح على عهد سيدنا عمر فأقر أهله عليه . ووضع على رقابهم الجزية . وعلى أراضيهم الخراج) . اهـ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للأستاذ علي العماري

لا يكاد يمر يوم دون أن يسجل الراصد للتيارات الفكرية في أيامنا هذه تياراً منحرفاً في التفكير الديني .

فقد كثرت وسائل الإعلام ، واتسع مجالها ، من صحف ومجلات ، وإذاعة مسموعة ، وأخرى مشاهدة منظورة ، و (سينما) ومسرح ، وأندية ثقافية ... إلى أنماط أخرى تتيح للناس أن يعبروا عن آرائهم .

وقد يكون من الخير أن يتذاكر الناس شئون دينهم ، وأن يعبر كل ذي رأي عن رأيه ؛ فإن الحقيقة بنت البحث - كما يقال - وأن المذاكرة تعدي على العلم - كما يقال أيضاً - .

ولكن الذي لا يبشر بخير ، أن يقول كل من أراد ما أراد دون أن يرجع إلى فقه في موضوعه ، ودون أن يتعمق الدراسة ليحض رأيه ، وأن يتقحم الكاتب كل موضوع دون أن يكون من أهله ، فإن أضرار هذا التقحم كثيرة ، وأولها يعود على الكاتب نفسه ، لأنه يظهره في ثوب الجاهل المتعالم ، أو الأجنبي المتطفل .

ولعلك أيها القارىء لاحظت كما لاحظت أن كثيرين ممن يتكلون في الإصلاح الديني تنقصهم الدراسة الواعية ، ويتملكهم الغرور المتعالي ، وتسيطر على أقلامهم ، وعقولهم (اللامبالاة) فيهرفون بما لا يعرفون ، ويعتسفون في مجاهل ليست لهم أية خبرة بشعابها ووديانها ، وقديما قال العرب : قتل أرضا عالمها وقتلت أرض جاهلها .

هل سمعت (حلاق القرية) في ساحة الحي حيث يجلس متعالياً متطاولا ، وحوله أهله وعشيرته متحلقون ، يحاضر في أدق شئون الطب ، ويشخص أكثر الأمراض تعقيداً ، ويصف لها من الأدوية ما كانت تصفه العجائز منذ قرون ؟ !

إذا كنت رأيت هذا المشهد الرائع العجيب ، أو سمعت به ، فاعلم أنه مثل واضح صادق لبعض أصحابنا الذين يحاضرون ، أو يكتبون ، أو يذيعون آراء يزعمون أنها لتجديد الدين ، أو لتفسيره ، أو لحل مشاكل الناس من الناحية الدينية ، وهم فيما يبدو لم يقرأوا كتاباً واحداً في أصول التشريع ، أو على الأقل لم يفهموا هذا الكتاب إذا كانت كبرياؤهم سمحت لهم فحاولوا أن يمروا بصفحاته مرور المجالي المجتهدين .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولعل أخطر هذه الآراء تلك التي يذيعها أناس يملكون حق النشر والطبع ، فهم في الوقت الذي يعلنون فيه أنهم يقدسون حرية الرأي ، ويقدرون قيمة الكلمة ، لا تسعفهم الشجاعة النفسية أن ينشروا كلمة واحدة تعاسرهم الحساب ، أو تبين لهم مدى الخطأ الذي يقعون فيه ، في الوقت الذي يذيعون فيه كل كلمة منحرفة ما دامت تسير في الطريق الذي يسيرون فيه ، وتهدف إلى الغاية التي يقصدونها .

ولسنا نطلب من الدولة أن تضرب على أيدي هؤلاء ، ولا من المسئولين الحقيقيين عن أجهزة الإعلام أن يطهروها ممن يقولون بغير علم ، ويجترئون على الحقائق بغير اكتراث ، ويعتدون على مقدساتنا لغير صالح أمتنا ، لسنا نطلب شيئاً من ذلك ، ولكنا نطلب منهم أن تكون لهم رقابة على سير هذه الأجهزة حتى يدركوا أن اتجاهات خاصة تسيطر على بعضها ، ولا أثر لاتجاهات أخرى تحد من غلواء تلك الاتجاهات ، وتقلل من خطرها على عقائد الناس ، وعلى أخلاقهم .

لقد كان منذ سنوات كاتب كان حواريوه يصفونه بأنه من أعمدة الفكر في هذا العصر ، وكان يكتب (يومياته) في صحيفة يومية ، وكثيراً ما تناول قضايا دينية وحشد لها من المنحرفين ، وطلاب الشهرة من يؤيد آراءه ويحطب حباله ، وكان أكثر ما يتبجح به حرية الرأي ، ولست أذكر أنه سمح مرة واحدة لكلمة حق أن تنشر في (يومياته) على الرغم من الكلمات الجادة ، الواضحة الحجة ، البينة المحجة التي أرسلت إليه .

* * *

ذكرت كل ذلك حين رأيتني في الأيام الأخيرة أطلع كل يوم على عجيبة في مهاجمة الدين ، أو في تحريف نصوصه ، أو في تفسير قواعده وأصوله ، على طريقة (حلاق قريتنا) العالم بالطب والجراحة ، وهو لا يعرف إلا الحجامة والكي بالنار ، ونزع الأضراس (بكماشته العتيدة) .

وآخر ما قرأت من هذا مقالات في (التجديد الديني) للدكتور محمد أحمد خلف الله ، آثر بها مجلة الرسالة .

وعلى الرغم من معرفتي القديمة للدكتور من يوم أن نعل فعلته بكتابه (القصص الفني في القرآن) فقد تابعت قراءة هذه المقالات على أمل أن أجد فيها جديداً ينفع أمتنا ، وينفع المسلمين في وقتهم الحاضر ، ولكن وجدتني بعد أن أتم الدكتور مقالاته أذكر هذه القصة القصيرة :

لقي رجل صديقاً له فسأله : أحسن والحسين بنتا معاوية بن أبي طالب ؟ فقال له صاحبه : والله ، ما أدري أي أخطائك أصح!

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد مست هذه المقالات أصولا وفروعا فى التشريع الإسلامى مساً عنيفاً .

وسأترك للمتعمقين فى دراسة الفقه والأصول الرد على ما أثاره من مسائل جزئية ، وأراجعه فى القضايا الكبرى التى أثارها ، والتى أظن أنها لا تخفى على من له إلمام ما بالتشريع الإسلامى ، وسيتبين من هذه المراجعة أن الكاتب لم يكن يعتقد ما يقول .

* * *

١ — ابتدأ الكاتب فوضع (أصلا) ليبنى عليه كل ما أتى به بعد ، ذلك الأصل هو أن فى التشريعات الدينية عناصر ثابتة خالدة لا تتأثر بزمان أو بمكان وعناصر أخرى غير ثابتة .

ومثل الأولى بالمعتقدات الدينية الخاصة بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وهى التى وصى الله بها جميع الأنبياء — كما ورد فى هذه الآية التى ساقها الكاتب فى هذا الموضع — : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » . واعتمد — هنا — على تفسير الرازى لهذه الآية ، وخلص إلى العناصر غير الثابتة ورأى أنها (التكاليف والأحكام) فهى — كما يقول — خاضعة للتغيير والتبديل .

وهكذا فى غفلة من العقل ، وذهول من المنطق ، وفى جرأة على الحق حكم الكاتب على (التكاليف والأحكام) فى شريعتنا الإسلامية الثابتة الخالدة ، بأنها غير ثابتة ، ولا خالدة .

فالصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة ، يناله التغيير والتبديل أصولا وفروعا فى رأى الكاتب .

وإذا كانت الصلاة — مثلا — تختلف فى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم عن شريعة إبراهيم ، ونوح ، فينبغى — كما يزعم الكاتب — أن تختلف فى القرن العشرين عنها فى حياة الرسول ، وهكذا يقال فى كل التكاليف .

ولا أعتقد أن هذا جهل من الكاتب ، فهذا لا يكاد يجهل الحق فيه مسلم ، ولا غير مسلم ، فبقى أن يرجع القارىء إلى حدسه وتخمينه ليعرف ما الذى حمل كاتباً يشرف على مجلات وزارة الثقافة أن يثبت مثل هذا الكلام .

ونمضى مع الكاتب فنراه يصر على هذا الذى ارتآه ، ولكنه يبدأ يتراجع شيئاً فشيئاً ، فيرى أن نصوص الشرائع السماوية نصوص مقدسة لا يمكن أن تكون محل تغيير ، ولكنه فى الوقت نفسه يرى أن آيات الأحكام أو بعضها يمكن أن تتأثر بفعل الزمن ، هكذا (آيات) فهو لم يقل : الأحكام التى استنبطها الفقهاء من بعض

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الآيات، وإنما قال (الآيات) كأنه يرى أن بعض النصوص المقدسة يمكن أن يتأثر بفضل الزمن.

ويضرب فى عمياء مظلمة، فى خبط وخلط، راجعاً مرة إلى ابن خلدون، وأخرى إلى ابن قيم الجوزية، وثالثاً إلى بعض الآيات ليصل أخيراً فى إعياء وإجهاد إلى بعض الفقهاء الذى يرى أن مخالفة الأحكام المأخوذة من النصوص الدينية تجوز فى غير الضرورة وذلك إذا زالت علة الحكم الشرعى، أو تغير العرف والعادة، ويعلن هنا عن قاعدة ذهبية رآها فى بعض الكتب دون أن يتعمق فى دراستها، ويفسبها إلى (الفقهاء المسلمين) هكذا بصيغة التعميم، وهى: «إن الحكم الشرعى المبنى على علة يدور مع علته وجوداً وعدماً».

وأنا أترك شرح هذه القاعدة، وبيان مافيها لمن يناقشونه من فقهائنا، أو أحيله على أى كتاب من كتب أصول الفقه ليتفهم هذه القاعدة جيداً.

ويذكر هنا - مثلا - وهو - كما يقول - تعطيل سيدنا عمر بن الخطاب لبعض النصوص القرآنية الحاسمة بالمؤلفة قلوبهم، وأحيله على أحد الشيوخ ليشرح له صنيع عمر، فإن مثل هذا الكاتب لايحتاج فقط إلى كتاب يقرأ فيه، وإنما يحتاج إلى معلم يرشده

ومن هذا القبيل ما نسبه إلى الإمام أبى يوسف فى جرأة غريبة، وتعميم عجيب من جواز ترك النص واتباع العادة.

٢ — وينسب إلى الفقهاء أنهم يقولون إن الإجماع إنما يكون حين لا يوجد نص من كتاب، أو سنة صحيحة، ومعنى ذلك - عنده - أن الحكم الشرعى الذى يجىء عن طريق الإجماع يكون حكما شرعياً مستحدثاً.

وهذه غلطة سببها أن الكاتب لم يحاول أن يطلع حتى ولا على (تعريف) الإجماع. ويستطرد الكاتب فيبنى على أصله هذا أن طبيعة الإجماع هى بعينها طبيعة التشريعات المدنية، أى أنها وضع القوانين والقواعد المنظمة للعلاقات بين الناس، وإن كانت القوانين المدنية - فيما يرى - أدق، وأكمل تنظيما. وما دام سبيل الإجماع، والتشريعات المدنية واحداً فلماذا لا نعتبر التشريعات المدنية الحديثة الخاصة بالمعاملات، والصادرة عن الهيئات التشريعية الحديثة من قبيل الإجماع، أنه يعتبرها كذلك، ولا عبرة فى هذا الموقف بمخالفتها لإجماع سابق، ولو كان هذا الإجماع إجماعا للصحابة - رضى الله عنهم - كما قال.

ونقول له:

أولا: اعلم - وفقك الله - أن الإجماع لابد أن يعتمد على نص، من كتاب أو سنة (فإذا لم يكن فى نازلة كتاب ولا سنة وأتى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فيها السلف بفتوى ، ولم يعلم عن أحد منهم خلاف فى تلك الفتوى ؛ فإن جمهور الفقهاء يرى ذلك حجة فى الدين وذلك إن اجتماعهم لا يكون عن رأى ، إذ الرأى إذا كان تفرق فيه .

وذلك - فى الحقيقة - راجع إلى العمل بالسنة ، واعتبار ما كان من عدم الخلاف دليلا على وجود سنة رجعت إليها تلك الفتوى ، وهذا قليل الوجود جداً ، فيما اجتهد فيه العلماء) (١) .

وأظن أن هذا كلام واضح لا يحتاج إلى شرح ، فالإجماع ليس عن رأى محض ، وإنما هو مستمد من النصوص

والاتفاق على فتوى دون أن يعلم مصدرها من الكتاب والسنة قليل جداً .

ولعل من هذا القبيل تقسيم الكاتب الأحكام الشرعية إلى ما كان عن آية قرآنية ، أو سنة متواترة ، وما كان عن رأى الفقهاء ، كأن الفقهاء يقولون من عند أنفسهم دون أن يكون لآرائهم مستند من كتاب أو سنة ، ووضع كلمة (متواترة) هنا بجانب السنة يهدف إلى غاية منكرة ، إذ من المعلوم أن المتواتر من الأحاديث قليل ، وأن الأحكام الشرعية المأخوذة من الأحاديث غير المتواترة كثيرة ، وكأن الكاتب يريد ألا يعتد بهذه الأحكام ، وهو - فى هذا - يجهل لباب علم الأصول .

ونقول له ثانيا : إن الاجماع فى كل مسألة لا يعتد به إلا إذا كان من (المتخصصين) فى هذا العلم ، وليست أحكام الدين بأقل حرمة من قضايا الهندسة والطب والجغرافيا ، فإذا كنا لا نقبل من أعلام الهندسة أن يفتونا فى أدق الشئون الطبية ولا فى أوضحها فكيف نقبل من رجال لم يتخصصوا فى الدراسات الدينية أن يفتونا فى شئون ديننا ، وأن نعتبر إجماعهم ملزما لنا ، بل ناسخا لاجماع الصحابة .

كيف نقبل من لجنة فيها كوهين ، وبرنس والمستشرق فلان من أعداء الإسلام أن يكون حكمهم ملزما لنا فى شريعتنا ، بل ومعطلا للحكم الذى أجمع عليه صحابة رسول الله .

إنى مرة أخرى أجهل الغاية الحقيقية التى يجرى الكاتب خلفها ليدركها بمثل هذا الهراء .

٣ - وقريب من الاجماع اجتهاد المجتهدين .

والكاتب يرى فيه ما رآه فى الاجماع ، إنه يرى أن الاجتهاد منفصل عن الكتاب والسنة ، ويجعل هذا الاجتهاد قسيما لهما ، فمصادر التشريع عنده ثلاثة : الكتاب ، والسنة ، والاجتهاد - ونسى هنا الإجماع - ثم إن أقوال المجتهدين غير ملزمة لنا ؛ لأن لنا من الحق مثل ما لهم .

ولو أن الكاتب مال على طالب أزهرى

(١) تاريخ التشريع للشيخ الخضرى ص ٢٠٦ ط أولى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صغير ، وسأله أن يعرف له الاجتهاد لقال له : إنه استفادة المكلف الحكم من كلام الوحى هكذا (كلام الوحى) . ولو ظفر بطالب آخر لعرف له الاجتهاد تعريفا آخر فقال له: هو بذل أقصى الوسع لتحصيل حكم شرعى عملى بطريق الاستنباط من الأدلة الشرعية .

وربما أسعده الحظ فلقى عالما أزهريا يقول له إن الاجتهاد هو الفقه ، وإن الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية ، وإذن فليست أقوال الوحى هى الأحكام وإنما هى (أدلة الأحكام) والعالم إذا وجه همه ، وبذل جهده واستخرج حكما من هذه الأدلة سمى (مجتهدا) .

فالاجتهاد ـ أيها السيد الجليل ـ ليس منفصلا عن الكتاب والسنة ، وإنما هو معتمد عليهما ، آخذ منهما .

ويخبط الكاتب ـ كعادته ـ فى موضوع الاجتهاد ، فيرى أن شروطه معجزة ، وأنه الآن أيسر منه فيما مضى للتقدم العلمى والرقى الفكرى اللذين يساعدان على المضى فى الاجتهاد دون خشية من الانحراف أو الخطأ ، ولتعدد الدراسات الذى يجعل ثقافة من يريد أن يجتهد أدق وأعمق من ثقافات السابقين .

ولا غرو ، فما دام يريد أن يقول فى الدين كل (من هب) وكل (من دب) فشروط الاجتهاد معجزة ، وما دام يرى أن من حق الفلاح فى الحقل ، والصانع فى المصنع ، والصحفى فى مكتبه بتلك المجلة التى تنشر الفساد ، ما دام يرى أن من حق كل هؤلاء أن يجتهدوا ، فلا بأس ، لأنهم أعمق ثقافة من السابقين ، ولا علينا أن يجتهد فى الدين من لا يحفظ آية من كتاب الله ، ولا من لا يعرف معنى السنة . ولا من لم يدرس شيئا فى سيرة الصحابة والتابعين ، والأئمة المجتهدين ، لا علينا من ذلك مادام قد قرأ (كارل ماركس) وتعاليم (لينين) ووجودية (سارتر) أليس هؤلاء أدق وأعمق ثقافة من السابقين .

٤ ـ ويبدو أن الكاتب (عجن ما عجن) ليصل إلى الرأى فى المعاملات الحديثة ، فهو يطالعنا ـ أولا ـ بأن السنة العملية كانت تدور أكثر ما تدور حول العبادات ، أما المعاملات فكانت عبارة الرسول عليه السلام : أنتم أعلم بأمور دنياكم .

لقد ذكرنى هذا الكلام بموقف أبى حنيفة رضى الله عنه من ذلك الرجل الذى أحترمه ، ثم تبين له .

قالوا إن أبا حنيفة كان يدرس فى المسجد ، وبينما هو جالس دخل رجل له هيئة وشارة حسنة ، وكان أبو حنيفة مادا رجله ـ لعل ذلك من وجع ـ فلما رأى الرجل ضمها ، ثم قال أبو حنيفة : إذا أدبر النهار من هنا ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأقبل الليل من هنا أفطر الصائم ، فقال الرجل : يا هذا ، إذا أدبر النهار من هنا ، وأقبل الليل من هنا ولا تزال الشمس طالعة ، فماذا نصنع ، فقال الإمام : إذن ، أبو حنيفة يمد رجله .

هل يصدق أحد لو لم يكن إمضاء الدكتور خلف الله مذيلا لما قاله أن مثله يقول هذا الكلام.

والمعاملات ، ليست في كتاب . ولا سنة ، المعاملات فصل فيها النبي بقوله : أنتم أعلم بشئون دنياكم ، ومن عجب أن الكاتب ذكر أن كلام النبي هذا جاء في حادثة أبر النخل .

فأولا من المعاملات البيوع والرهن ، والحجر ، والشفعة والوكالة والحوالة والكفالة وكثير غير هذه ولو قرأ الكاتب كتابا صغيراً في الفقه الإسلامي لوجد في أول كل باب من هذه الأبواب : دليل مشروعيته الكتاب والسنة .

وثانيا من قال ، ومن يعقل أن (أبر النخل) من المعاملات ؟

إن الكاتب في سبيل هدفه يغفل عن أوضح الأمور ، وأبينها ، وهذا ليس شأن من يدعو إلى (التجديد الديني) إلا إذا كان الدين عندنا أهون من كلمة تكتب في صحيفة .

ومن هذا الخبط - أيضا - قول الكاتب إن الرجوع إلى السنة النظرية وبخاصة في باب المعاملات كان قليلا ، يوم أن كانت تجمع وتدون ، كأن الفقهاء لم يكونوا يرجعون إلى هذه السنة إلا حين يجدونها في كتاب .

ومرة أخرى أقول للكاتب ارجع إلى كتاب من كتب الفقه لتعرف أن السنة كانت مصدرا مهما لكل التشريعات ، ومنها المعاملات .

ويخطو الكاتب خطوة أخرى في شأن المعاملات فيرى : أن ما وافق مصلحتنا قلنا به ، وما لم يوافق أعرضنا عنه . فالأساس في ميدان المعاملات - كما يقول - هو رعاية حاجات الناس ، والمصلحة العامة

وهذا كلام سبقه به الكاتب إسماعيل مظهر ، وردنا عليه في حينه ، ونريد أن نوجز له القول هنا . فنقول : إن معنى هذا أن المصلحة هي التي توجه النصوص ، وتفسر الآيات ، وليس الشرع هو الذي ينظم هذه المصلحة ، ويبين ما هو مصلحة في الحقيقة ، وما ليس مصلحة ، إننا حين نخضع التشريع المصلحة نختلف اختلافا كبيرا لأن بعض ما يراه الرأسماليون مصلحة لا يراه الشيوعيون . . . وهكذا .

ثم يخطو الخطوة الأخيرة - ولعلها الهدف الأصيل - فيرى أن جميع مشروعاتنا المستحدثة لا تحتاج إلى فتوى من رجال الدين إذ من المسلم به أن الكتاب والسنة لم يتعرضا لها ، لأنها لم تكن موجودة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما شاء الله . هل يعتقد الكاتب هذا الكلام حقـــا ؟ ألا يعرف الكاتب أن كثيراً من مشروعاتنا كان فى كل زمان ومكان ؟ ألا يعرف الكاتب أن فى التشريع الإسلامى قواعد كلية ، يرجع إليها للحكم فى المسائل الجزئية ؟ .

إن الكاتب نفسه يعمى فيـــذكر أن من القواعد أن الأصل فى الأشياء الإباحة ، وما دامت معاملاتنا الحديثة لم تكن موجودة فلم يرد فيها نص بالتحريم فهى مباحة .

أليس ذلك رجوع إلى قاعدة من قواعد التشريع ؟ يؤكدها من ينكر أن يكون للتشريع الإسلامى رأى فى هذه المستحدثات ، وليس بين الإثبات والإنكار فاصل يجعله ينسى . .

٥ ـــ ويلمح الكاتب فى رأى أبى يوسف فيما يتعلق بحكم العادة ، فينسب إليه مرة أخرى القول بأن الحكم الشرعى المبنى على العادة يعطل إذا تغيرت العادة ، ولا ضير من مخالفة النصوص .

وأنا لا أناقش الكاتب فى مدى صحة نسبة هذا القول إلى الإمام أبى يوسف ، ولكنى أناقشه فى المثال الذى أراد أن يطبق الحكم فيه بناء على هذا القول :

قال الكاتب : إنه ليس من حقنا اليوم أن نقتل الجندى المقاتل ، أو نسترقه ، وليس من حقنا أن نسبى النساء والأطفال ونسترقهم ، وليس للجندى نصيب فى الغنائم ، وليذهب قول النبى صلى الله عليه وسلم : من قتل قتيلا فله سلبه ، أدراج الرياح .

لماذا ؟ لأن قوانين الحرب قد تغيرت ، كما تغيرت العادات ، وكل ذلك قد عطل نصوص الشرع الشريف الخاصة بالغنائم ، ولا ضير فى ذلك ، ولا ضرر .

وهذا ـ أولا ـ اجتهاد من الكاتب ، وهو ليس أهلا لهذا الاجتهاد ، لأنه فيما أعرف ، وفيما يبدو من مقالاته لم يدرس أية دراسة جادة لكتب التشريع الإسلامى .

و ـ ثانيا ـ إن الحكم على شرعنا بالقوانين الدولية رفع لهذه القوانين فوق نصوص الشرع ، ولا يرضى بذلك مسلم .

و ـ ثالثا ـ على الكاتب أن يقرأ (باب الجهاد والسير) فى كتب الفقه ليعرف أنه لا ضير فى أن نسترق الجندى المقاتل لما إذ توفرت الشروط التى كان يسترق بها الجندى فى حروب الإسلام ، وأن أخذ القاتل سلب القتيل لا يمنعه مانع ، ولا يعترض على هذا بأنا لا نستطيع اليوم أن نتبين من قتل القتيل فهذه ليست صورة مستحدثة ، وإنما كانت فى العهود الإسلامية الأولى ، وكان لها حكمها الإسلامى .

و ـ رابعا ـ من قال إن بلاد الإسلام تطبق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فيها هذه الأحكام حتى ترضى أو لا ترضى .

إن الكاتب يستخدم الأساليب الخطابية فى أدق الشئون الدينية ، إنه يريد أن يعطل نصوص الشرع الشريف كما يقول ، لأننا لا نسمح بتطبيق هذه النصوص علينا .

أبهذه السهولة - ياصاحب الفن القصصى - تقضى على آيات بينات محكمات فى كتابنا المقدس ؟

أهذا هو التجديد الدينى ؟

لقد هزلت حتى بدا من هزالها

كلاها ، وحتى سامها كل مفلس

٦ - وأخيراً - وقد قلت إنى لا أريد أن أراجع الكاتب فى شىء من التفاصيل - أحب أن أقف معه وقفة قصيرة فى دعوته التى ختم بها مقالاته :

لقد توجه إلى رجال الدين ، وإلى علماء الأزهر الشريف أن يطبقوا أحكام الشرع الشريف فيعلنوا تنازلهم عن أراضيهم التى تحت أيديهم ، لأن مصر فتحت عنوة ، والأرض المفتوحة عنوة ملك للدولة - كما تفيد نصوص الشرع فيما يرى الكاتب - .

ولست أريد أن أبين (تفاهة) هذا الكلام، وما يحمل من سوء قصد كما أنى لا أريد أن أبين له أقوال الفقهاء فى أرض مصر .

وإنما أريد أن أوجه نظره إلى أمرين :

الأول : أنه فى كل ما سبق من مقالاته يرى أن المعتبر هو نص القرآن ، والحديث المتواتر ، وما عدا ذلك فأقوال فقهاء لنا أن نأخذ بها ، ولنا أن نلغيها .

فأين وجد فى القرآن ، أو فى الحديث المتواتر أن الأرض التى فتحت عنوة ملك للدولة ؟

الثانى : هل يعرف الكاتب الرقعة التى كانت مزروعة فى مصر أيام فتح العرب لها ؟

إن بعض العارفين يقدر هذه الرقعة بعشر المساحة المزروعة الآن أما التسعة الأعشار الباقية فهى مما أصلحها الناس أو أصلحتها الدولة وباعتها للناس ، والنص الشرعى يقول : (من أحيا مواتا فهو له) .

أليس قول الكاتب هذا مما يؤكد له أن من الضرورى لمن يكتب فى مسألة أن يحيط بجميع ما قيل فيها ؟ وإلا كان قوله رداً عليه ، ودليلا على أنه يقول فيما لا يعرف .

إن رجال الدين ، وعلماء الأزهر الشريف - أيها السيد - كانوا وما يزالون المثل الأعلى للباذلين فى سبيل الوطن ، وفى سبيل مصلحة الأمة ، وفى مقدمة الداعين إلى أن يأخذ الفقير حقه ، ولا نعرف فيهم من استغل مركزه أو عمله فى سبيل كسب مادى ، والاحتيال على هذا الكسب بالمشروع وغير المشروع من الأعمال والأقوال ؟

على العمارى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من بحوث مجمع البحوث

الملكية الفردية وتحديدها في الإسلام

للأستاذ علي الخفيف

— ٥ —

تحرير الملكية الفردية في مقرارها :

إن الإسلام حين أقر الملكية الفردية مقيدة في آثارها على ما بينا إنما أراد تجنيبها أن يساء استعمالها فتتخذ وسيلة للإضرار بالناس أو بصاحبها وكثيراً ما تجعلها النفوس طريقاً إلى الترف أو المفاخرة والمكاثرة والتعالي والطغيان وغير ذلك مما ترغب فيه النفوس عادة لمتعتها وهي الأمارة بالسوء إلا من رحم الله - والنفوس هي النفوس في كل زمن وكل جيل ولذا كانت الداعية إلى العلاج قائمة في كل عصر وزمن وكان إقرار الإسلام لها على هذا الوضع استجابة لتلك الداعية الإصلاحية التهذيبية .

ولقد قامت الدولة الإسلامية الأولى في يثرب عقب الهجرة النبوية فابتدأ بقيامها عصر التشريع المالي والاجتماعي وقام الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ هذه الشريعة على فترات زمنية تبعاً لما وقع في عهده من الحوادث ونزل من النوازل وحدث من الحاجات فكان تبليغه للفصل فيما حدث وعلى وفق ما يتطلبه الفصل فيه استجابة لداعي الحاجة وعلى ذلك كانت الشريعة بقدر الحاجة وعلى وفق ما تتطلبه وكانت الثروة العامة يومئذ للمسلمين ضيقة الحدود قليلة المقدار في جملتها بالنسبة إلى ثراء غيرها من الأمم الأخرى المعاصرة لها وكانت أهم مصادرها ضعيفة هزيلة إذ لم تتجاوز الزراعة في مساحات ضيقة ينقصها ما تحتاجه من وفر الماء فقد كانت الزراعة في حوائط معدودات لا يزال مظهرها الضئيل ماثلا إلى اليوم وكانت التجارة بقدر حاجتهم البدائية أما الصناعة والمصانع فلا تكاد يرى لها وجود وكان توزيع الثروة بينهم أضآلتها قريبا إلى أن يكون متعادلا إذ كانت موارد رزقهم لا تعدو في الغالب أن تكون عطاء من غنائم أو من زكاة تقسم بينهم وقد كانوا فيه متساوين أما ما هدا ذلك فعمل قليل لبعضهم في زراعة الأرض وأكثرهم من الأنصار أصحاب الأرض وعمل بعض الآخرين من المهاجرين والأنصار في الأسواق ولم يعرف منهم بالثراء الواسع إلا عدد قليل منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وهم الذين أكبوا على التجارة والعمل فيها ومع هذا فقد كانت استجابتهم لدواعي البذل والإنفاق في سبيل الله على اختلاف وجوهه وتعددها استجابة سريعة قوية كريمة فكانوا يسارعون إلى الخروج عن جزء عظيم من أموالهم ثلثها أو نصفها بل قد يبذلونها جميعها وذلك على حسب الحاجة ومقتضى الداعية وليس إنفاقهم في هذه الوجوه بالأمر المجهول فعثمان رضي الله عنه يقوم بتجهيز جيش العسرة، ويقحط أهل المدينة في زمن أبي بكر فيتصدق عليهم بألف راحلة تجيئه من الشام محملة بالبر والطعام فيدفعها في سبيل الله بما تحمل وعلى مثال ذلك تروى لنا صدقات عديدة تصدق بها عبد الرحمن ابن عوف والزبير بن العوام وطلحة ابن عبيد الله حتى إنهم كانوا يبرمون من كثرة أموالهم ويخشون أن يكون الله سبحانه وتعالى قد عجل لهم جزاءهم في الحياة الدنيا وكذلك نرى في الآثار المروية عن أصحاب رسول الله الكثير مما يشبه ذلك مما يدل على أن المسارعة إلى الإنفاق والبذل في سبيل الخير لم يكن من شأن المكثرين وحدهم بل كان ذلك أيضا من المقلين منهم حتى كان منهم من يؤثر على نفسه ولو كان بهم خصاصة وفيهم نزل قوله تعالى: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» الحشر.

من هذا يرى أنه لم يكن في عهد رسول الله من داعية عن مصلحة أو ضرورة تدعو إلى النظر في دفعها بتحديد الملكية في مقدارها بل كانت الحال يومئذ إلى حفز القوى وإشاعة العمل والنشاط في سبيل تنمية الثروة، ولذا نرى في السنة كثيرا من الآثار تدعو إلى العمل والسعي في كسب المال وتنميته، ولذا ظلت الملكية الفردية مطلقة في مقدارها للإنسان أن يتملك من المال ما يستطيع كسبه، غير أن الإنسان قد فطر على حب المال والضن به وعلى حب ادخاره والاستكثار منه، وفي ذلك يقول الله تعالى «وإنه لحب الخير لشديد» (العاديات) ويقول: «قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا» (الإسراء ١٠٠) ويقول: «وأحضرت الأنفس الشح» (النساء ١٢٨)، وذلك ما قد ينتهي به إلى الاستكثار من المال والضن به، وقد يفشو ذلك وينتشر في بعض طوائف من الأمة لسبب من الأسباب كالانهماك في التجارة والمضاربة في الأموال أو الإيغال في زراعة الأرض وتملكها أو نحو ذلك، فإذا أدى ذلك إلى التفاوت بين أفراد الأمة في الثراء تفاوتا عظيما تباعدت معه الفروق بينهم،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

واتسعت حتى ساء بذلك توزيع الثروة العامة بينهم وانتهى الأمر بسبب ذلك إلى أن أصبحت الثروة العامة فى أيدى طائفة أو طوائف معينة محدودة العدد وهم القلة فى الأمة، أما الكثرة فقد فقدت كل شىء إلا الفقر والحاجة والاستكانة والخضوع لأرباب الثراء العريض، الذين طفقوا يستخدمونهم بأبخس الأجور، ويستذلونهم ويغلبونهم على إرادتهم تحت تأثير عوزهم واضطرارهم إلى ما يقيتهم وإلا الحقد والبغضاء لأصحاب هذا الثراء العريض الذين يرونهم دونهم دما وخلقا ومنزلة حتى اضطغنت بسبب ذلك نفوسهم فانطوت على الثورة عليهم - إذا وصل الأمر إلى مثل هذا كان من الواجب شرعا علاج هذه الحال بما يرفع هذا الضرر العام الماحق وذلك بما يراه ولى الأمر من وسائل لا يتجاوز فيها حدود ما يقتضيه دفع هذه الضرورة.

لم يحدث مثل هذه الحال ولا ما هو قريب منها فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى كانت تستوجب منه علاجا بالتشريع كما لم يحدث فى عهد الخلفاء الراشدين وكل ما لوحظ أنه قد جاء ما يدل على أنه قد حدث فى عهد عمر رضى الله عنه ما استدعى تفكيره فيه والنظر فى أمر علاجه وهو وجود فقراء ووجود أغنياء ضنوا بالمال عليهم فأمسكوا أن يتصدقوا بالفاضل منه فى سداد عوزهم بما دعاه إلى أن يقول بعد أن طعن تلك الطعنة التى قضى بها: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فرددتها على الفقراء. وهذا إن صح أن عمر رضى الله عنه قد قاله فليس يدل إلا على أنه وجد فى عهده فقراء وأغنياء ضنوا بالفاضل عليهم وهى حال توجد فى كل زمن ولم يكن لها من علاج سوى ما شرعه الله من زكاة وإنفاق وليس لعمر ولا لغيره أن يشرع ولا أن يأخذ ما لا من مالكه إلا بحق ولكن له أن يجتهد ويستنبط فإذا ساءت أخلاق الناس وضعف دينهم فتركوا ما طلبه منهم خلقا وأدبا من رعاية الفقراء ومعونة المحتاجين كان من الجائز حملهم على ذلك بقوة السلطان فيفرض عليهم فى أموالهم ما يقوم بسد هذه الحاجات ودفع هذه الضرورات.

إن الأمر الذى لا تصل اليه ريبة ولا شك هو كراهية الإسلام لأن يحتبس المال لدى فئة خاصة من الأمة فيتداول بينهم دون غيرهم ممن لا يجدونه ويدل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد جعل ذلك علة لقسمة ما يفيئه على رسوله من أهل القرى بين أرباب الحاجات من ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وذلك فى قوله تعالى «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم» الحشر ٧

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إذ المعنى أن ما يفيئه الله على رسوله من أموال أهل القرى بلا إيجاف من خيل أو ركاب بل كان عن مفاوضة وصلح هو لله ولرسوله ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل مقسوما بينهم حتى لا يكون متداولا بين الأغنياء خاصة يتعاورونه فلا يصيب أحدا من الفقراء منه شيء وذلك ما يدل على أن تداول المال بين الأغنياء خاصة أمر كريه بغيض يجتنب ويجتنب كل ما يؤدى اليه . وأظهر ما يبدو فيه هذا الأمر الكريه أن تكون الثروة العامة فى أيدى طائفة من الأمة تحتازها وتمنعها فلا يصل إلى فقرائها منها شيء إلا ما يترك لهم وهم الأكثرون فى الأمة .

وقد يكون فيما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً فيما أفاء الله عليه من أموال بنى النضير دليل على ذلك فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قسم تلك الأموال التى تركها بنو النضير بعد إجلائهم وإخراجهم من ديارهم بين المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم إذ هاجروا بدينهم إلى المدينة وذلك لما كانوا عليه من فقر بعد هجرتهم مما اضطره إلى أن يؤاخى بينهم وبين الأنصار ليحملهم الأنصار إلى أن يرزقوا بكدهم وعملهم ولم يجعل للأنصار من ذلك المال حظا ما عدا اثنين ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقرهما وبهذا اعتاض المهاجرون عن بعض ما تركوه من أموال بمكة عند هجرتهم وفى هذا نزلت الآيات من أول سورة الحشر ولقد وصلت هذه الكراهية فيما يرى أبو ذر رضى الله عنه إلى درجة الحظر والتحريم إذ كان يرى أنه يجب على المالك أن ينفق ما فضل عن قوته وقوت أهله فى سنة فيجعل ذلك الفاضل فى سبيل الله ويحرم عليه ادخاره ويستند فى ذلك إلى قوله : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » (التوبة ٢٤، ٢٥) كما يروى عن رسول الله الحديث الذى ذكرناه فى كلامنا على تقييد الملكية ولكن هل يرى أبو ذر فى ذلك ما يدل على أن إنفاق جميع ما يفضل عن قوت سنة أمر واجب فلا يجوز أن يستبقى من المال ما يستثمر فى التجارة أو العمل مثلا ؟ ذلك ما أستبعده ولا أراه فأبو ذر هو ذلك الصحابى الجليل الذى عاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاصر أصحابه ورأى منهم من كان يستثمر أمواله فى التجارة على مشهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم دون إنكار منه واعتراض مثل أبى بكر وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وما كان لأبي ذر وقد شاهد ذلك ليرى رأيا يخالفه فالعمل فى التجارة لا يكون إلا برأس مال يستثمر فيها وهو من غير شك مال فاضل عن قوت سنة ولم يعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كنزا مع ما كان يقوم به هؤلاء من الإنفاق فى سبيل الله . ولم يكن مثل هذا ليخفى على أبي ذر . وعليه فكل ما فى الأمر أن رأى أبي ذر لم ينقل إلينا ما يكشف عن حقيقته ويفصل لنا اتجاهاته ومداه . ولا نظنه إلا أن يكون رأيا ينكر على الأشحاء شحهم وضنهم بأموالهم عندما تدعوهم الداعية إلى النفقة فى سبيل الله . ويرى ذلك مع كثرة المال أمرا محرما وإن رآه الجمهور بعد أداء فريضته أمرا مكروها .

وقد يرى أيضاً فيما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن زراعة الأرض وكرائها ما يحمل على هذه الكراهية وعلى استحباب بذل الفاضل لمن هو فى حاجة إليه وعلى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كره أن تزيد ثروة أناس عن حاجتهم بينما يوجد فيهم من لا يجدون حاجتهم فقد كانت المزارع قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم تكرى كما يدل على ذلك حديث ابن خديج إذ يقول (كنا من أكثر الأنصار حقلا فكنا نكرى الأرض على أن لنا هذه ولهم هذه فربما أخرجت هذه ولم تخرج هذه فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك) ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نهى عن كراء المزارع والأرض فقال : (من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه وإن أبى فليمسك أرضه) ووردت فى هذا المعنى روايات أخرى صحيحة . كما روى عنه كذلك أنه أجاز كراءها بالذهب والفضة أو بالشيء المعلوم المضمون وأنه عامل أهل خيبر على الشطر مما يخرج من أرضهم ونخلهم وأن ذلك ظل باقيا إلى أن أجلاهم عمر فى خلافته كما أن الناس لم يزالوا يتعاملون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على كراء الأرض دون نكير عليهم وذلك دليل على رفع ما ورد من الحظر على كرائها وعلى ذلك جمهور السلف والفقهاء .

وقد يبدو من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة كانت الثروة العامة فيها ممثلة فى الأرض وزراعتها وكانت يومئذ فى يد الأنصار ومنهم من كان يملك منها فوق حاجته ومن يعيا عن زراعة جميع ما كان يملكه منها فيؤجره لغيره فرأى أن المصلحة تقضى بالنهى عن كرائها وأن يشير على من عنده فوق طاقته وحاجته منها أن يمنح الزائد أخاه ليقوم على زراعتها لنفسه دون أجر يؤخذ منه نظير ذلك وذلك توسعة على الفقراء من المهاجرين يا يجاد عمل لهم يرزقون منه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى أن تستقر أمورهم وهذا نوع من العلاج أريد به الحض على رد ما يفضل عن الحاجة إلى من هو فى حاجة إليه . فلما استقرت الأمور ووجد الفقراء من المهاجرين لهم مرتزقا أباح لأصحاب هذه الأرض كراءها لغيرهم كما كان الحال قبل مقدمه ، وبناء على ما تقدم إذا ما تجمعت الثروة العامة فى أيدى فئة من الأمة إلى درجة أفقرت كثرتها فلم يجدوا حاجتهم فاستذلهم اعوزهم وألصقهم بالترب عدمهم وساءت لذلك أحوالهم ولم يجدوا من ذوى الثراء يداً ولا معونة واشتدت بذلك المضرة وتحققت الضرورة فان على ولى الأمر حينئذ أن يعمد إلى علاج هذه الحال دفعاً للضرر ، إذا لم يكن لعلاج هذه الحال من وسيلة سوى أن يحد للملكية الفردية حداً لا تتجاوزه جاز له ذلك بما له من ولاية شرعية تخول له إيجاب ما فيه صالح الأمة وأن يجعل هذا حداً مطلقاً يتناول جميع أنواعها أو خاصاً فى نوع منها كملكية الأرض مثلا إذا ما رأى أن الضرر يرتفع بذلك وقد بينا أن الشارع قد حد لها حدوداً فى آثارها وحقوقها حين اقتضت المصلحة ذلك فإذا ما اقتضت كذلك أن تحد فى مقدارها وجب أن يحد له حداً كما حدد آثارها ، وقد بينا أن زيادة الملكية من المباحات قبل الإسلام وبعده ولم يرد فيها نص يجعل الحد منها خلافا عنه وفى مثل هذا يرى الفقهاء أن لولى الأمر أن ينهى هذه الإباحة بحظر يصدر منه لمصلحة تقتضيه فيصبح ما تجاوزه أمراً محظوراً فإن طاعة ولى الأمر واجبة بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ، « النساء ٥٩ » ، ومن نتائج نفاذ أمر هذا عدم ثبوت ملكية المستزيد لما زاده على الحد المرسوم .

والمراد بأولى الأمر الأمراء والولاة وهذا مروى عن ابن عباس وأبى هريرة ويقول الطبرى إنه أولى الأقوال بالصواب لكثرة ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم من إيجاب طاعتهم إلا فى معصية وهذا الإيجاب يتناول ما يأمرون به من إيجاب مباح أو تحريمه لمصلحة تقتضى ذلك .

وقد اشترط العلماء لذلك أن يكون من يصدر منه ذلك من الأمراء والولاة مجتهداً أو قد رجع فيه إلى رأى مجتهد حتى يكون أمره هذا مستنداً إلى دليل شرعى .

ومن الأدلة الشرعية المصلحة المعتبرة شرعا . وتقدير هذه المصلحة وضرورتها مرجعه إلى ولى الأمر لأنه المنوط به إقامة الحدود وتأمين السبل وجهاد العدو وتنفيذ الأحكام والإشراف على شئون الرعية وتوفير المصلحة لهم وفى هذه الحال يكون ما أمر به حكما شرعيا يجب اتباعه شرعا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

اما إذا لم يكن مجتهداً ولم يرجع فى أمره إلى رأى مجتهد فإن طاعته حينئذ تجب باعتبار أمره أمراً يقوم عليه النظام وتضطرب بمخالفته الأحوال ويعرض مخالفه للعقاب .

ولقد كان من أعمال الخلفاء الراشدين ما يؤيد ذلك نذكر منها ما يأتى :

١ — اقتضت المصلحة فى عهد عمر رضى الله عنه أن يمنع الناس من أكل اللحوم يومين متتاليين من كل أسبوع لقلة فى اللحوم رآها فلم تكن تكفى جميع الناس فى المدينة فعمد إلى هذا المنع فأوجبه وكان يأتى مجزرة الزبير بن العوام بالبقيع ولم يكن بالمدينة سواها فإن رأى من خرج عن هذا المنع ضربه بالدرة وقال له هلا طويت بطنك يومين وقد فعل ذلك ليتداول اللحم بين الناس وكان منعه هذا فى أمر مباح « ترجمة عمر لأبى الفرج الجوزى » .

٢ — حمل عثمان رضى الله عنه الناس حين قام بجمع القرآن على قراءته على حرف واحد بعد أن كان لهم أن يقرءوه على سبعة أحرف كانت مباحة لهم وذلك لما رأى من اختلاف الناس فى قراءته وما أدى إليه اختلافهم هذا من نزاع وخلاف بينهم خاف تفاقم شره .

٣ — منع عمر رضى الله عنه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من تزوج الكتابيات مع حل ذلك بنص الكتاب وقال إنى لا أحرمه ولكنى أخشى الإعراض عن الزواج بالمسلمات . « القرطبى ص ٣ سنة ٦٨ » .

وبناء على ذلك فليس ما يمنع من تحديد الملكية تحديدا عاما أو خاصا فى نوع من الأنواع إذا ما اقتضت المصلحة والضرورة ذلك ولا شك أن تحديدها فى مقدارها كتحديدها فى آثارها بل ربما كان تحديدها فى آثارها أقرب سبيلا لأن تحديد الآثار يستلزم أن يسلب السبب الشرعية أثره فلا يصير سبباً .

وإذا ما أقدم ولى الأمر على هذا التحديد للضرورة التى اقتضته فهل تنتهى عند الحد الذى رسمه كل ملكية قائمة تجاوزته فيؤخذ منها ما زاد عليه ويعود إلى ملك الأمة ؟ وإذا أخذ منها فهل يؤخذ منها ببدل ؟

إنه لا سبيل إلى ترك هذه الزيادة لأصحابها لأن تحديد الملكية إنما كان واجبا شرعيا اقتضاه رفع ضرر ماثل فى تجميع الثروة فى أيدى فئة قليلة وفى تفاوت الفروق فيها بين أفراد الأمة إلى درجة أدت إلى الاضطراب والفتن وفى ترك هذه الزيادة فى أيدى أصحابها إبقاء على ثروتهم وفيه إهمال وترك لهذا الواجب ونقض لمقتضى الحد منها وعدم ثبوت ملكية صاحب الزيادة لما فى يديه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من زيادة وعلى ذلك يجب أخذ هذه الزيادة وانتقاص ملكية صاحبها بأخذها . ولا يتم هذا الانتقاص إلا إذا أخذت بلا بدل ذلك لأن فى أخذها بالبدل إبقاء على مقدار ثروة صاحبها وليس فيه إلا تغيير عناصرها وذلك بأن يستبدل بعنصر منها آخر يضم إليها وليس يعد هذا اعتداء على ملك محترم لأنه لا ملك بعد الحد منها وجوب و نفاذ ذلك شرعا ومثل ذلك مثل المال يؤخذ فى تجهيز الجيوش وإعداد العدة للدفاع عن البلاد ضد المعتدين عليها وذلك إذا لم يكن فى بيت المال ما يقوم بذلك من الأموال فقد ذهب العلماء والفقهاء إلى أن ذلك يؤخذ كما تؤخذ الوظائف والضرائب بلا عوض والأخذ فى الحالين سواء فهو مما تقضى به الضرورة فى كل منهما .

وعلى ذلك يكون ما يؤخذ لهذا الغرض ملكا للأمة شأنه شأن ما يجبى من الأموال العامة كالخراج فيصرفه ولى الأمر فى دفع هذا الضرر بالطرق التى يراها دافعة له .

وإذا لاحظنا أن ما للمالك من حق فى حماية ملكيته وعدم المساس بها إنما هو من حق مقيد كغيره من الحقوق التى منحها الشارع مقيدة بعدم الضرر وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار) تبينا أن ليس فى أخذ الزيادة اعتداء على هذه الحماية لأنه أخذ بحق وإذا كان بحق لم يكن اعتداء إذ لا قيام للملكية ولا لحمايتها أمام حق يطلب ولذا أخذ للمجاعة المشرف على الهلاك من مال غيره ما يقيم من حياته دفعا للهلاك عنه دون أن يمنع من ذلك ما للمالك صاحب المال من حماية ، ألا ترى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر بقلع نخل سمرة بن جندب دون مراعاة لحقه فى حماية ملكه حين اتخذها وسيلة إلى الإضرار بغيره وأبى بيعه أو هبته لصاحب البستان الذى يقوم فيه ذلك النخل . وقد ذكرنا ذلك فيما مضى وعلى أساس ذلك كان قضاء عمر رضى الله عنه للضحاك بن خليفة الأنصارى إذ قضى له بإمرار خليج من أرض محمد ابن مسلمة رغم إبائه ذلك ولعبد الرحمن بن عوف إذ قضى له بتحويله ساقية فى بستان إلى جهة قريبة من أرضه على الرغم من إباء صاحب البستان وقد ذكرنا ذلك فيما سبق فهذا وأمثاله مما يروى يدل على أنه لا حماية للملكية عند تحقق الضرر .

ولقد شاطر عمر رضى الله عنه بعض ولاته الذين وردوا عليه من ولاياتهم بأموال لم تكن لهم استجابة لمصلحة عامة تمس الولاية وهو البعد بها عن الشبهات وعن اتخاذها مغنما ووسيلة للاستكثار من الأموال ففعل ذلك مع عتبة بن أبى سفيان إذ ولاه على كنانة فقدم عليه بمال فقال له : يا عتبة ما هذا ؟

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فقال : مال خرجت به وانجرت فيه فقال له : لم تخرج هذا المال منك فى هذا الوجه ثم صيره فى بيت المال وكذلك فعل مع أبى هريرة وقد ولاه على البحرين . وإذا قيل : إن مرجع ذلك إلى الشك فى طريق تملكهم هذا المال لا المصلحة التى قضت بالأخذ منهم فالشك فى طريق تملكهم لا يرقى إلى إبطال ملكية تقوم على اليد والمشاهدة .

وعلى ذلك يرى أن أخذ هذه الزيادة إذا ما دعت مصلحة عامة إلى أخذها بغرض إنقاص ملكية صاحبها إنما يكون بلا بدل يعطى له وعندئذ تكون هذه الزيادة ملكا لكافة المسلمين يوجهها ولى الأمر الوجهة التى من أجلها أخذت لا لوجهة أخرى وإلا كان أخذها اعتداء لا يستند إلى حق .

ذلك ما انتهى إليه النظر فى هذا الموضوع وهو رأى رأيته فإن كان صوابا فمن الله وإن كان خطأ فلا عصمة إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يشرع للناس .

على الخفيف

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

متاع الغرور

اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذه الرمزية
حرب جديد على اللغة والدين

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

ظهرت فى السنوات الأخيرة بدعة الشعر الجديد ، الذى خرج على أصول الشعر فى صورة مزعجة ، فتلقاه الناس غير ملتفتين إليه ، أو آبهين له ، إذ كان مبهم المعانى ، مضطرب الأساليب ، لا تستريح إليه الأذن ، ولا يتجاوب معه العقل ، وكان أن ترك الناس هذا الشعر يمضى لقدره المقدور له ، من الموات والضياع لأول أيامه فى الحياة ، إذ ما كان لمثل هذا المخلوق الشائه أن يحيا ، وأن يمتد عمره فى الحياة . !

ومع ما يقوم بين يدى هذا الشعر من دلالات قوية قاطعة على المصير المحتوم له ، فإن هناك أشتاتا من الناس قد تظاهروا على التشبث المستميت به ، وبذلوا له فى سخاء ماء وجوههم ليجدوا له أنصارا من الكتاب والنقاد ، وليأخذوا له مكانا فى الصحف والمجلات والإذاعة ، متوسلين لذلك بكل وسيلة من وسائل الإغراء والاستجداء !

وقد عجب الناس لهذا الإصرار العنيد على التشبث بهذا الشعر أشد من عجبهم لهذا الشعر نفسه ، وللصورة الممسوخة التى ولد عليها ، وذهب الناس مذاهب شتى فى التعليل لهذه الجهود الضائعة المضنية ، التى يبذلها أنصار هذا البدع المنكود من القول ، وكان أحسنهم ظنا من قدر أن هؤلاء الذين يناضلون عن الشعر الجديد إنما ينزعون عن رغبة طيبة فى الإصلاح والتجديد وأن يكونوا قد أخطأوا الطريق وضلوا السبيل ، وأنه لا بأس من أن يتركوا وما يحاولون حتى تنقطع بهم الحيل ، ويومها يدركون أن العود أحمد ، وأن السلامة فى الإياب !

* * *

هذه حال كنا فيها مع الشعر الجديد إلى يوم قريب .. قد غفل الناس عنه ، وعن أصحابه وأنصاره ، وتركوه لهم ، وتركوهم له ، يمضون إلى حيث ينتهى بهم وبه المطاف ، ولكن الذى حدث فى هذه الأيام يجعلنا نحمل الأمر على غير هذا المحمل ، ونقدره على غير هذا التقدير ، فلقد تكشفت الحال عن خبايا وخفايا ، كانت تكمن وراء هذه الدعوة الملحاحة إلى التجديد فى الشعر ، وظهر أن لهذه الدعوة مرامى بعيدة ، ومقاصد معينة تريدها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وتعمل لها ، لتنال من اللغة العربية منالا يصيبها فى صميمها ، ويذهب بوجودها الذى إن ذهب ضاع بذهابه كيان الأمة العربية ، وانطمست معالم الدين الذى يدين به العرب ، وتدين به شعوب كثيرة تتلقى مصادره من اللسان العربى الذى لا مصدر لها غيره .

وإنه ليحق لنا - وقد داخلنا هذا الشعور من جهة الشعر الجديد وأنصاره - يحق لنا أن نعيد النظر فى موقفنا من هذا الشعر ودعاته ، وأن نقف من هذه الحركة موقفا يدفع الخطر الذى يمكن أن ينال اللغة والعقيدة لو قدر لهذه الدعوة أن تمضى إلى النهاية التى تريدها ، وتعمل جاهدة لبلوغها !

وليس هذا الكيد الذى يكاد للإسلام واللغة الإسلام أول رمية يرمى بها أعداء هذا الدين فى وجهه للقضاء عليه ، أو لتعويق حركته ، أو لتضليل الناس عنه ..

فنى كل دورة من دورات الحياة كان الإسلام فى مواجهة عداوات ظاهرة ومستترة ، وفى مجال رميات مسعورة مسمومة . « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ، ولو كره الكافرون » .

وهذا البدع الجديد لدعاة حركة التجديد فى اللغة هو - فيما نعتقد - رمية من تلك الرميات الخبيثة الماكرة التى تتخفى تحت دعوة الغيرة على اللغة ، وحمايتها من الزحف الأجنبى عليها ، على حين أنها تريد أن تقتلع هذه اللغة من جذورها ، وأن تذهب بها فى مذاهب التيه والضياع !

وقد آن لنا أن نخرج من هذا التلميح إلى التصريح ، وأن نواجه الأمر بما ينبغى أن نلقاه به من الدفع والردع !

ولقد أشرنا من قبل إلى المشاعر التى استقبل بها الناس هذا الشعر الحديث أول عهدهم به ، وأنهم لم يلتفتوا إليه ، ولم يقفوا عنده ، وعدوه ضرباً من اللهو ، ومجالا للعبث ويشغل أوقات الفراغ عند العابثين والفارغين .

ونقول إن هذا الوقت قد أغرى أصحاب هذه الدعوة بالكشف عن وجهها والإفصاح عن مضمونها ، والمغالاة بالغاية التى تتغياها ، فرأينا دعوة جديدة تقوم وراء هذه الدعوة ، وهى أن هذا الشعر ليس كما يراه الناس ، ألفاظاً مفككة ، وعبارات مهلهلة ومعانى هزيلة تافهة ... وإنما هو عوالم فسيحة تموج بالصور والمعانى التى تندس فى كيان الحروف والكلمات التى يتشكل منها هذا الشعر المخترع !

ومن هنا بدأت نطقة انطلاق جديدة لدعاة هذه الحركة ، وشهد الناس لهؤلاء الدعاة نشاطاً مركزاً على إقامة مفاهيم لهذا الشعر تعتمد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على « الرمزية » التي بها يمكن أن تحل طلاسمه ، وتكشف معمياته ، وتفتح مغالقه .

ومنذ وقع لأنصار هذا الشعر المسيخ أن يضيفوه إلى « الرمزية » وأن يحسبوه عليها ، حسبوا أنهم قد وجدوا لهذا الشعر ما يضمن له وجوده ، ويحفظ عليه حياته ، ويرد عنه كل ما يمكن أن يتهم به من ضحالة المعاني ، واضطراب الأساليب ، وركاكة العبارات ... فني حمى الرمزية تختفي كل هذه العيوب ، ومن حماها تنطلق المعاني ، والأخيلة ، والرؤى التي يمكن العثور عليها من كل أفق ، وانتهابها من كل فن ... ثم ادعاؤها لهذه الكلمات الخرساء الميتة التي يتشكل منها جسد الشعر الجديد ، والتي كان استغلافها وصمتها آذنا بقبول كل قول يقال عنها !

ولقد استطاع دعاة الشعر الجديد أن يضعوا كلماته الخابية الخامدة أمام الناس ، ثم يطلقون من حولها المباخر ، ويرسلون في وجهها التعاويذ والرقى ، كما يفعل السحرة والمشعوذون ، حتى إذا خيل إليهم أن الناس قد أصابهم خدر مما ترسله هذه المباخر من أدخنة ، وقد غشيهم صداع مما يلقى إليهم من تهاويل وتخريفات - أطلقوا لهم من تلك القماقم أشباحا ، تتبدى في صور شائهة لا يعرف الناس لها رأسا ولا ذنبا ، يخيلون للناس منها أنها آيات معجزات ، وروائع لا يجود الزمان بمثلها أبدا .

إن بدعة « الرمزية » هذه قد جاءت لتغطي عوار هذا الشعر الذي أراد به أصحابه إفساد اللغة العربية ، وتضييع معالمها ، وقطع الصلات التي بين الناطقين بها ... فلما أن عرف الناس وجه هذا الشعر ، ورموه بالازدراء والمقت ، مد إليه أصحابه حبال هذه « الرمزية » ليتقذروه من الغرق ، وليتشلوه من الهاوية التي يهوى إليها .

ثم كان من كيد أصحاب هذا البدع أن دخلوا « بالرمزية » على الأدب العربي في مجال القصة ، فحرفوا فيها الكلم عن مواضعه ، وولدوا من الألفاظ والعبارات مواليد عجيبة لم تقع في خيال كاتب القصة نفسه ، ولم تدر بخاطره !

ومن يدري ؟ فلعل أصحاب هذه الرمزية - إن مد لهم في هذا الطريق الذي سلكوه - أن يجعلوا الرمزية هي الحكم الذي يحتكم إليه في لغة العلم ، كما احتكموا إليه في لغة الفن . ثم لا يقف الأمر عند هذا ، بل يمتد إلى لغة التخاطب أيضا ... ويومها تفقد اللغة وظيفتها من الإفهام والفهم ، ويكون على الناس أن يتعلموا التنجيم والسحر ، ليفكوا هذه الطلاسم وتلك المعميات ، ثم لا يكون على أحد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

منهم حرج إذا فهم غير ما سمع ، أو فهم عنه غير ما أسمع !

« والرمز » بلا شك له مكانة فى الأدب ، وفى الفنون الجميلة كلها ... ذلك أن الفن إنما يختلف عن العلم فى أنه يعرض الحقائق التى يعترف بها العلم فى أسلوب يزاوج بين التلميح والتصريح ، ويجمع بين الغموض والوضوح ، وبهذا لا يعطى العمل الفنى كل ما اشتمل عليه من حقائق مرة واحدة ، وفى نظرة واحدة ، وإنما يكون الفن على حظ من الإصالة والجمال حين ينظر الناظرون فيه فيأخذ كل بحظه منه ، قطرة قطرة ، وحالا حالا ، وهذا هو الذى يضمن للأعمال الفنية حياة متجددة مع كل نظرة ، وعند كل ناظر !.

واللغة العربية تعرف « الرمز » بهذا المفهوم فى شعرها ونثرها ، لأنها لغة قوم عرفوا بالذكاء ، وسرعة الخاطر ، وحضور البديهة ، واكتفوا فى كثير من المواقف باللمحة الدالة ، والإشارة الموحية ، وقالوا : رب إشارة أبلغ من عبارة !

وقال شاعرهم :

يرمون بالخطب الطوال وتارة
وحى اللواحظ خفية الرقباء

كما عرفوا اللحن ، وهو تحميل الكلام دلالات معهودة بين المتخاطبين ، لا يفهمها منه غيرهما ... قال الشاعر :

منطق صائب ، وتلحن أحيا
نا وخير الكلام ما كان لحنا

وقال أيضا :

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا
ووحيت وحيا ليس بالمرتاب

ولقد جاء فى القرآن الكريم : « الرمز » و « الوحى » و « اللحن » بهذا المفهوم ، فقال تعالى : « قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا » . . وقال سبحانه : « فخرج على قومه فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا » ، وقال : « ولتعرفنهم فى لحن القول » . .

وهذا كله يدل على أن اللغة العربية تعرف « الرمز » الذى هو إيحاءات وإشارات يزداد بها المعنى ثراء ، وقوة ، ووضوحا ، لا هذه « الرمزية » التى يروج لها اليوم أخلاط من الناس قد اختلفت ثقافاتهم ، وتباينت مشاربهم وعقائدهم ، وجمعهم هذا البدع الذى سعى إليه كل منهم لحاجة فى نفسه ، إذ بينما أراده بعضهم لهدم اللغة وتضييعها ، تلقى به بعض آخر ليلحق - كما قدر - بركب المجددين المتحررين ! - فهذه « الرمزية » لا تأخذ معطياتها من إيحاء العمل الفنى ، وإنما هى وساوس وخطرات تموج فى صدور

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أصحابها ، وتنطلق على أقلامهم بلا وعى ، وبغير حساب ! .

ونود أن ننبه إلى أن هذه « الرمزية » المغلقة العمياء إنما همها الأول هو الترويج لإذاعة الفوضى فى اللغة ، بالتحلل من أصولها وقواعدها ، والخروج على مقررات نحوها وصرفها ، والإهدار لمدلولات كلماتها ، ولأنماط أساليبها وأوزان شعرها ، فذلك هو الذى يتيح لتلك « الرمزية » مجال العمل فى هذه الصور الشائهة المعتمة من صور القول ، حيث يستوى العالم والجاهل فى النظر إليها ، والفهم عنها ، فكل قول يقال عنها ليس غيره أولى منه بالدلالة عليها ، والتعريف لها .. إذ كل الأقوال عنها رجوم وظنون

ونود أن ننبه أيضا إلى أن هذه « الرمزية » قد كانت سلاحا من أسلحة أصحاب الدعوات المنحرفة ، سواء فى مجال العقيدة أو السياسة ، إذ كثيراً ما شهر هذا السلاح المدمر فى وجه النصوص الواضحة الصريحة من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فغير صورتها ، وشوه حقيقتها ، وجاء بمفاهيم ومقولات ما أنزل الله بها من سلطان ، وحسبنا أن نذكر هنا ما أثمر هذا المكر بآيات الله وسنة الرسول من ثمر نكد ، وما أخرج من مذاهب ومعتقدات أفسدت تعاليم الإسلام ، وشوهت معالمه ، كما نرى ذلك فى تعاليم الباطنية ، ومعتقداتهم ، وتأويلاتهم لنصوص الكتاب والسنة ، ونكتفى هنا بمثل صغير فى فهمهم لقوله تعالى : « والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها . » فقالوا عن الشمس إنها « على » وعن ضحاها أنه « فاطمة » ، وعن القمر إنه « الحسن » ، وعن النهار إنه « الحسين » ، وعن الليل إنه دولة « بنى أمية » .

وهكذا يذهب الباطنية ومن إليهم هذه المذاهب الملتوية المضللة فى تأويل آيات الكتاب ، ومقولات السنة ، يلوونها ليا إلى ما يتفق وأهواءهم ، دون أن يقيموا وزنا لدلالات اللغة ومفاهيمها التى يتعامل بها أهلها .

والرمزية التى تطل برأسها اليوم أشد خطراً ، وأكثر تدميراً وفتكا بالشريعة الإسلامية ولسانها من جميع ما عرف من أسلحة تهددت اللغة العربية والشريعة الإسلامية إلى اليوم ...

ذلكم أن تلك القوى المحاربة للغة أو العقيدة كانت تلتقى بهذه أو تلك فى مجال محدود ، وفى قضايا واضحة ظاهرة قد استقرت فى ضمير المجتمع العربى والإسلامى ، ومن هنا كان مصير هذه المحاولات كلها الاندحار ، والضعف والزوال .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما هذه « البدعة » - بدعة الرمزية - فإنها تحمل الطابع التدميرى لهذا العصر ، وتعمل بأسلحته الذرية التى لا تبقى على شىء . فلقد جاءت هذه الرمزية مغلفة فى أغلفة التجديد ، والدعوة إلى استنقاذ اللغة العربية وحمايتها من أن تطغى عليها اللغات الأوربية ، بحجة أن الرمزية هى القادرة على أن تحمى اللغة العربية من ظهور هذا النقص فيها ، بما تستخرج من نتاجها - أيا كان - كل معنى مبتكر ، وكل خيال محلق يحمله الأدب الأوربى ، ثم تخرج به على الناس منسوباً إلى هذه الأمساخ الشائهة من القول وبمثل هذا الخداع والتضليل تتخدر أعصاب كثير من الناس فيقبلون أولا نسخ اللغة ، والخروج على أصولها وقواعدها لينفسح مجال العمل الرمزية فيها ، ثم يقبلون ثانيا أن تتولى هذه الرمزية إعطاء مفاهيم لهذه النصوص التى يقدمها الشعراء والكتاب الذين أطلقتهم هذه الرمزية طلائع لها ...

ثم ينتهى الأمر باللغة العربية وآدابها ، وشريعتها التى تحملها - ينتهى الأمر إلى أحد احتمالين لا ثالث لهما :

إما قبول التراث العربى كله ، ومن بينه نصوص الكتاب والسنة لحكم الرمزية فيه ، ومقولاتها عنه ، وتخريجاتها له ، وإما موات هذا التراث وإحالته إلى مخلفات القرون البائدة ، لا ينظر الناس إليه ، إلا كما ينظرون إلى ما فى قبور الفراعنة من جثث ، وما عليها من نقوش .

إن التجديد فى اللغة - أى لغة - ينبغى أن يكون مواتما لطبيعة هذه اللغة . نابعا من أصولها ، مستلهما من روحها .

وفى اللغة العربية طبيعة عنية معطاءة لكل من ورد مواردها ، ودخل عليها من بابها .

أما هذا التجديد الذى يجيئها من مترجمات باردة غير فاضجة من الغرب والشرق فهى رقع غريبة إن قلت كانت تشويها ولا شىء وراءه غير هذا ، وإن كثرت غلبت على اللغة العربية وذهبت بسماتها وكانت أشبه بطيلسان ابن حرب الذى يقال إنه كان كلما وجد رقعة ألصقها به حتى ذهب الطيلسان ، وبقيت المرقعات !

وبعد ، فهل يتنبه ، ذوو الغيرة على المروءة والإسلام لهذا الكيد الذى يكاد للعرب ، وللإســـلام ؟ ذلك ما نرجوه ونلح فى الرجاء له ؟

عبد الكريم الخطيب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

جماعة إخوان الصفا

للأستاذ محمد غفراني الخراساني

— ٢ —

٦ — يقول المستشرق « دي بور » في موضوع رسائل إخوان الصفا « وأما رسائلهم فهي أشبه ما تكون بدائرة معارف مرتبة تضم علوم ذلك العصر وتدل على أنهم أصابوا من الرقي الفكري حظا وافرا » ويقول أيضا « لا نعرف على وجه اليقين مدى نجاح هؤلاء الاخوان في تحقيق المثل الأعلى الذي كانوا يرمون اليه » . (١) ويقول القفطي في وصف رسائلهم « هؤلاء - إخوان الصفا - جماعة اجتمعوا على تصنيف كتاب في أنواع الحكمة الأولى ورتبوه مقالات عدتها إحدى وخمسون مقالة ، خمسون منها في خمسين نوعا من الحكمة ، ومقالة حادية وخمسون جامعة لأنواع المقالات على طريق الاختصار والإيجاز وهي مقالات مشوقات غير مستقصاة ولا ظاهرة الأدلة والاحتجاج وكأنها للتنبيه والايماء إلى المقصود الذي يحصل عليه الطالب لنوع من أنواع الحكمة (٢) فنرى أن القفطي يصف الرسالة الحادية والخمسين بأنها جامعة في حين أن رسالة الجامعة رسالة مستقلة تختلف عن مجموعة الرسائل وكلها كما يصرح بذلك إخوان الصفا أنفسهم في رسائلهم فيقولون « اعلم أيها الأخ البار الرحيم ... أنا قد جعلنا في كل رسالة من رسائلنا فصلا جعلناه من لبها وخالصها إذا وفق له من فهمه ، وعمل به نال السعادة في الدنيا والآخرة . وقد لخصنا ما أوردناه في رسائلنا الإحدى والخمسين في رسالة مفردة عن الرسائل سميناها « الجامعة » وهي خارجة عن جملة الرسائل » (٣) ويقولون في موضع آخر من رسائلهم : « هذه فهرست إخوان الصفا ... وهي اثنتان وخمسون رسالة في فنون العلم وغرائب الحكم وطرائف الآداب وحقائق المعاني عن كلام خلصاء الصوفية صان الله قدرهم وحرسهم حيث كانوا في البلاد (٤).

وكلام إخوان الصفا هذا ينص على أن الرسالة الجامعة تلخيص عن مجموعة الرسائل ومفتاح لكشف غوامضها وإذن يكون من الخطأ أن يقول قائل إن رسالة الجامعة تعد

---

(١) تاريخ الفلسفة لدي بور ترجمة أبو ريدة ص ٩٨ .

(٢) أخبار الحكماء للقفطي ص ٥٨ .

(٣) رسائل إخوان الصفا ج ٤ ص ٢٩٠ .

(٤) المرجع السابق ج ٢ ص ٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من ضمن مجموعة الإحدى والخمسين رسالة بل هي زائدة عليها ، اللهم إلا أن يقال أن معنى جامعة هو شاملة فهذه اللفظة ليست اسما بل وصفا (١) .

ولقد نالت هذه الرسائل إقبالا عظيما من الناس وحملها أحد رياضي أسبانيا إلى بلاده في أواخر القرن الرابع الهجري وفي نهاية القرن الثامن الهجري ترجمت إلى الفارسية لأحد وزراء تيمورلنك (٢) .

هذا عرض موجز لتاريخ إخوان الصفا ونشأتهم ورسائلهم (٣)

ثالثا

١ — رسالة الحيوان : ألف إخوان الصفا

هذه الرسالة على غرار كتاب كليلة ودمنه من مجموعة رسائلهم وتتألف من خمسة وستين فصلا (١) وكان لهذه الرسالة أثر كبير في موضوع القصة في اللغة العربية إذ تطورت القصة على لسان الحيوان بعد تأليف إخوان الصفا رسالتهم هذه إلى صورة أخرى ذات مظهر خطير من ناحية الفكرة الفلسفية في البيئة الإسلامية فقد نقلوها من مغزاها الاجتماعي والأخلاقي إلى الميدان الفلسفي .

وتتضمن هذه الرسالة محاكمة طويلة بين

(١) وتوجد نسخة مخطوطة بعنوان « رسالة الجامعة » في مكتبة المرحوم الدكتور كامل حسين أستاذ كرسي الأدب المصري بجامعة القاهرة وهي كبيرة الحجم ولكنني لم أتأكد من صحة نسبتها إلى إخوان الصفا وتحتاج إلى دراسة لمعرفة هل هي نفس رسالة الجامعة التي يشير إليها إخوان الصفا في رسائلهم .

(٢) الحضارة الإسلامية لبارتولد ترجمة حمزة طاهر ص ٤٥ .

(٣) ومن يطلب الاستزادة في ذلك فعليه بالرجوع إلى المصادر التاريخية التي تتحدث عن هذه الجماعة بشيء من التفصيل ، ومن تلك المصادر كتاب الامتاع والمؤانسة ج ٢ لأبي حيان التوحيدي ، وكتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء لجمال الدين القفطي وكتاب تاريخ الفلسفة « لدي بور » ترجمة أبو ريدة . —

— وكتاب ضحى الإسلام ج ١ الأحد أمين والمقالات التي نشرها أديب عباس في مجلة الرسالة (لأعداد ٣٤ و ٣٥ و ٤ عام ١٩٣٤ م في القاهرة) ، والمقدمتين العلمية والتاريخية الأولى للدكتور طه حسين والثانية لأحمد زكي باشا لرسائل إخوان الصفا تحقيق خير الدين الزركلي طبعة القاهرة . والحضارة الإسلامية لبارتولد ترجمة حمزة طاهر وكتاب إخوان الصفا لعمر الدسوقي وكتاب إخوان الصفا لكل من عمر فروخ وعبد اللطيف الطيباوي والبولسي طبعة بيروت والأخير نشر في مجموعة فلاسفة العرب وكذلك كتاب رسائل إخوان الصفا للمرحوم الدكتور حسين الهمداني بسكون الميم نسبة إلى قبيلة همدان اليمنية — أستاذ الأدب الفارسي بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة وكتاب تاريخ فلاسفة العرب لمحمد لطفي جمعة وغيرها من المصادر العربية والفارسية والأوربية التي عرضت لإخوان الصفا

(١) انظر الرسالة الثامنة من القسم الثاني من رسائل إخوان الصفا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإنسان والحيوان أمام « بيراست الحكيم » ملك الجان . وقد أطنب إخوان الصفا فى هذه المحاكمة ليثبتوا بها دعائم مذهبهم ويدعموا بها آراءهم الفلسفية ، ويعد أكثر الباحثين هذه الرسالة من أقوى رسائل إخوان الصفا أسلوبا ومنطقا .

٢ - غرض إخوان الصفا من تأليف رسالة الحيوان .

يبين لنا إخوان الصفا أنفسهم فى مقدمة هذه الرسالة وختامها الغرض الذى دفعهم إلى أن يعرضوا أفكارهم الفلسفية بصورة الهزل والمتعة وذلك عن طريق نقلها على لسان الحيوان فيقولون فى مقدمة الرسالة « إن الإنسان إذا كان فاضلا خيراً فهو ملك كريم خير البرية وإن كان شريرا فهو شيطان رجيم شر البرية ، وجعلنا بيان ذلك على ألسنة الحيوانات ليكون أبلغ فى المواعظ ، وأبين فى الخطاب ، وأعجب فى الحكايات ، وأظرف فى المسامع ، وأطرف فى المنافع وأغوص فى الأفكار وأحسن فى الاعتبار[1] » ويقولون كذلك فى ختام الرسالة : « اعلم أيها الأخ أنا قد بينا فى هذه الرسالة ما هو الغرض المطلوب ، ولا تظن بنا ظن السوء ، ولا تعد هذه الرسالة من ملاعبة الصبيان ، ومخارفة الإخوان ، إذ عادتنا جارية على أن نكسو الحقائق الفاظا وعبارات واشارات كيلا يخرج بنا عما نحن فيه [1] وهذا نفس الغرض الذى كان يرمى إليه ابن المقفع من ترجمة كتاب كليلة ودمنة إذ يقول: فى باب عرض الكتاب « وكذلك يجب على القارىء هذا الكتاب أن يديم النظر فيه من غير ضجر ، ويلتمس جواهر معانيه ، ولا يظن أن نتيجته إنما هى الإخبار عن حيلة بهيمتين - كليلة ودمنة - أو محاورة سبع لثور فينصرف بذلك عن الغرض المقصود . . . وينبغى للناظر فى هذا الكتاب أن يعلم أنه ينقسم إلى أربعة أغراض أحدها : ما قصد فيه إلى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة من مسارعة أهل الهزل من الشبان إلى قراءته فتستمال به قلوبهم . لأن هذا هو الغرض بالنوادر من جيل الحيوانات [2] لقد ألف إخوان الصفا هذه الرسالة على لسان الحيوان تقليدا لكتاب كليلة ودمنة ليكون الجد بصورة المتعة ، ومن ثم أخطأ بعض الباحثين حيث زعموا أن إخوان الصفا عمدوا فى رسالة الحيوان إلى نقد الأوضاع الدينية والسياسية التى كانت تسود المجتمع الإسلامى فى تلك الآونة بأسلوب رمزى لكى يأمنوا بطش أصحاب السلطة ولاة

(١) رسائل إخوان الصفا ج ٢ ص ٨٢ .

(١) رسائل إخوان الصفا ج ٢ ص ٣١٧ .

(٢) كليلة ودمنة ص ٣٠ ـ ٨٥ تحقيق خليل اليازجى طبعة بيروت عام ١٩٠٧ م .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحكم ، ومن هؤلاء المستشرق « دى بور » إذ يقول : « وقد أخفى إخوان الصفا آراءهم الانتقادية فى رسائلهم بعض الإخفاء ، وذلك لأسباب غنية عن البيان غير أن حملتهم المجتمع وعلى الأديان الموروثة تتجلى من غير أدنى احتياط فى رسالة الحيوان والإنسان وفيها ألبسوا آراءهم ثوبا رمزيا فقالوا على ألسنة الحيوان مالو جاهر به أحدهم لثارت حوله الشكوك[1] كما قيل مثل ذلك بالنسبة لابن المقفع كذلك فى سبب ترجمته لكتاب كليلة ودمنة [2].

وهذا الرأى لا يخلو من الضعف وذلك للأسباب الآتية :

أولا : عندما نقرأ رسالة الحيوان ونعمق فى مضامينها العالية نتأكد من أن تلك النظر المضامين والمفاهيم الفلسفية لا تخص عصر دون عصر أو طائفة دون طائفة بل هى فكرة صالحة لكل زمان ومكان بذر نواتها إخوان الصفا فى القرن الرابع الهجرى ونشروها فى ربوع العالم الإسلامى .

ثانياً : إن أخوان الصفا كما أسلفنا يصرحون بالغرض الذى من أجله ألفوا هذه الرسالة وذلك فى مقدمتها وختامها . وخلال عرض المحاكمات فإن عرض أى تفكير فلسفى لعامة الشعب يحتاج إلى أسلوب قصصى سهل بسيط مشوق ليجذب الجمهور إلى الفكرة وليبسط الفكرة له دون حاجة إلى تصوير المفاهيم والأفكار فى قالب فلسفى معقد ليستطع القارئ العادى الفهم والاستنباط وهذا مما دفع إخوان الصفا إلى صف أفكارهم فى أسلوب قصصى على لسان الحيوان .

ثالثا : موازنة بين رسالة الحيوان وبين كليلة ودمنة :

ويتضح لنا مما تقدم أن إخوان الصفا تأثروا بابن المقفع فى تأليف هذه الرسالة تأثرا كبيرا بحيث يمكن أن نعد رسالة الحيوان محاكاة لكتاب كليلة ودمنة وإن لم يعترف بذلك إخوان الصفا فى رسائلهم . إذ ذكروا أن موضوعات رسائلهم مقتبسة من أربعة مصادر أحدها الكتب الرياضية والطبيعية التى صنفت على ألسنة الحكماء والفلاسفة ، والثانى الكتب المنزلة مثل التوراة والإنجيل والفرقان . والثالث الكتب الطبيعية التى صنف لبيان تركيب الأفلاك وحركة الكواكب وأقسام البروج والوقوف على أسرار فنون الكائنات من المعادن والحيوانات والنبات . والنوع الرابع على حد تعبيرهم ، هو الكتب الإلهية التى لا يمسها إلا المطهرون والملائكة التى هى بأيدى سفرة كرام بررة ، وهى جواهر النفوس وأجناسها

---

(١) تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٥١ .

(٢) وقد أثبتنا بطلان هذا الزعم فى كتابنا « ابن المقفع والتيار الفارسى فى تأليفه » فى معرض الحديث عن باب عرض الكتاب لكليلة ودمنة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأنواعها [١] غير أننا عند ما نقرأ رسائل إخوان الصفاء نحس بأنهم كما قلنا سابقا كانوا معجبين بقصص كليلة ودمنة وخاصة قصة الحمامة المطوقة فمن ذلك قولهم « فاعتبر بحديث الحمامة المطوقة المذكورة فى كتاب كليلة ودمنة [٢] فإذن ليس هنا مجال للشك بأن إخوان الصفا قد أفادوا من حكايات كليلة ودمنة وأمثالها فى تضنيف رسائلهم وخاصة رسالة الحيوان التى نحن بصددها فى هذا المقال .

وأما السبب فى أن إخوان الصفا لم يذكروا اسم كتاب كليلة ودمنة فى ضمن المراجع التى اعتمدوا عليها فى تأليف رسائلهم فهو أن الأفكار الفلسفية التى شرحوها والآراء التى دعوا إليها فى رسائلهم لم يستمدوها من كتاب كليلة ودمنة وإنما أفادوا منه وخاصة فى الإطار الفنى القصصى العام الذى بثوا فيه تلك الآراء الفلسفية وقلما استفادوا من ابن المقفع فى محاكاتهم له فى سرد قصصه عن قرب كما فعل ابن الهبارية ، وابن عربشاه وصاحب مرزبان نامة وغيرهم ممن ألفوا حكايات على ألسنة الحيوانات محاكاة لكتاب كليلة ودمنة ألا أن إخوان الصفا تأثروا بابن المقفع فى بعض آرائه الاجتماعية التى تضمنتها حكايات كليلة ودمنة فضلا عن تأثرهم بالخصائص الفنية .

(للبحث بقية)

محمد غفرانى الخراسانى

(١) رسائل إخوان الصفا ج ٤ ص ١٠٦ .
(٢) نفس المرجع السابق ج ١ ص ٦٢ و ٦٣ .

لا تحذو حذو عصابة مفتونة ... يجدون كل قديم شيء منكرا
ولو استطاعوا فى المجامع انكروا ... من مات من آبائهم أو عمرا
من كل ماض فى القديم وهدمه ... وإذا تقـــدم للبناية قصراً

« شـــوقى »

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المنهج الإسلامي في الأدب ونقده

للدكتور عبد الرحمن عثمان

قد يكون هذا الموضوع وثيق الصلة بمجلة الأزهر ، لأنه يعرض للقراء فن القول في إطار إسلامي عربي خالص بحيث لا تشوبه شائبة من فضول المعرفة أو بهرج الثقافة مما تعج به مطبوعات تنشر كل يوم ، وليس لها حظ من المعرفة أو الثقافة إلا حظ الجنين الذي تدفعه الأرحام قبل أن يكتمل خلقه وتتضح قسماته .

وهذا المنهج الذي أوثر به هذه المجلة إنما هو امتداد لما كنت أنشر في مجلة الرسالة أوائل هذا العام والعام الذي قبله والقراء يذكرون ما أثارته مقالاتي من جدل ومكابرة ، وبخاصة حول الغموض والإفصاح في الأدب العربي ، فقد تربص بي كاتب له في المجلة باب بعنوان « تعقيبات » .

وما كنت أظن أن كاتباً عربياً ينكر أن الرمزية الأوربية لا مجال لها في الأدب العربي الأصيل ، فلما قال صاحب التعقيبين في مجلة الرسالة : إن الرمزية الصوفية لون من ألوان الرمزية الأوربية آمنت أن « الخضر » على تسامح في شكل الكلمة وتحويلها من فتحة « الخاء » إلى خفضها — يريد أن يقول لي كما قال لرفيقه : ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً .

* * *

والمنهج العربي الذي بدأته في الرسالة كان يدور حول قضية بدهية تتلخص في أن الأدب العربي يعتمد في إصالته على الإفصاح والبيان ويبرأ من الغموض والرمزية ، وكنت أدفع بهذا منهجاً دخيلا على الأدب العربي دعا إليه كتاب لهم مكانتهم في التوجيه الأدبي بما أتيح لهم من وسائل النشر في الصحف والمجلات ووسائل الأعلام المختلفة ، وقد خشيت أن يترك ذلك أثراً في عقول الناشئة العربية تلك الناشئة التي نعقد عليها الأمل في بث الروح العربي ، وتمكين الوعي الإسلامي حين تشرق شمس الغد ويطل على الربوع العربية ذلك المستقبل الذي نعيش من أجل تحقيقه ، ونتحمل لبعثه مشرقا بسامًا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والداعون إلى الغموض وما إليه فى أدبنا يفكرون بغير عقولنا ، ويتجاهلون حكم البيئة وأثرها فى التراث الفنى كله ، وتلك قضية أوضح من أن يشار إليها لدارسى الأدب ورواد الفنون ؛ فالعادات ، والتقاليد ، والمعتقدات ، أمور تسيطر على الفكر ، وتترك طابعها الواضح على العواطف والمشاعر ومن ثم فاستعارة الأفكار والعواطف دون تمييز بين ما يصلح وما لا يصلح من الأخطار التى لا تؤمن عواقبها فى هذا المجال .

ويلحق بهذه المجازفة محاولة نقد الأدب العربى على هدى النظريات الأوربية التى تستند فى بيئتها إلى أصول غير قابلة لمنطق « الاستيراد والتصدير » لأن ما قام على حكم البيئة سيبقى حيا فى بيئته ، فأما إذا أخرج منها أصابه الذبول الذى هو أول مظهر من مظاهر الموت والفناء ؛ على أن الرجوع إلى طبيعة الأدب العربى حين يراد نقده ضرورى لا يقبل بديلا ، لأنه نزول على منطق الأشياء وخضوع لقانون الحياة العادل .

* * *

وهناك فرية تتردد على ألسنة بعض المثقفين وتجرى بها أقلام استقامت على الفكر الأوربى ودارت فى فلكه ؛ ملخصها أن الإسلام لم يشرع منهجاً عادلا للفنون ، وأن القرآن الكريم هاجم فن القول (الشعر) هجوماً عنيفا حين حقر الشعر وامتهن الشعراء فى قوله : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون » ؛ وقد دعاهم ذلك إلى الاعتقاد بأن الإسلام عدو لدود للفنون ، يصرف عنها كل مسلم ذى عاطفة ، وينفر منها كل ذى خيال وشعور ؛ وتلك قالة سوء لا تجرى إلا على ألسنة الخراصين أو الجهلاء بما فى الإسلام من رقة وسماحة ، وتوجيه الجمال الذى هو حقيقة ما فى الكون من صعود بالنفس البشرية إلى الآفاق الجميلة التى تعمر بالخير والصدق والفضائل على اختلاف أنواعها .

ولهذا رأيت أن أبطل هذه الفرية وأمثالها بحقائق يقوم عليها البحث العلمى ، تاركا استخلاص النتائج إلى ذوى العقول المستقيمة وهم بحمد الله كثيرون .

* * *

إذا كان القرآن الكريم قد استحدث للعرب نظاما جديدا ينتظم المساواة والجهاد والحب فى إله واحد لا شريك له ، وبسبب هذا النظام اختلفت أنماط الحياة من جاهلية ، وتحولت إلى ألوان إسلامية تتسم بالمحبة ، وتميل إلى الاستقرار ، وإذا كان القانون السماوى قد أذهل فصحاء العرب بنسقه الفريد فى جلال معانيه وحلاوة نظمه وفيهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفصحاء المقاويل والشعراء الفحول ، إذا كان التنزيل المعجز قد أحدث كل هذا التحول فى المجتمع حينذاك ، فهل كان كل ذلك سببا فى انصرافهم عن الأدب ونقده كما يرجف السذج والمغرضون ؟؟ .

ثم إذا اعتبرنا ظهور هذين الحدثين الكبيرين صارفا للعرب عن فن القول والنظر فيه ، فمعنى هذا بداهة ، أن الأدب العربى لا مكان له فى المجتمع الإسلامى الجديد ! ! ، مع أن المعجزة الكبرى لتثبيت هذه الدعوة جاءت قرآنا عربيا غير ذى عوج بحيث يسحر القلوب بحسن تصويره ويستهوى الألباب بجمال تعبيره ، وذلك إلى جانب ما عرف عن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا تحدث أو خطب ، فإذا انضم إلى هذين الأصلين اللذين لا يقبلان الجدل أصل ثالث هو أن التحدى للعرب لم يزد على مطالبتهم بشحذ قرائحهم الصافية ليأتوا بسورة من مثله ، أو بآيات قصار تثبت على النظر وتتردد ببلاغتها إلى النفوس والأسماع حتى تملك زمامها أو تستثير فيها لونا من الإعجاب والقبول ؛ وكل ما قدمنا يحتاج فى إبطاله إلى كثير من الجهد ليستقيم القول : بانصراف البيئة العربية فى صدر الإسلام عن الأدب ونقده . ولا نريد المسارعة إلى التأكيد بشىء معين فى أمر يتصل بموضوعنا هذا ، حتى نستعرض أمرين لهما وزنهما فى هذه الفترة ، فربما هدانا أحدهما أو كلاهما إلى الأخذ برأى يعتمد على الحجة ويقوى على البرهان :

١ — نعلم أن الحرب الشعرية — قبل فتح مكة — كانت أشدها بين المسلمين فى المدينة ، والمشركين فى مكة ومن ناصرهم فى البادية والقرى ؛ فشعراء الفريقين يتراشقون بالهجاء الموجع — وقد كان غرضاً له خطره فى الجاهلية — ، وهذا النوع من الشعر كان وقعه على الفريقين أشد من وقع السهام فى الحروب الدائرة بينهما ؛ وعلى هذا ، فالهجاء من الفنون الأدبية التى وجدت فى هذا الصراع العقيدى عوامل نشاطها وتنوعها ، وهو أمر لم يتح له فى العصر الجاهلى حيث الوثنية ، والإيمان بتعدد الوسطاء إلى الله : « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » .

ولئن تخرج الرواة من رواية الشعر الذى نظمه المشركون ، لأنه يمس العقيدة الإسلامية فى جوهرها المعتمد على التوحيد والمساواة والتعاطف ، ولأنه يتناول الرسول الأمين عن ربه بما لا يليق أن يردده مؤمن برسالته ، ومعجب بإنسانيته كبشر عاش بينهم ثم خرج من الدنيا لا يملك من حطامها شيئا ، وقد كان فى استطاعته أن يعيش عيشة الأكاسرة أو القياصرة ، ولكنه آثر أن يكون رءوفا رحيما بالآخرين ، فاختار لنفسه الإيثار ، وترك الأثرة لمن يحبها ، وإن يكن نهى عنها وبغضها لمن تنزع إليها نفسه من المسلمين ؛ فإذا تحرج الرواة المسلمين من

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رواية كثير مما يخدش العقيدة أو يعيب محمداً عليه السلام ، فإن الرواية الإسلامية لم تضن علينا بما يهدينا إلى رأى فى الأدب ونقده أوائل العصر الإسلامى ، فهذا ابن رشيق يحدثنا : « فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون » فهو غلط وسوء تأويل ، لأن المقصود بهذا النص : شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ، ومسوه بالأذى ؛ فأما الذين من سواهم من المؤمنين فغير داخل فى شىء من ذلك ، ألا تسمع كيف استثناهم عز وجل ، ونبه عليهم فقال : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً ، وانتصروا من بعد ما ظلموا » ، يريد شعراء النبى صلى الله عليه وسلم ، الذين ينتصرون له ، ويجيبون المشركين عنه كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وقد قال فيهم النبى الله عليه وسلم : هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل ؛ وقال لحسان بن ثابت أهجهم - يعنى قريشا - فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام ، اهجهم ومعك جبريل روح القدس ، والق أبا بكر يعلمك تلك الهنات » .

فالرسول يقرر فى هذه الرواية حكمين : أولهما : التحريض على هجاء المشركين الذين يشككون فى القيم الإنسانية التى جاء بها الإسلام ؛ وثانيهما : توجيه الشاعر إلى الدقة فى صحة المضمون بحيث يتحرى الواقع ويعبر عنه تعبيراً دقيقا حتى لا يختلط الأمر على السامع ، فالرسول من قريش ، وشاعره حسان يهجو عنه قبيلته ، فإذا أصاب الشاعر قريشا بما يشين أصاب النبى فى أصوله أصابة قد يألم لها وإن لم تكن من قصد الشاعر المحب لصاحب الدعوة عليه السلام .

ومن أجل هذا نستطيع أن نقول فى ثقة إن النقد بمعنى التوجيه للأديب ظهر لأول مرة فى تاريخ النقد العربى بفضل ظهور الإسلام ، وليست هذه مجرد دعوى ، وإنما هى حقيقة ستزداد قوة خلال ما يساق من الحديث .

ومثل هذا البيان تبطل دعاوى المرجفين فى العالم العربى بأن الالتزام فى الأدب إنما هو ظاهرة أوربية ، ونظرية جديدة نادى بها الوجوديون فى النصف الأول من القرن العشرين ! ! فالذى يعرفه كل دارس لفلسفة المذهب الوجودى أن زعيمه جان بول سارتر الفرنسى أكد هذا الالتزام وفرضه على كتاب المذهب وشعرائه وفنانيه بوجه عام ، وذلك حين ألف مسرحياته كتطبيق عملى لإقرار

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نظرية الالتزام فى الفنون ؛ ولعل من خير ما كتب فى هذا المعنى : «اليد القذرة والذباب والأبواب الموصدة ، أو الجلسة السرية» . وعلى ضوء ما كتب «سارتر» درس أدباء المذهب الوجودى مشاكل العالم على اختلاف أنواعها دراسة عميقة هدتهم إلى نتائج إنسانية رددوها فى فنونهم ، والتزموها موضوعات وأهداف يدور حولها فنهم ويهدف إليه ، فإيمانهم بحرية الإنسان مثلا ، جعلتهم نصراء لثورة الشعب الجزائرى فى كفاحه المشهور ضد الشعب الفرنسى الذى ينتمى إليه سارتر ويفديه بالروح والأهل كل فنان وجودى نسل من أصل فرنسى ، ولكن الإيمان بحرية الانسان دفعتهم مختارين إلى المجاهرة بعدوان الحكومة الفرنسية على كيان الشعب الجزائرى الذى لا يطلب من فرنسا أكثر من حريته التى يؤمن بها كل فنان وجودى .

ولا أظن أن مذهب الالتزام فى الأدب شيء جديد بعد ما قررناه من صدر هذا الحديث ، وبعد ما استشهدنا عليه بما كتب ابن رشيق عن الشعر المنكر ، والشعر الذى يريده الإسلام ، حين وضع له منهجا ، ومهد له سبيلا .

٢ — لم يقتصر الشعر فى صدر الإسلام على التهاجى بين المسلمين والمشركين ، بل كان نشاطه ملحوظا فى باب الرثاء ، ووصف الخمر على المألوف من عادات الشعر الجاهلى ، فالشاعر ابن مقبل - فيما يروى ابن سلام الجمحى : «كان جافيا فى الدين ، وكان فى الإسلام يبكى أهل الجاهلية ويذكرهم ، فقيل له : أتبكى أهل الجاهلية وأنت مسلم ؟ فقال :

ومالى لا أبكى الديار أهلها
وقد زارها زوار «عك» وحميرا

وجاء قطا الأحباب من كل جانب
فوقع فى أعطاننا ، ثم طيرا

والشاعران : أبو محجن الثقفى ، فارس القادسية المشهور ، وعبدة ابن الطبيب ، يقولان الشعر فى الخمر التى نهى عنها الإسلام وعاقب على شربها ، فأبو محجن هو القائل فى الإسلام على الرغم من ذلك كله .

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة
تروى عظامى بعد موتى عروقها

ولا تدفنى فى الفلاة ، فإننى
أخاف إذا مامت ألا أذوقها

«للحديث بقية»

دكتور عبد الرحمن عثمان

إلى رسول الله

للشاعر محمد أحمد العزب

ملأت فضاءها طهرا ... وكنت لليلها فجرا
وهز نداؤك المنغوم فى آذانها وقرا
تفرد فى روابيها الشذى إطلالة غيرى
وزاحمت الجموع الضوء عبر دربها الحيرى
تود لديك معذرة ... وأنت وهبتها عذرا
فكم من شارد ضل الطريق وعانق القفرا
أتاك فكنت واحته .. سخاء تهديه أو زهرا
وكم من ضائع فى لجة الأحزان ما قرا
أتاك فكنت مرفأه الغنى الوادع البرا
تهدهده ... وتأسو جرحه ... وتعيده حرا
كأنك رافد ينساب حبا هائلا ثرا
نروحى أنت ... ما أنقى يمينك تعصر الصخرا
وما أحنى يمينك تعطر الغيروز مغفرا
ملأت فضاءها طهرا ... وكنت لليلها فجرا
وما زالت نداءاتك فى آفاقها تترى
تكفكف أدمع الباكين تمسح أعيناً عبرى
فللطاير اليتيم على غصونك أفرع سكرى
تميس به ... ترقصه ... تهدهد روحه الخضرا
تداعب جرحه المجروح ... تزرع دربه عطرا
فيضحك ملء عينيه ... وينمى قسوة الذكرى
وكم من ساغب يطوى على الأيام أو يعرى
أضأت له ولم ترهش يداك حقيقة كبرى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

: حصاد الأرض الحصاد .. لا المرقل ... أو كسرى
وظل الدوح العارى الذى قد ذوب الصرا
يرعرع فيه أغصنه ... ويسجد تحته شكرا
ودفء الحب للساعين فوق دروبها طهرا
كأن جموعهم جيل يشكل عالما بكرا
وكم من راسف فى الطين يسكب دمعه نهرا
صحا ... فانهارت الأصفاد خلف صباحه ذعرا
وعانق عمره غز لا يشيد للسنى قصرا
أقول - وأنت فوق مدى شعراً قلت أو نثرا
: زرعت ضفافها خيراً ثرياً يهمر الخيرا
لقد كانت شعاب الأرض قبرا يخنق الفكرا
وكانت مسرحا يفتر عن مأساته الكبرى
تهاويل مخيطة الرؤى تستغفر الدهرا
وتابوت تعفن ضوؤه المشلول واصفرا
وجبهة راهب شرس يغازل طفلة صغرى
يموء السيف والإعصار خلف جفونها قهرا
وألف نجيمة تبكى لها .. وتبرعم الثأرا
لقد كانت حياة الناس قبلك غابة ... صحرا
وكان الواحفون إلى ضحى قماتهم أسرى
فصحت بهم ليحيوا من جديد أمة أخرى
فزقت الملايين الجريحة قيدها المرا
وداست عارها ومضت تشق طريقها الوعرا
وتصنع للطغاة هناك خلف المنتهى قبرا
وتطلع فى سماء الكون شرقا يغزل السحرا
وأنت وراءها ... تأسو الجراح ... وتلهم الصبرا

محمد أحمد الغزب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فتاوى مختارة

تقديم : ابراهيم محمد الجمل

[الإجابة للجنة الفتوى بالأزهـــر]

حكم معرفة الرسل المذكورين في القرآن

السؤال :

هل يجب على المكلف أن يعرف الرسل المذكورين في القرآن بأعيانهم وأسمائهم ، بالتفصيل أم لا ؟

إلياس زين - كمبوديا

الجواب :

يجب على كل مكلف أن يعتقد أن لله رسلا مبشرين ومنذرين ، لا يعلم عددهم على التحقيق إلا الله ، ويجب عليه أن يعرف على التفصيل الخمسة والعشرين - على الأصح - المذكورين في القرآن الكريم بأسمائهم بحيث لو سئل عن أحدهم لا ينكره ، منهم ثمانية عشر مذكورون في آية ، وتلك حجتنا ، سورة الأنعام ، والبقية الباقية هم : إدريس ، هود ، شعيب ، صالح ، ذو الكفل ، آدم ، محمد صلى الله عليهم جميعا وسلم .

وهناك قول بأن آدم وإدريس نبيان فقط ، وما جاء في السؤال عن معرفتهم بأعيانهم فذلك غير مستطاع ؛ لأنه يتوقف على مشاهدة أشخاصهم وذواتهم .

عدد الرسل المذكورين في القرآن

السؤال :

كم عدد الرسل المذكورين في القرآن ؟

نفس السائل

الجواب :

عدد الرسل المذكورين في القرآن قد فهم من السؤال الأول ، وأولهم هو آدم عليه السلام على القول برسالته وهو الأصح .

حكم من أنكر رسالة آدم وإدريس

السؤال :

هل يكفر من ينكر رسالة آدم وإدريس ، وقال : إنهما ليسا رسولين ، بل آدم خليفة ونبي فقط ، وإدريس نبي فقط ، معتقداً أن الرسل المذكورين في القرآن ثلاثة وعشرون فقط ، أولهم نوح وآخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

نفس السائل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الجواب :

قد فهم من الجواب عن السؤال الأول أن آدم وإدريس مختلف فى رسالتهما وعلى ذلك فلا يكفر من يقول بنبوتهما فقط ولا حق لمن يكفره .

هل حديث أبى ذر عن الأنبياء صحيح يحتج به أم لا ؟ .

السؤال :

سأل أبو ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء قال : « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، قال كم الرسل منهم ؟ قال ثلاثمائة وثلاثة عشر ، أول الرسل آدم وآخرهم نبيكم محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد عليهم الصلاة والسلام » .

هل هذا من خبر الآحاد أم من المتواتر ؟ وهل هو صحيح أم ضعيف ، وهل يمكن أن نحتج به ونستدل به ؟ .

نفس السائل

الجواب :

هـذا الحديث من أخبار الآحاد لا يفيد القطع فى العقائد ، والأولى تفويض علم ذلك إلى الله سبحانه .

حكم التلفيق :

السؤال :

هل يجوز لأحد أن يختار حكما ما من أى المذاهب الأربعة ، فيعمل بحكم من الأحـــكام التى يحبها ويترك ما لا يحبها ؟ وهو التلفيق وهل له أن يقول عن الحكم الذى لا يحبه أنه خطأ أو صعب عليه ؟ .

سائل من أندنيسيا

الجواب :

يجوز للمكلف أن يقلد من شاء من الأئمة الأربعة ولا يصح له أن يقول : إن الحكم الذى لا يحبه خطأ بمجرد عدم محبته له وإن صح له أن يقول إنه صعب عليه .

الاجتهاد ـ الخطأ فيـــه

السؤال :

هل توجد الأخطاء فى بعض المسائل الاجتهادية للعالم المجتهد ؟ نفس السائل

الجواب :

يجوز الخطأ على المجتهد فى بعض المسائل ويثاب على اجتهاده مع ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم ما معناه إن المجتهد إذا أخطأ فله أجر واحد ، وإذا أصاب فله أجران .

السؤال :

هل يجوز لأحـــد فى زمننا هـذا أن يخطىء العالم المجتهد فى بعض المسائل التى اجتهد فيها ؟ . نفس السائل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الجواب :

إذا وجد من بلغ درجة الاجتهاد المطلق فله أن يخطىء من قام الدليل على خطئه من المجتهدين.

المذاهب الأربعة

السؤال :

ما حكم من نفى كل المذاهب الأربعة ويخطىء كل واحد من هذه المذاهب وهو من العوام معتمداً على الآية « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول - الآية » .

نفس السائل

الجواب :

حيث إنه من العوام وليس فيه أدنى أهلية الاجتهاد فيجب عليه أن يقلد أحد المذاهب المعتمدة ولا يرجع إلى الكتاب والسنة لجهله وعدم أهليته للأخذ منهما .

بناء المسجد على الأرض الموقوفة

السؤال :

هل يجوز بناء مسجد أو مدرسة على أرض موقوفة فيها قبر قديم أو مقابر قديمة زالت آثارها منها ؟ حيث لا توجد أرض غيرها ؟ وإن كان هناك مدفن جديد هل يمكن أن يبنى عليه المسجد أم لا ؟

نفس السائل

الجواب :

القبر موقوف على الميت مادام لم يبل بأن بقى من جسمه شىء فإذا بلى ولم يبق له أثر جاز الانتفاع بالقبر فى مسجدا أو مدرسة حيث زال حق الميت عنه حينئذ .

نعم إذا دعت المصلحة العامة الانتفاع بقبر لم يبل ميته نقل منه إلى مدفن آخر غيره بشرط ألا يكون فى ذلك تمثيل بالميت كأن انفجر ولم يجف صديده .

حكم صلاة الجمعة فى قرية بها ثلاث مساجد

السؤال :

ما حكم صلاة الجمعة فى قرية كبيرة يوجد فيها ثلاثة مساجد وبين كل مسجد مسافة كيلو متر ؛ هل صلاة الجمعة صحيحة عند الشافعى فى هذه المساجد الثلاثة حيث إنه لا يمكن أن يجتمع المصلون فى مسجد واحد ، إما للعداوة بين أهل كل مسجد والآخر أو لكون المسجد لا يتسع للمصلين جميعا من أبناء القرية ؟

نفس السائل

الجواب :

بأن الراجح من مذهب الشافعية رضى الله عنهم أنه يجوز تعدد الجمعة إذا لم يكن فى البلد مكان يسعهم جميعا أو تعذر اجتماعهم لعداوة أو نحوها والجمعة حينئذ صحيحة .

الصلاة بانحراف عن القبر

السؤال :

بناء ببلدتنا حوله الأهالى إلى مسجد وقد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بنى على غير القبلة ولما كانت القبلة تحدد بالنسبة لموقعه فى الجنوب الشرقى فقد أقيمت القبلة بالمبنى فعلا ، ولكن بعض الأهالى يصرون على الصلاة متوجهين إلى الجنوب حتى تتساوى الصفوف وتستقيم موازيه للجدار .

وقد اختلف الرأى ، ونرجو بيان الحكم الشرعى ؟ . وحكم الصلاة السابقة التى صليت على غير القبلة عن عمد ؟ .

عبد الحميد المصيلحى
ميت الخولى - دكرنس الدقهلية

الجواب :

الله تعالى تعبدنا بالاتجاه نحو الكعبة قال تعالى : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

فالواجب إذا التوجه نحو الكعبة المشرفة فى البيت الحرام وكل صلاة صليت عمدا إلى غير القبلة باطلة لعدم استيفاء شرطها ويجب قضاؤها

أما عن الصفوف فهى مع هذه الحالة يمكن تسويتها وإن كان الصف الأول أقصر مما يليه وهكذا فإن هذا لا يضر فى تسوية الصفوف

الصلاة داخل مقصورة الولى :

السؤال :

سمعت من علماء كثيرين أن الصلاة داخل مقصورة الولى محرمة شرعا خصوصا إذا كان القبر أمام المصلى لحديث (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ونصح هؤلاء العلماء بأن تعطى المقصورة حكم المقبرة فلا يصلى فيها وفى بقية المسجد متسع للصلاة.

وحدث أخيرا أن كنت أصلى فى أحد المساجد التى بها مقصورة أحد الأولياء ووجدت مصليا يصلى بداخلها والقبر أمامه فنصحته بالحسنى وقلت له إن هذا حرام شرعا ، وتصادف أن كان إمام المسجد مارا بجوار المقصورة وسمع الكلام فقال لى : إن هذا ليس بحرام وليس فيه شىء مطلقا فأرجو إفادتى عن حكم الشرع فى هذه المسألة ؟ .

السؤال من/ السيد محمد بن غالب (العراق)

الجواب :

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وفى رواية أخرى (إن من قبلكم اتخذوا قبور أوليائهم وصالحيهم مساجد فلا تتخذوها إنى أنهاكم عن ذلك) .

وقد فهم الشارحون وبعض الفقهاء أن محل النهى إذا كان القبر فى جهة القبلة واستقبله المصلى ، وعللوا ذلك بأنه فيه تعظيم لصاحب القبر ، وقد يفضى إلى الافتتان المؤدى إلى الكفر والعياذ بالله تعالى .

وعلى هذا فاتخاذ المقبرة فى المسجد منهى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عنه شرعا إذا استقبل القبر بالصلاة ، أما إذا لم يستقبل فان ذلك جائز لا شيء فيه غير أنه ينبغي أن يلاحظ أنه لا فضل للصلاة في مكان على مكان إلا الأماكن الثلاثة التي فضلها الله ، وهي : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد فسر العلماء اتخاذ القبور مساجد : بالصلاة عليها أو بالصلاة إليها واستنبطوا من ذلك أن الصلاة في المقصورة أو الضريح حرام .

فلا تجوز الصلاة في المقصورة أو الضريح خصوصا مع ما يلابس ذلك في زماننا من الاعتقاد في الأولياء ، اعتقادا يتنافى والعقيدة الإسلامية الصحيحة النقية .

الزواج على غير إرادة الوالد الغائب إذا عضل

السؤال :

لي أخ غاب عن وطنه مدة ١٤ عاما وكان متزوجا وله ولد وبنت ، الولد توفي والبنت على قيد الحياة ، وعمرها الآن ١٥ سنة ، ويريد ابن أختي التزوج من هذه الفتاة ، وهي موجودة في اليمن مع عمها .

وبعد المراسلات اشترط والد الفتاة مهراً قدره ألف دولار ، وعرض الخاطب خمسمائة فقط ، ولما كان كل من الفتاة وابن اختي راغبا في إتمام هذا الزواج كتبت البنت وكالة باسم والد الفتاة لعمها الذي تقيم عنده من غير علم والدها .

وقد عرض أخي الكبير الموكل في الزواج هذه الوكالة على القاضي الشرعي ، الذي سمح له بإتمام الزواج بناء على وكالة والد الفتاة .

وأريد أن أسأل عن حكم الشرع في هذا الزواج هل هو صحيح أم فاسد ؟ .

وهل ما قامت به يعتبر جرما أم أنه من أحكام الضرورة ؟

محمد زين محمد صالح - أمريكا

الجواب :

إذا عضل الولي الخاص أو غاب مسافة القصر كانت الولاية حينئذ للقاضي يزوج أو يأذن لمن يزوج ، فبقي أن سبب الإذن الوكالة وهي مزورة على ما يظهر من خطاب السائل ، والجواب عن هذا أن سبب الإذن في الواقع الغيبة أو العضل وهذان لا تزوير معهما .

أما الوكالة المقول عنها فلا حاجة إليها في إذن القاضي ، وكان يكفي أن يعلم القاضي بالغيبة أو العضل وقد حصل ، على أن للبنت أن تزوج نفسها أو توكل من يزوجها متى كانت بالغة عند الحنفية ، وهذا حصل في مسألتنا فالعقد صحيح عند الشافعية والحنفية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنباء وآراء

مناقشات . . ؛

(لمسة) :

إن فكرة تبرئة اليهود من دم المسيح ، والمناورة السياسية الخطيرة التى يقوم بها الكرادلة فى أروقة الفاتيكان يجب أن لا تمر بدون تعليق الأوساط الإسلامية المسئولة فى كل بلد إسلامى . . .

فصحفنا مثلا تناقش القضية من الوجهة السياسية فقط دون اعتبار لعقيدتنا ، وكأن من المسلم به أن المسيح عليه السلام قد صلب فعلا ، وقد انحصرت القضية فى تبرئة اليهود من دمه أو الصاقها بهم .

ونحن لا يهمنا إن كانت السياسة الأمريكية تلعب دوراً خطيراً من خلف الستار ، كما هو واضح من المؤتمر الدينى الأمريكى الذى انعقد منذ أيام فى سانت لويس ، حيث أصدر هذا المؤتمر الواحد والستون للمجلس الأسقفى القومى فى أمريكا بياناً شديداً يبرىء اليهود من دم المسيح ويلقى اللوم على الإنسانية جمعاء ، ولكن الذى يهمنا أن نقرر أن القضية قائمة من وجهة نظرنا على أساس منهار .

كنا نود أن لا يتورط كتاب كبار تقرر شهادات مواليدهم أنهم مسلمون ، ولكن يظهر أن الاحتراف الصحفى أرفع لديهم من العقيدة والدين والقرآن .

السمان

هذا الحديث ليس متواترا :

استمعت منذ أيام إلى حديث دينى من أحاديث الصباح الإذاعية لعالم جليل ، يشير فيه إلى أن حديث : « إنما الأعمال بالنيات ، ولكل امرىء ما نوى » حديث متواتر ، وهذا الحديث رواه يحيى سعيد الأنصارى عن محمد بن ابراهيم التيمى ، عن علقمة ابن وقاص الليثى قال : سمعت عمر رضى الله عنه على المنبر يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحديث .

يقول النووى فى شرح صحيح مسلم فى الجزء الثالث عشر ما مضمونه ، إن الحديث لم يروه من الصحابة إلا عمر ، ولم يروه عن عمر إلا علقمة ، ولم يروه عن علقمة إلا محمد ابن ابراهيم التيمى ، ولم يروه عن محمد إلا يحيى ، وهؤلاء الثلاثة تابعيون ، ثم رواه عن يحيى نحو مائتين من الشيوخ ، ولهذا قال الأئمة ليس هو متواتراً وإن كان مشهور عند الخاصة والعامة لأنه فقد شرط التواتر فى أوله وفى طرفة من طرق الإسناد .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذا وقد اتصلت بالأستاذ الجليل المتحدث فاقتنع ، ولم أرد بهذا النشر إلا تعميم الفائدة والله الموفق .

محمد نجيب المطيعي ـ العباسية

في محيط الأزهر

العام الدراسي

افتتح العام الدراسي في جامعة الأزهر بمؤتمر كبير حضره الأساتذة والطلاب ، وقد ألقى فيه فضيلة الإمام الأكبر كلمة قيمة وجه فيها الأذهان إلى رسالة الأزهر وصلة العلم بالدين في علوم الأزهر ، ثم ألقى فضيلة السيد الأستاذ الباقوري مدير الجامعة كلمة أظهر فيها مكانة الأزهر في مجتمعه وواقعه ونوه بما قدمه للإنسانية من خدمات .

اتحاد طلاب الجامعة

وأقام اتحاد طلاب جامعة الأزهر حفلا كبيرا في قاعة الشيخ محمد عبده حضره السيد أحمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء لوزارة الأوقاف وشؤون الأزهر . والسيد الدكتور نور الدين طراف نائب رئيس الوزراء ، والسيد الأستاذ طلعت خيري وزير الشباب . وقد بدئ الحفل بالقرآن الكريم ثم ألقى مقرر الاتحاد تقريراً عن أعماله في العام الماضي وألقى فضيلة الأستاذ الشيخ الباقوري مدير الجامعة كلمة قوبلت بالاستحسان العام والتصفيق الحاد ، وألقى السيد وزير الشباب كلمة قيمة كان لها تأثير طيب في نفوس الحاضرين .

مؤتمر عدم الانحياز :

انعقد مؤتمر عدم الانحياز بالقاهرة من اليوم الخامس من شهر اكتوبر عام ١٩٦٤ إلى اليوم الحادي عشر فيه ، وقد حضر المؤتمر رؤساء ثمان وخمسين دولة من أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية وأوربا .

وأذيعت القرارات التاريخية الكبرى ظهر اليوم الحادي عشر ، التي تؤيد نضال الشعوب الحرة وفي مقدمتها شعوب فلسطين والجنوب العربي وأنجولا وكوبا ضد الاستعمار من كل لون .

لقد كان المؤتمر خطوة جادة من أجل تحقيق الحياد الإيجابي والتعايش السلمي . وتجنيب العالم ويلات حرب ثالثة مدمرة .

في ذكرى العدوان الثلاثي :

أذاع فضيلة الإمام الأكبر هذه الكلمة بمناسبة ذكرى العدوان .

يستقبل العالم العربي ذكرى العدوان الثلاثي على مدينة بور سعيد فتمر بخواطره بشاعة اجتراء الباطل على الحق ، وجبروت الاستعمار في مناهضة الأحرار ، وأن هذه الذكرى لتعيد إلى الأذهان الخصائص المشرقة للإيمان فهو مهما ضعفت أسبابه ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لن يقتحم بابه ولا يزيده العدوان عليه إلا إغواء به ، وهكذا أيقظ العدوان الثلاثى الضمير العالمى ، وجمع كلمة العرب ، وهبأ حماس المسلمين فكان ما كان من نصر الله للحق ، وغلبة الحرية على الرق ، فحيا الله من الإنسانية كلها كل من أسهم فى هذه المعركة بكلمة حق أو معونة صدق ، وجزى الله بالرضوان أرواح الشهداء الذين خطوا بدمائهم خلود وفائهم وكرمهم فى عليين مع النبيين والصديقين .

وأدام الله على الدنيا عبرة هذه الذكرى حتى تظل للظالمين درساً يردعهم وللمظلومين سابقة تشجعهم ، وحيا الله زعيم العروبة وجامع كلمتها يوم أن وقف على منبر الأزهر ونادى سنقاتل . . سنقاتل . . فكان نصر الله ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز .

جائزة نوبل :

اقتسم عالمان ألمانيان جائزة نوبل للطب فى هذا العام ، الأول كونراد بلوخ الذى حصل على الجنسية الأمريكية عام ١٩٤٤ والآخر فيودور لنين الأستاذ بمعهد الكيمياء الحيوية فى ميونيخ ، وقد توصل الاثنان إلى اكتشافات عاونت الإنسانية فى نضالها ضد أمراض الدورة الدموية .

* أحدث الاكتشافات ، هذه الطائرات التى صممت أخيراً ، بحيث تعلق فى أجنحتها عربات اللورى ، والمعدات الثقيلة ، لتوصلها إلى الأماكن القريبة من المواقع الحربية ، وبذلك يتوافر عامل السرعة فى الامدادات الحربية .

الطائرة مصممة بحيث يتحمل جناحها وزن ١٢٠٠ رطل زيادة على ثقل اللورى وما تحمله الطائرة نفسها .

تدعيم مجمع البحوث :

ستتجه النية إلى تدعيم مجمع البحوث الإسلامية والتوسع فى نشر وتوزيع الكتب الدينية والثقافية ، فقد استقبل الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر منذ أيام المهندس السيد أحمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء حيث دار البحث حول الشئون الدينية والتعليمية للأزهر .

تقرر قبول مائة وخمسين طالبا من حملة الثانوية العامة بجامعة الأزهر على الرغم من عدم نجاحهم فى امتحان القبول بالجامعة ، وقد تم الاختيار طبقا لمجموع الدرجات فى الثانوية العامة مضافا إليه درجات امتحان القبول ، ومن الجدير بالذكر أنه كان قد تقدم لامتحان القبول ٤٨٠ طالبا لم ينجح منهم أحد .

محمد عبد الله السمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

نقد وتعريف : الأستاذ محمد عبد السواد

---

١ — شاعر الإسلام حسان بن ثابت
للأستاذ وليد الأعظمي

هذا الكتاب الذي نشرته مكتبة المنار بالكويت يقع في زهاء ثلثمائة صفحة من القطع المتوسط ، وهو دراسة أدبية تاريخية لشاعر الإسلام حسان بن ثابت الأنصاري في أربعة فصول :

الفصل الأول : ترجمة لحسان ، نسبه ونشأته ، وكنيته وذريته ، وحياته في المدينة ، ثم بحث في شعره الجاهلي .

والفصل الثاني : تناول المؤلف فيه ظهور الإسلام ، وانقسام المجتمع العربي ، ودفاع الشاعر عن الإسلام ، ومواقفه تجاه الوفود ، ثم مدرسة حسان الشعرية .

والفصل الثالث : منزلة الشاعر عند النبي ، وشبهات حول حسان ، وموقفه من حديث الإفك ، ثم منزلته عند الخلفاء .

والفصل الرابع والأخير : تناول المؤرخ فيه مواقف حسان مع الصحابة ، وأثره في الشعر العربي ، وجهوده التجديدية ، والتاريخية ، وتأثره بالقرآن ، ثم قدم المؤلف في نهاية الفصل نماذج متنوعة من شعره .

أثار المؤلف في الفصل الثالث شبهات حول حسان ، أولاها أنه كان جباناً خواراً ، وذكر قصته مع صفية بنت عبد المطلب حين دعته إلى النزول لقتل يهودي يطيف فأبى وقال : يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ، وما كان منها إلا أنها أخذت عموداً ثم قتلته .

المؤلف لا ينكر القصة ولكنه لا يعتبرها دليلا على جبن حسان ، ويراها قلة لا يمكن أن تقوم دليلا قاطعاً على صفة عامة في حسان ، ثم استشهد بكثير من المواقف لحسان تنفي عنه هذه الوصمة .

والشبهة الثانية : شعر حسان نفسه واتهامه بالضعف ، ويرى المؤلف أن حسانا فوق هذه التهمة التي كان مردها الكيد للإسلام ، وإلا ما جاز لأمثال أبي عبيدة أن يقول : فحل حسان الشعراء بلا ث . كان شاعر الأنصار

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى الجاهلية وشاعر النبي فى النبوة ، وشاعر اليمن كلنا فى الإسلام » . كما لا ينفى المؤلف أيضاً أن يكون شعر حسان فى الإسلام قد لان وضعف . ويعلل ذلك بتأثر حسان بالإسلام ولا سيما القرآن .

أعجبنى فى المؤلف استعداده للدفاع عن حسان فى شبهات سلطت عليه ، لولا أن عاطفته غلبت أحيانا على منطقه فى دفاعه ، وعلى كل فحسب المؤلف من التقدير أن قدم لنا دراسة متكاملة عن حسان الشاعر الإسلامى الفحل ، تعتبر بحق مرجعا محدوداً للدارسين .

* * *

٢ — الإباضية فى موكب التاريخ

للأستاذ على يحيى معمر

هذا الكتاب ثلاثة أجزاء فى أكثر من ستمائة صفحة نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة والمؤلف أديب ليبي ذو ثقافة ناضجة وأفق واسع ، تناول فى الجزء الأول نشأة المذهب الأباضى ، وناقش فيه معنى الخوارج ، والخوارج فى نظر الإباضية ، وميزان الخطأ والصواب للفرق الإسلامية ، وتكون المذاهب الإسلامية ، ثم نشأة الإباضية وموقفها فى أسواق الجدل ، ووضعها فى قيادة الأمة ، وترجمة موجزة لمؤسس المذهب الأباضى جابر بن زيد وتلميذه أبى عبيدة مسلم .

وفى الجزأين الأخيرين قدم المؤلف دراسة عن الإباضية فى ليبيا ، كيف دخلت على يد سلمة بن سعد ، وكيف قاومت الطغيان وكافحت الظلم فى ليبيا وشمالى أفريقية ، وكيف انتشرت دعوتها وتأسست مدارسها .

وقد اشتمل الكتاب على تراجم وافية لعدد كبير من أعلام المذهب الإباضى ، فسلط أضواء كاشفة على هؤلاء الأعلام الذين نشروا مبادئ المذهب وتحملوا فى سبيل ذلك الكثير من المشاق .

إن معظم كتب التاريخ التى تعرضت للفرق الإسلامية يعمد إلى اعتبار الإباضية إحدى فرق الخوارج ، ويبذل المؤلف هنا جهداً كبيراً فى إزالة هذا اللبس الذى رسخ فى الأذهان قروناً عديدة ، ويذكر أن اشتراك طائفة مع غيرها فى رأى معين لا يعنى اشتراكها فى جميع الآراء ، ومن ثم لا يجوز أن تنخرط هذه الطائفة فى سلك أية طائفة أخرى تشترك معها فى رأى ، وقد تسربت الشبهة لأنها تشترك - أى الإباضية - مع الخوارج فى انتقاد قبول التحكيم ، وفى تخطئة على فى قبوله ، وتوافق الإباضية فى هذه النقطة لا يجعل الإباضية خوارج ، كما لا يجعل الخوارج إباضية ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإلا فالمعتزلة والأشاعرة مثلا يشتركون فى أصل تنزيه البارى وبعض المعتزلة والشيعة يشتركان فى نظرية حصر الخلافة فى البيت الهاشمى ، فهل معنى هذا أن كلا من المعتزلة والأشاعرة فرقة واحدة ، وكذلك المعتزلة والشيعة ؟

الحق أن كتاب الأستاذ على يحيى معمر دراسة كلفته جهداً ومشقة ، وحسبه من التقدير أنه أزال كثيراً من اللبس ، وراعى الحق والعدل فى ما كتب ، وأنه بذل مجهوداً أيضاً فى استيعاب المراجع النادرة وغير النادرة ليبرئ ذمته وقلمه وليكون كتابه بعد ذلك مرجعاً أمينا لكل دراس باحث .

* * *

٣ — علم القلوب :
للعلامة أبى طالب المكى

حقق هذا الكتاب الذى نشرته مكتبة القاهرة بالأزهر الأستاذ عبد القادر أحمد عطا المدرس بالأزهر ، والمؤلف هو أبو طالب المكى صاحب « قوت القلوب » المشهور ، والمتوفى عام ٣٥٨ هـ .

وهذا الكتاب مع شقيقه الذى بين أيدينا يعتبران — كما يقول المحقق — من أسس السلوك الدينى القويم الذى تحتاج إليه فى تصحيح الأعمال والنيات والعقائد ، ويوقفنا على دسائس النفوس ومكائد الشيطان حتى تتضح السبيل ويستنير الطريق .

يتناول الكتاب ماهية الحكمة وعظم قدرها ومن المستحق لبذل الحكمة وشرفها ، ثم الفرق بين الحكمة والعلم ، ومعنى قول الرسول طلب العلم فريضة على كل مسلم ، كما يتناول بيان التوحيد والتفريد على لسان أهل الإشارة من العارف والمريد ، ووصفاً للعارفين الذين وصفهم المعروف بالصفاء واليقين ، وتوضيحاً لصفة الإخلاص وطبقات المخلصين بالقلب . وإلى غير ذلك من آداب السلوك النفسى والقلبى والعقائدى .

الكتاب — كسائر كتب المتصوفين — خليط من التوجيه السليم الذى يتفق ومفهوم الإسلام وواقعيته ، ومن المثاليات التى لا تصلح كقواعد عامة فى السلوك الإنسانى لا نحو نفسه ولا نحو ربه ، لأنها تناقض طبيعة الإنسان نفسه وسنن الحياة كذلك .

فى هذا الكتاب مثلا أن أبا عبد الله اشترى جارية فلما دخل داره قال : قومى وافرشى الثياب . قالت : ماذا تصنع يامولاى ؟ قال : أنام . قالت : ألك مولى ؟ قال : نعم . قالت : وينام مولاك ؟ قال : لا . قالت : أما تستحى أن تنام ومولك لا ينام ؟ وكانت حبيبة العدوية تقول :

عجباً للمحب كيف ينام
كل نوم على المحب حرام

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كنت أود على الأقل أن يكون للمحقق تعليق على مثل هذا القول ، ولا سيما أنه يذكر فى مقدمته ان الملكى قد خلط فى كلامه فهجره الناس وابتعدوا عنه ونسبوه إلى البدع ، أما دفاعه بأن بعض الناس تعودوا أن ينكروا ما لم يألفوه من مسائل العلم إنكاراً كاملا، وتعود البعض الآخر ان يتوقف أقرب فيما لم يألف ويسلم علم أمرها لله، وهو إلى الصواب من سابقه ، فهو لا يهدم جازما باخطأ بل يترك ما لا يناسب مداركه إلى من يناسب مداركهم ، مثل هذا الدفاع لا يقوم حجة ، فالإسلام معان واضحة لا لبس فيها ، وليس ألغازا تفرض على عقول المسلمين فرضاً .

* * *

كتب جديدة

• **المجموع فى شعر أحمد الزين**

للأستاذ عبد الرحمن خليل إبراهيم

المجلس الأعلى لرعاية الفنون

الكتاب يقع فى أكثر من مائتين وستين صفحة من القطع الكبير ، قدم له الأستاذ على الجندى بمقدمة موجزة ، وقد جاءت هذه الدراسة فى سبعة فصول ، تناول المؤلف فيها حياة الشاعر وصلته بشعراء عصره ومشاركته الوجدانية لهم ، والشاعر فى مرحلة ما بعد الشباب ، والحياة الاجتماعية ، والحياة النفسية ، والحياة السياسية ، والحياة التعليمية ، والحياة الصناعية التى عاصرها أحمد الزين ، ثم ختم المؤلف دراسته المستفيضة الجيدة بقصائد لم تنشر للشاعر رحمه الله .

* * *

• **صراع بين الحق والباطل**

للأستاذ سعد صادق محمد

مكتبة أنصار السنة المحمدية

يقع الكتاب فى أكثر من مائة وستين صفحة ، وهدفه تصفية الدين مما علق به من خرافات وأباطيل لم يزل السذج يعتقدونها عقيدة راسخة فى أذهانهم والمؤلف يحمل الصوفية معظم أوزار هذه الخرافات ، ولا سيما فيما يتعلق بالكرامة والتوسل .

* * *

• **البناء الفنى للقصيدة العربية**

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

مكتبة القاهرة بالأزهر

كتاب جديد للأستاذ خفاجى يقع فى أكثر من مائتين وسبعين صفحة من القطع الكبير جاء فى تسعة أبواب هى .

الشعر مقوماته وعناصره ، القصيدة من المقطعات إلى المعلقات ومن المعلقات إلى الأراجيز بعد الأراجيز ، الموشحات ، حركات التجديد فى القصيدة ، الشعر المرسل ، القصيدة العمودية ثم الخليل بن أحمد .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

• أضواء جديدة على الحروب الصليبية

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

المكتبة الثقافية - دار القلم بالقاهرة

هذا البحث أصدرته المكتب الثقافية التى تشرف عليها وزارة الثقافة والإرشاد القومى ويقع فى مائة وعشر صفحات من القطع الصغير ، وقد ناقش فيه ماهية الحروب الصليبية ووضع الصليبيين فى الشام ، وموقف مصر من هذه الحروب والغرب الأوربى وسياسة الحصار الاقتصادى والحروب الصليبية فى شمال أفريقيا وأوربا ، ثم أثر الحروب الصليبية فى الشرق والغرب .

• بسط سامع الدار

فى أخبار مجنون بنى عامر

لشمس الدين الدمشقى

مكتبة القاهرة بالأزهر

هذا الكتاب الذى يقع فى مائة وستين صفحة من القطع الكبير قام بتحقيقه فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدى ، وقد أضيف إلى الكتاب فى آخره أخبار ليلى الأخيلية وتوبة ، وأخبار قيس بن ذريح ولبنى ، وقد قدم الأستاذ الصعيدى ترجمة لابن طولون الدمشقى وابن عبد الهادى شيخة .

عبد الله السمان

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

avoir ramené à l'équilibre leur balance, qui penchait tantôt d'un côté tantôt de l'autre, il les a poussées toutes dans une même direction et leur a insufflé un même esprit, si bien qu'on a le droit de lui attribuer en propre l'ensemble de cette oeuvre.

Plus admirable encore, et absolument original, est son côté créateur. Il ne suffit pas, en effet, pour décrire la morale Koranique de dire qu'elle a conservé et consolidé le patrimoine des anciens et qu'elle a concilié les différentes vues qui avaient divisé leurs successeurs. Il faut ajouter qu'elle a agrandi et embelli cet édifice sacré, en y joignant de chapitres tout-à-fait nouveaux et hautement progressifs, par lesquels elle a achevé à jamais l'œuvre morale.

Dans la présente étude, nous aurons à considérer les préceptes pratiques du Koran en eux-mêmes et dans leur stade définitif. Or il suffit de feuilleter les Extraits que nous en donnons à la fin de ce volume pour se rendre compte de l'ampleur et de la beauté de cette institution.

Notre méthode d'exposer, dans cette branche, diffère assez de celles adoptées par nos prédécesseurs.

En premier lieu, n'ayant pas jugé nécessaire d'épuiser les passages ayant trait à l'action, nous nous sommes contentés d'en relever un nombre suffisamment représentatif pour établir les différentes règles de la conduite.

Ensuite, nous avons essayé, dans la mesure du possible, d'éviter les rèpétitions.

Enfin, au lieu de suivre l'ordre des sourates (comme Ghazâli) ou l'ordre alphabétique des concepts (comme La Beaume), nous avons adopté un ordre logique. Les textes sont groupés en chapitres, suivant le genre de rapport que la règle a pour object d'organiser; et, à l'intérieur de chaque catégorie, nous avons distingué plusieurs petits groupes de textes, auxquels nous avons donné des sous-titres résumant l'enseignement particulier qui s'en dégage. De manière à permettre au lecteur ce trouver facilement le précepte qu'il aura à chercher.

L'ensemble des textes ainsi ordonnés constitue un programme complet de la vie pratique selon le Koran. Comment l'homme doit-il se comporter en lui-même, dans sa famille, avec les hommes en général, quels sont les principes qui doivent regir les rapports entre gouverneurs et gouvernés, entre Etats ou communautés; comment faut-il rendre le culte à Dieu. Tout y est dit, de façon claire et assez définie.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Cet ordre logique, nous le trouvons chez certains savants chiites tel que A. M. el-Ardabîli, mort en 993 H. dans sa "Dourrat el-Baïane" et A.I.A. el Djazâïri en-Nadjafi, mort en 1150 H., dans ses Kalâïd ed-Dourar" Mais ces deux livres, qui peuvent être considérés comme des répertoires pour les passages du Kor'an relatifs au droit islamique, ne traitent que rarement des préceptes moraux.

Ainsi, personne, a notre connaissance, n'a entrepris jusqu'ici de dégager la loi morale du Kor'an dans son ensemble et n'a essayé d'en présenter les principes et les règles sous la forme d'une structure cohérente, indépendamment de toutes ses attaches avec les disciplines voisines. Et c'est cette tâche que nous nous sommes proposé d'accomplir ici, dans la mesure de nos moyens.

II. Division et méthode.

Sous le vocable générique de *loi morale*, nous distinguons comme tout le monde deux branches différentes : *théorie* et *pratique*.

Or notre étude du texte Koranique nous a révélé, non seulement la présence dans le Kor'an de ces deux branches de la science éthique, mais encore que la formule qu'il en donne atteint un degré de perfection qui ne laisse rien à désirer.

Aspec pratique - Dans une publication récente, nous avions considéré la morale pratique du Kor'an dans son rapport avec la sagesse ancienne, et nous avons pu en relever trois caractères, que nous rappelons ici brièvement.

D'abord, en tant que gardian et continuateur de la tradition, le Kor'an se distingue déjà par cette immense étendue dans laquelle il a embrassé toute la substance de la loi morale qui restait dispersée dans les enseignements des saints et des sages, fondateurs et réformateurs éloignés les uns des autres à travers le temps et l'espace, et dont certains mêmes n'ont laissé aucun vestige. Ce côté-là est peut-être la caractéristique la plus saillante du Koran, mais non la plus précieuse ai la plus originale.

L'orininalité de cet enseignement apparnît avec plus d'éclatg dans sa maniére de présenter et de rapporcher ces différentes leçons de l'antiquité, de façon à en transformer la diversité en une unité indivisible, et la divergence en un parfait accord. C'est qu'il a commencé par écarter dans les lois antérieures tout ce qu'il y avait d'apparemment médiocre ou excessif ; et, après

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

moralité et qui n'adoptent pas toujours rigoureusement le point de vue spécifiquement moral, la théorie qu'on en donne dépend dans une large mesure, sinon des vues personnelles, du moins de l'esprit d'école de leurs auteurs, le Koran n'étant cité par eux qu'à titre complémentaire, comme illustration de telle ou telle conception déjà adoptée.

Sur le plan pratique, il est vrai, nous savons qu'Al-Ghazâli avait essayé dans son ouvrage intitulé "les Joyaux du Koran", d'analyser la substance Koranique et de la ramener à deux éléments essentiels, l'un ayant trait à la connaissance, l'autre à la conduite. Il en venait à désigner dans le premier ordre 763 versets, et 741 dans le second.

Malheureusement, cette sorte d'inventaire, qui constituait un premier pas dans la préparation des matériaux à construire, n'était pas suivie de l'élaboration nécessaire pour en élever l'èdifice.

Il faut reconnaître, toutefois, que le choix de matériaux y a été fait en somme d'après une règle, et que les versets choisis dans la section pratique coïncident souvent avec l'objet de notre étude. Il n'en est pas de même de extraits faits, soit par le cadi Abou-Bakr el-Djassas, Hanafie, mort en 370 de l'Hégire, dans ses "Ahkâme Koran" (Stamboul 1338 H), soit pare le cadi Abou Bakr Ibn el "Arabi, Màlikite, mort en 542 H., dans son livre intitulé également Ahkâme el-Koran (éd Sa'âda, Caire 1321 H.) soit par Moulla Ahmad Djioune, Indou, hanafite mort en 1130 H. dans ses "Tafsirât Ahmadyya fi Baïâne el Aïât ech-Char'yya" (Bombay 1327 H.) Non seulement les textes Koraniques ayant trait à la morale sont inextricablement submergés, dans ces ouvrages, par les textes relatifs aux sujets juridiques, principologiques, théologiques, cosmoloiques et autres; mais nous voyons chez les deux Cadis des versets cités à propos des questions auxquelles le texte n'a qu'un rapport lointain, ou dont il est simplement l'occasion.

En tous cas, par leur manière de grouper les passages Koraniques selon l'ordre des sourates, tous les auteurs, y compris Ghazàli, ont fait de leurs extraits un agrégat de matières éparses qu'aucun esprit de famille ne relie, et dans lesquelles n'apparaît aucune suite d'idées. Ainsi, après avoir rompu l'unité primitive de chaque sourate, ils n'ont pas pu y suppléer par une unité logique entre les fragments choisis et par un classement méthodique qu'exige la règle de l'enseignement.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

"La Morale du Korân"

(2)

Par

DR. MOHAMMAD ABDULLAH DRAZ

Mais, en consultant notre bibliothèque islamique elle-même, nous avons constaté qu'elle n'a connu jusqu'ici que deux sortes d'enseignement moral: ou bien ce sont des conseils pratiques, destinés à former les mœurs de la jeunesse, en lui inspirant la conviction de la haute valeur de la vertu; ou bien c'est une description de la nature de l'âme et de ses facultés, puis une définition et une division de la vertu, calquées le plus souvent sur le modèle platonicien ou péripatéticien. Et il n'est pas rare de voir les deux méthodes se succéder sous la plume d'un même auteur. Il s'agissait ainsi, dans tous les cas, d'œuvres purement humaines, où les auteurs s'efforçaient de mettre les fruits de leurs méditations et de leurs études philosophiques, et dans lesquelles le texte Koranique faisait défaut ou ne figurait qu'à titre secondaire.

Pas plus donc chez les Musulmans que chez les Islamisants, la morale Koranique n'avait fait l'objet principal d'étude et de codification, ni du point de vue théorique ni du point de vue pratique. Afin que cette double affirmation revête un caractère rigoureux, et qu'elle soit exempte de toute équivoque, nous croyons devoir y joindre quelques précisions.

D'abord dans le domaine spéculatif, nous ne prétendons pas par nos recherches avoir à pénétrer dans un pays jusqu'ici inexploré. Les savants musulmans ont, de bonne heure, exercée leur talent sur ce sujet : les théologiens et les principologistes, sur le critère du bien et du mal (ou selon leur expression, sur la question du beau et du laid) ; les jurisconsultes, sur les conditions de la responsabilité; les moralistes et les mystiques sur l'efficacité de l'effort et la pureté de l'intention. Mais, outre que ces noitons sont restées ainsi disséminées dans les diverses disciplines, qui touchent de près ou de loin la

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Western Writers On Islam

Before the contact of Western culture with Islam, the uncharitable and unkind writers and preachers from that part of the world poured forth torrents of abuse on the Prophet, but to say with Carlyle :

" Muhammad is no longer an impostor, but a great reformer: He is no longer a neurotic patient suffering from epilepsy, but a man of tremendous character and unbending will. He is no longer a self-seeking despot, ministering to his own selfish ends, but a beneficent ruler shedding light and love around him. He is no longer an opportunist, but a Prophet with a fixed purpose, and a man of strong will, undeviating in his consistency."

All this Europe acknowledged and freely, too. Carlyle and Gibbon, gifted writers. both have each in his own way, done full justice to this man, in whom merges all that is best in humanity. His whole being was permeated with Divine Love. In fact, he was so much in love with his Maker that his whole fife was devoted to an uphill struggle for Truth and Righteousness. Davenport and Boswell in English, Krehl and Gremence in German and Gaetani in Italian have opened to the Western world vista s of the life of the Prophet, which demolish completely the stock arguments employed by unjust critics against this, the greatest benefactor of humanity. George Bernard Shaw sings the following paean of praise :

"I have always held the religion of Muhammad in high estimation because of its wonderful vitality. It is the only religion which appears to me to possess that assimilating capability to the changing phases of existence which can make itself appeal to every one. I have prophesied about the faith of Mnhammad that it would be acceptable to the Europe of tomorrow as it is beginning to be acceptable to the Europe of today; The medieval ecclesiastics either through ignorance or bigotry painted Islam in the darkest colours.

They were, in facet, tratined to hate the man Muhammed and his religion. To them Muhammad was anti-Christ. I have studied him—the wonderful man, and in my opinion, far from being an anti-Christ, he must be called the saviour of humanity : I believe that if a man like him were to assume dictatorship of the modern world, he would succeed in solving its problems in a way that he would bring it the much needed peace and happiness. But to proceed, it was in the ninetenth century that honest thinkers like Carlyle, Gibbon and Goethe perceived intrinsic worth in the religion of Muhammad—already, even at the present time many of our people have gone over to his faith, and Islamisation of Europe may be said to have begun."

(THE MESSAGE)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

of 10. Oxygen is the medium of life for all animals on the earth, and it cannot be procured except from air.

Oxygen is out of mixture with other gases in the space and is always found in the rate which is necessary for life. If oxygen were in the rate of 50, for examble, all combustable elements in the world would burst into flame.

On the other hand, the life of all plants depends upon the tiny measures of carbon dioxide in the air. It is a scientific fact that the leaves of trees are functioning as the lungs in animals. Those leaves reduce carbon dioxide through the rays of the sun into carbon and oxygen. Plant repels oxygen and keeps carbon mixed with the hydrogen of the water which is absorbed by the plant's roots. Through these chemical processes, nature produces, through plant, cellulose, other chemicals, fruits, flowers, nourishement for plant itself ; while the repelled oxygen is inhaled by animals and humans.

So, oxygen, hydrogen and carbon dioxide, carbon, whether isolated or mixed are the basis of the principal biological processes, which are necessary for life. There is no one single chance out of millions of chances which realizes the proportion of these elements in the way that is necessary for life as it is found actually in nature. Certainly beyond this wonderful system there is a power certifying that God, the Almighty, is the Sole Creator and Planner of this universe. The Holy Qur'an says :

" He brought down from the sky a rain for you, out of which you drink, and out of which there grows plant in which you graze your animals. Out of it He grows for you grass, olives, palm-trees grapes, and all fruits : certainly in this there is a sign for people who think. And He made subservient to you night, the day, the sun, the moon and the stars : all are made subservient by His order : in this there is a sign for people who mind. And there is a sign in what He Created in the earth of all kinds : surely, in this there is a sign for people who remember. And He made subservient to you sea, out of which you eat tender meat, and bring forth out of it ornament which you wear : and you see the ships running therein to seak God's favour thereby, so that you may thank Him. And He put in the earth mountains to make it stable, and rivers and roads to guide you. And He made the stars as guide, by which you know your way. Is He Who creates as he who does not create ? Would you not mind ? And if you count God's favours, you will not be able to do it : surely God is Forgiving, Merciful. "

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

and evidence. Abu-Hanifa was chosen to meet that athiest in a certain time, but Abu-Hanifa was late intentionally. When he arrived to the meeting place, he was asked by his opponent about the cause of his delay. Abu-Hanifa answered in this ways :

"Here is the cause of my delay: I had to cross the river to reach here, but the boat was on the other side of the river, and there was no boatmen to bring it over to my side. So I had to point out to the boat to move by itself until it came to me to cross me over the river. This is the cause of my delay." The athiest said amazingly : "This is unreasonable ! How a boat could move by itself ? Abu-Hanifa answered :" If you could not believe that a boat may move by itself, how possibly you want us to believe that this world is functioning with no God and Creator ?"

The athiest was at loss to answer. The present audience shouted praising. God, the Almighty, while Abu-Hanifa recited these Qur'anic Verses :

"God is He, than whom there is no other God: Who know all things both secret and open; He Most gracious, Most Merciful. God is He, than whom there is no other God; the Sovereign, the Holy One, the Source of Peace, the Guardian of Faith, the Preserver of Safety, the Exalted in Might, the Irresistable, the Supreme. Glory be to God ! High He above the partners they attribute to Him. He is God, the Creator, the Evolver, the Bestower of Forms; to Him belong the Most Beautiful Names : whatever is in the heavens and on earth declare His praises and glory; and He is the Exalted in Might, the Wise."

QUESTION :

Is it true that there is a contradiction between the believe in God and science ?

ANSWER :

Let us take from the example of oxygen a proof for the power of God in this universe. It is a scientific fact that the air is composed of oxygen, netrogen, argon, neon, carbon dioxide and other rare gases. Carbon dioxide in the air is in the rate of 3 out of 10,000; argon has the rate of one percent, and netrogen the rate of 78 %, while oxygen has the preportion of 21%. The pressure of air on the ground is at fifteen pounds per squere inch in the sea level. The rate of oxygen in this pressure is three pounds. The rest of oxygen in nature is in solid ground, and also in sea with the rate of 8 out

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

QUESTION :

How possibly, then, could we know God without understanding His Mighty Being ?

ANSWER :

If you look to the creation of the universe, its wonders and its harmony ; to the sky with its stars and planets ; to the earth with its kingdoms of animals and plants ; and to the humankind with its wonderful structure-if you look to all this you will undoubtedly come to believe that beyond this great and perfect universe there is a Perfect Creator. The power of this creator should be unlimited, and beyond the limited human mind to understand. The Almighty Being is in no need of others, while all others are in need of Him. He is the Planner of the universe, and He Himself is above all plans and laws.

Thus, you will find yourself fully convinced that the Creator of the universe is distingnished by all perfect attributes, and is exalted above all the attributes of imperfection and disablity. This belief in the Existence and the Perfect Attributes of God is the natural belief of humankind from eternity, as the Holy verse states :

" The nature of God in which He created humankind, no alteration in the creation of God. This is the upright religion, but most of people know not. „

QUESTION :

How can we prove the existence of God through reasonable argument which is more accepted in our modern time ?

ANSWER :

If you have left your book on your desk and returned back to find that your book is in the drawer, you will be sure that someone has put in the drawer, for it is certain that the book cannot transfer itself from its place. But if you find a certain person in two different times in two situations like sitting and lying down on the ground, you will not question his movements, because he can move by himself.

Thus all things in the universe are created ; because we know from its nature and attributes that they cannot exist without a creator. Since the perfection of Godhead necessitates that God is in no need of others, we come to the conclusion that God is Existent and is no need of others to bring Him to existence.

It is said that a man denied the existence of God and assumed that this world existed by itself. He challenged the Muslim scholars to argue against him with proof

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

THE FUNDAMENTAL BELIEF IN ISLAM

BY

ABDUL WADOOD SHALABY

What is the first basis in the major prnciples of Islam which we should believe in ?

The first basis of faith in Islam is to believe that God, the Almighty, is the Creator and Manager of this universe, and that his Mighty Being is beyond human comprehension which is limited in vision and reason.

The Prophet, therefore, ordered us to think over the creation of God, but not over His Being. It is reported through Ibn Abbas that some people tried to think about the Divine Being when the Prophet told them: "Think about the creation and the work of God and not about his Mighty Being, for you could not judge God's essence." This is not an order from the Prophet against the freedom of thought and mind, but is a safe guard aganist misguidance a aganist the search after the known, which is beyond our m to comprehend. If human r could not so far understand essense of electricity and magnetism which are actually utilized by people, how, then, can come to comprehend the essence of God who described Himself in this Holy Verse :

"Vision comprehends Him not, and He comprehends all vision, and He is the All-Kind, All-Knowing".

Al-Shibly, the great Muslim mystic (mercy of God be upon him), said when he was asked : what is God ? : "He is the One and the Known to be beyond limits and words."

Someone asked Yahya ibn Mu'ath : "Tell me about God, the Almighty." Yahya Said : "He is the One." "How is He ?", He was asked. "He is the Almighty", he answered. "Where is He." he was asked again. "He is waching over everything ? he answered, "Then the enquirer said : "I did not ask you about this." Yahya answered: Nothing beyond this. The description of the created is other the Attributes of the Creator."

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

He is a ideal example for the people. "Verily in the messenger of Allah you have a good example, for him who looketh unto Allah and the Last Day and rememberth Allah much." His relationshio with the Belivers is as the Quran Said :

"The prophet is closer to the belivers than their selves."

Every beliver is bound to ask for God's blessing for His prophet : "Allah and His angels Shower blessings on the prophet. O ye who belive ! Ask blessings on him and Salute him with a worthy Solution."

His apostolical mission was not confined to any particular race, community, time or place. The entire teaching of the Prophet Muhammad is based on the universal path of submission to the one lord of the universe ; who created all men alike as human beings, but divided themselves into groups and factions on the basis of race, clour, language, nationality ect ;

The Quran explains that these differences are artificial, But one Single relation ship held them to gether; that is the bond of human brotherhood. There is one Sacred bond which could unite them inspite of all differences; this is the commen worship of the one God. This is the fundamental teaching of the apostle. The Islamic faith is to follow man's orginal nature as designed by God. The Quran Says :

"Set thy purpose for religion as a man by nature upright the nature (framed God) in which He hath created man. There is no altering (the law of) God's creation. That is the right religion, but most men know not."

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

into a Single brotherhood. Then God sent the prophet Muhammad with a complet and perfect system of life for the mankind, and He called to people to build a universal brotherhood. The Qur'an declared :

Say, O man kind ! I am the messenger of Allah to you all. Him unto whom belongeth the soverignty of the heaven and the earth. There is no God Save him."

The Lord of the mankind has prepared Him and blessed Him, from his childhood, inorder to become the ideal example for humanity in all walks of life. About the God's direction and protection, the Quran Says :

"Did he not find thee an orphan and protect thee ?

Did he not find erring and direct thee ?

Did he not find thee destitute and enrich thee ?"

He is a apostle of Mercy for the world. "We sent thee not save as a mercy for the people " His position among the prophets is clear from this Quranic verse :

"O Prophet ! We have Sent thee as a witness and a bringer of good tidings and a warner, and as a Summener unto God by His permission and as a lamp that giveth ht."

The place of the apostle amonge Prophets is clear from the following verses :

(1) But how (will it be with them) When we bring of every people a witness, and we bring thee (O Muhammad) a witness against these ? On that day those who disbelieved and disobeyed the messenger will wish that they were level with the ground, and they can hide no fact from Allah."

(2) "And (be think you of) the day when we raise in every nation a witness against them of their own folk and we bring thee (Muhammad) as a witness against these ".

(3) "When Allah made (His) Covenant with the prophets, (He Said) : Behold that which I have given you of the scripture and Knowledge. And afterwards there will come unto you a messenger, Confirning that which ye posses. ye shall believe in him and ye shall help him. He Said : Do ye agree, and will ye take up My burden (which I lay upon you) in this (Matter) ? They answered : We agree. He Said : Then bear ye witness. I will be a witness with you ".

What is the place of His people among other nations ? The Quran Says : "Thus we have appointed you a middle nation, that ye may be witnesses against Mankind, and that the messenger may be a witness against you".

"Ye are the best Community that hath been raised up for mankind ".

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

THE GREATNESS OF THE APOSTLE

By : ABDUL RAHIM FUDA

The Prophets are the high peaks of the human society. They are the torch bearers of truth and guidance to the people. And they are the apostles of peace and Divine path in the world. They form the foreline of the righteous people upon them God has showered his favour and grace. The Qur'an Says :

" Whose obeyeth God and the messenger, they are with those unto whom God hath shown favour, of the prophets and the saints and the martyrs and the righteous. The best of company are they ! "

There was a chain of apostles whom God sent, one after another, as Divine messengers. The Qur'an Says :

" We have sent a number of messengers before thee (Muhammad), among them those of whom we have told thee something and others of whom we have not told thee anything. "

The Qur'an has stressed the universality of Divine guidance and proclaimed that there have been countless prophets in various places and at different times. " For every nation there has been a messenger." He sent every messenger with the language of people. As the Qur'an Says : " And we never sent a messenger save with the language of his people that he might make (the message of God) clear for them. "

The teachings of all prophets were basically the same, and each of them was confirming the other, and the Qur'an Said :

" We have sent the book (O Muhammad !) to thee with the truth, confirming the books sent down before it. "

The Qur'an has repeatedly warned against discrimination among the prophets and the Holy books. It declared : " It is not righteousness that you turn your faces to the east or to the west but righteous is he who belives in God and the Last Day and God's angels and the book and the prophets."

When the prophet Muhammad has come, the followers of the various apostles and books had fallen into some great errors, like religious groupsm, narrow mindedness. They forgot the object of religion, ignored the fundamental teachings of it. This condition led to mutual hatred, enmity and wars. The mankind was looking foreward to able guide who could sweep away all artificial differences and factions and reunite the people

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Judgment or Reckoning. Man must be prepared to face the consequences of his acts, as he expects every thing else to have a known, natural and inevitable effect. Thirdly, man should expect only justice, the due result of his acts, God is neither arbitrary nor revengeful.

4 — In making submission to Him and acknowledging and seeking His help, it is not said merely that we worship Him and seek His help. It is said instead :

" Thee (alone) we worship ; and Thee (alone) we ask for help." Not only has it fixed the relationship between man and his Lord, but it has also proclaimed in unequivocal terms the unity of God, and it closes all paths to polytheism, in whatever form.

5 — The path of profit and grace is described as the straight path. The straight path is easier to recognise and follow, and the more one deviates from it the greater the danger of one's going astray.

6 — Often, however, it is not easy to distinguish which is the straight path Man is helpless, for the answer to the question is hidden in the womb of the future, and he can but proceed on the basis of his very limited knowledge and very restricted reason. He can then but seek the grace of God and pray : O Lord, direct us on the straight path, "the path" — for I know not which it is — of those on whom thou hast bestowed thy grace, not of those who have brought upon themselves thy wrath and have gone astray. (1)

(1) The Quintessence of Islam.

BY : ASHFAQUE HUSAIN

This Sura, Al-Fateha, Sets forth these fundamentals, with incomparable effect, in words which are few and numbered and yet soprecise and simple that they make a direct impact on the mind and heart of the reader. That is as it Should be, for the more simply a truth is stated the more convincing it is; nature itself is simple and it is only artifice and ornamentation which make things complicated. So this sura says the simplest things in the simplest words. It addresses God by those very attributes whose manifestations surround one all the time, even if one is ignorant or negligent enough not to notice them; it proclaims submission to the Lord of the Universe; it acknowledges His help in everything; it prays for the path of rectitude, avoiding the world's temptations and pitfails. There is aparently nothing remarkable in all this; it contains no difficult thought or novel idea or esoteric formula. Now that we have been repeating it countless times and its message has been before mankind for centuries, it appears a common place; yet, when it was presented to the world there appeared to be nothing more obscure and strange.

Very briefly, this short simple prayer, with out entering into any argument or even explanations, sets before mankind in the clearest possible terms the following basic spiritual lessons:

1 — One of the greatest spiritual errors of man has been to conceive of God as an awesome and terrifying being rather than as Love. The Sura, therefore, begins with HAMD, adoration through praise; there is no reference to any fearsome aspect of divinity.

2— The first attribute of God referred to is that of Rabbil-Alameen, the Cherisher, Nourisher and Sustainer of the Universe, and it contains two lessons. It tells man of God Who gives him all he needs by way of sustenance, material and spiritual, so that he may protect himself from all evil and proceed to his full development. Secondly, it tells him that God is the God of the Universe, not of any part of it. There is no room left for any narrow mindedness, prejudice and exploitation, Whether individual, tribal, communal, racial, national, religious or of any other kind, His grace and gifts are for all mankind, not for any particular group or any particular religion.

3— He is the Lord of the Day of Judgment. Firstly, He is the Supreme Judge; to none else is it given to sit in judgment upon man. Secondly, there is a Day of

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

The opening sura (chapter) of the Qur'an has been variously referred to as Fatehatul-Kitab (the opening of the book), Ummul-Qur'an (the most prominent in the Qur'an or, alternatively, the essence of the Qur'an), Al-Kafia (the suffitient), Al-Kanz (the treasure), etc. The Qur'an itself gives a special piace to this chapter, for it refers to it thus : "we have bestowed upon thee the Seven oft-repeated and the great Qur'an" (XV : 87). The expression "Seven oft-repeated" it has been estabilished, refers to this chapter which contains Seven verses and which is repeated over and over again in prayers and also on other solemn occasions.

The prominent place given to this chapter is due to the fact that it is not only the introduction to the Qur'an but also its essence. All that has been stated at length in the Qur'an about the fundamentals of religion has been said in the seven brief verses of this chapter. If a man is unable to read anything else of the Qur'an but can master the meaning of these few short phrases, he will have fully grasped the fundamental purpose of religion and the path to truth and self - fulfilment.

The entire sura is in the form of a prayer and its words are so simple and telling that even an uneducated person can understand them and be moved by them. It was with this in view that this chapter was made the central piece of Islamic litrature, and it is repeated several times during each prayer and on all other solemn occasions.

What are the fundamentals of true religion ?

They can perhaps be reduesd to the following :

a) To have a correct conception of the attributes of God. The errors into which man has fallen in his worship of God have all emanated from his misunderstanding of God's attributes.

b) To belive in the law of just returns. Everything in the world has particular properties and a natural effect, and so man's actions also have certain properties and effects; Good actions lead to good and evil actions to evil.

c) To belive in life after death. Man's life does not end in this world; life will continue beyond it and man will continue to reap the returns of his actions.

d) To recognise the path of rectitude and grace.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

A. H. AL-ZAYYAT

JUMADA'L - UKHRA 1384 H. A.	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	NOVEMBER 1964

AL-FATEHA

The Opening Chapter of the Qur'an

BY

MOULANA ABUL KALAM AZAD

[Moulana Abul Kalam Azad was a scholarly teacher and a learned theologian. He had strong literary tastes and he was interested in the modern language and litrature. While his training and upbringing had given him a great deal of knowledge of classical litrature, nature had endowed him with a creative and objective mind. Thus he combined true conservatism with modernism. He did not leave everything that is old simply because it was old. And he did not accept the new merely because It was a new.

In his explanation of messege of the Qur'an he warned that the principles of Qur'an could not be tested by the ever limited knowledge of man. Because the science and philosophy can lead man only to a limited extent. The ultimate guide of man must be inspiration beyond Science, faith, logic and philosophy. It is noteworthy that Moulana Azad Spent his whole life in controvercial politics but his writings have no sign of any prejudice or bias.

Moulana Abul Kalam Azad's commentary of the first chapter of the Qur'an, Al-Fateha, contains all the spritual teachings of the Qur'an, the fundamentals of Islam and it deals with several problems which have been a challenge to religious thought. This commentary will give the reader a clear idia of Islam inits true original form, as set forth in the Qur'an, by a theologian, humanist and a modern intellectual — M. Alwaye]

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفهرس

صفحة		
٣٨٥	تمنى النبى	للأستاذ عبد الرحيم فودة
٣٨٨	حديث عام	افضيلة الامام الأكبر
٣٩٢	وحدة الوجود	للأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود
٣٩٨	هذا واجب العرب فأين واجب المسلمين	للأستاذ حسن جاد
٤٠١	السكيان الفلسطينى	للأستاذ محمد محمد خليفة
٤٠٤	وثنية بنى إسرائيل	للأستاذ على الخطيب
٤٠٧	معالم التربية الدينية والخلقية	للأستاذ الدكتور عبد الواحد وافى
٤١١	عناية الإسلام بالشباب	للأستاذ محمد محمد أبو شهبة
٤١٦	نفحات القرآن : البذل فى سبيل الله	للأستاذ عبد اللطيف السبكى
٤٢١	المجتمع الاشتراكى فى ظل الإسلام ـ ١١ ـ	للأستاذ عبد الرحيم فودة
٤٢٥	إلى أى مدى تتغير الأحكام الشرعية	للأستاذ بدر عبد الباسط
٤٢٩	من روائع الثقافة الإسلامية ـ ٥ ـ رسالة الأصول للإمام الشافعى	للأستاذ الفاضل بن عاشور
٤٣٣	الناحية العلمية من إعجاز القرآن	للأستاذ أحمد محمد الشرباصى
٤٣٨	مع الفكر الآمن	الأستاذ محمد الغزالى
٤٤٠	الليلة المباركة	للأستاذ أحمد حسن فرار
٤٤٩	إنسانية الحضارة العربية وإبداعها	للأستاذ يوسف نوفل
٤٥٥	مفهوم التجديد الدينى	للأستاذ رءوف شلبى
٤٨٥	فى التجديد الدينى	للأستاذ المنشاوى عبود
٤٦٤	تيارات منحرفة فى التفكير الدينى	للأستاذ على الشبلى
٤٧٣	الملكية الفردية وتحديدها فى الإسلام ـ ٥ ـ	للأستاذ على الخفيف
٤٨٢	هذه الرمضاء حرب جديدة على اللغة والدين	للأستاذ عبد الكريم الخطيب
٤٨٨	جماعة إخوان الصفا ـ ٢ ـ	للأستاذ محمد الفقرانى الخراسانى
٤٩٣	المنهج الإسلامى فى الأدب ونقده	للدكتور عبد الرحمن عثمان
٤٩٨	إلى رسول الله	الشاعر محمد أحمد الغزب
٥٠٠	الفتاوى :	للأستاذ إبراهيم محمد الأصيل
	معرفة الرسل المذكورين فى القرآن ـ الاجتهاد والخطأ فيه ـ بناء مسجد مكان مدفن ـ الجمعة عند تعدد المساجد ـ انصراف القبلة ـ فضل اول الخامس	
٥٠٥	أنباء وآراء :	
	اليهود والسبت ـ فى محيط الأزهر ـ ذكرى الغدوان ـ جائزة نوبل ـ تدعيم مجمع البحوث	
٥٠٨	الكتاب	
	نقد وتعريف ـ الإباضية فى موكب التواريخ علم القلوب ـ كتب جديدة . . . الخ	

الثمن اربعون مليما

مطبعة الأزهر